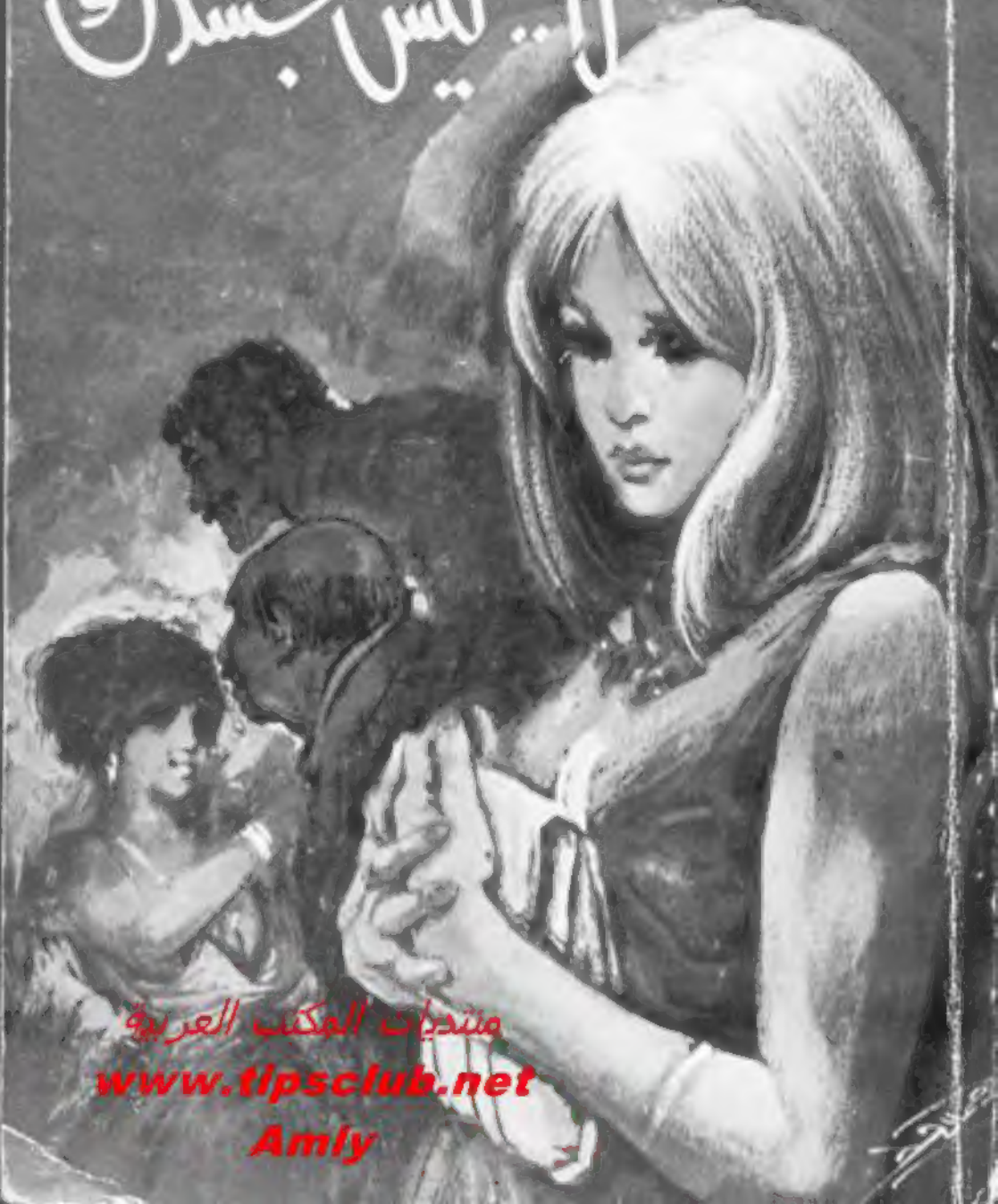


امساك حبلى

الليس جسدي



منتديات المكتب العربية

www.tipsclub.net

Amly

إحسان عبد القدوس

لا.. ليس جسدي

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي "الغزالة"
سعيد جوده السحار وشركاه

دار مصر للطباعة

٣٧ شارع كامل صدقي

كانت طالبة معى فى الجامعة .. كانت جميلة .. جمالها هادى ..
مريح .. يريح القلب والعقل .. وكانت رغم جمالها ، جادة ..
ليس فيها مرقعة بقية البنات .. ولا اندفاع بقية البنات .. كانت
تبدو دائما كأنها تفكر .. وكنت اتبنى لحظة لا تفكر فيها .. ولكنها
تبدو وكأن لها عقليين .. العقل الثانى فى صدرها ..

وكانت دائما تبدو كأن ارادتها فى يديها .. وكنت اتبنى ان
اسرق ارادتها منها .. حاولت كثيرا ان اسرق ارادتها .. ولكن
مستحيل .. أنها تقبض على ارادتها بيد من حديد ..

وكانت دائما محتفظة بكرامتها .. كرامة حماسة الى حد
متعب .. ومعنى كرامتها هو شخصيتها الكاملة .. شخصية
تضعها بجانب شخصية اى رجل .. وقد حاولت كثيرا ان اضع
لكرامتها معنى آخر .. ان اقنعها بأن ليس بين المحبين كرامة
.. وان كرامة الحب هى الاستسلام للحب .. ولكن ، لا ..
ان مقاييس كرامتها ، لا تتغير ..

وكنت خلال سنوات الجامعة ، اعرف كثيرا من البنات .. آخذ
منهن ما أريد ، حتى ولو لم يردهن .. كانت لى وسائل اكيدة المفعول
اصل بها الى اى بنت .. ولكى كنت دائما اعود اليها .. ولا اكاد
التقى بها حتى انسى كل وسائل الاكيدة المفعول ، واجد نفسى
اشترك معها فى نقاش هادى حول نظرية ادبية ، او حول المبادئ
السياسية ، او حول الاخلاق الاجتماعية .. وتر ساعة او ساعتان
ثم تتركنى فى هدوء وانسامتها الحلوة فوق شففتيها .. ولا تكاد
تتركنى .. حتى احس بانى ضيقت من عمرى ساعتين فى هباء ..
فى كلام ماضى .. واغناظ .. واجرى الى البنات الاخريات كاتى
انتقم منها .. وحيانا يشتد غيظى حتى افكر فى تحطيم رأسها
الذى تفكر به .. فى تحطيم ارادتها .. فى تحطيم كبريائها .. ولكننى

لا البشان اجد نفسى اعود اليها لنناقش فى النظريات الادبية
والسياسية ، والاجتماعية .. دون ان احطم شيئا !!

وفى يوم استطعت ان اجمع ارادتى ، وامسكت بيدها ، ونحن
نسير ، نخوض فى مناقشاتنا .. وتركنت لى يدها .. ولم اعد
اسمع شيئا مما تقوله .. انحصر كل تفكيرى فى الخطوة التالية ..
واقدمت على الخطوة التالية بعد لحظات .. فجذبتها الى فجأة ..
وقبلتها فوق خدها قبلة سريعة ..

وابتعدت عنى بلا عنف ..
وسحبت يدها من يولى ، فى هدوء ..
ثم نظرت الى .. نظرة كبيرة .. وابنسامتها الحلوة لا تزال
بين شففتيها ..
ثم تركنتى ..

— ولا ادرى لماذا ندمت .. هذه النظرة الكبيرة شقت صدرى
واستقرت بين ضلوعى .. وجعلتنى احس بانى سافل .. لأول مرة
احسست بانى سافل !!

ولم اعد احاول مرة ثانية ..
اكتفيت منها بلهفتى التى تدفعنى اليها .. والى مناقشاتنا
الطويلة ..

واستمرت صداقتنا الى ما بعد تخرجنا .. وانا اكتب عنديا
اسمها « صداقة » .. لقد كنت اعرف ان ما بيننا اكثر من صداقة
.. ولكنى لم اكن اريد ان اعترف بذلك .. حتى لا اتعذب ..
وحاجتنى اليها تزداد على مر الأيام .. كل البنات اللاتى يعطينننى
ما أريد ، لا يبلان مكانها ، ولا يجعلننى استغنى عنها ..

— انى اذهب اليها فى بيت اهله .. واذهب معها احيانا الى
السينما .. وحيانا ارقص معها .. ولا شىء يتغير من عقليتها ،
او ارادتها او كرامتها ..

واخيرا قلت لها :

— ليلي .. احنا حائض كده لغاية امتى ؟

• وقالت كأنها تناقشنى فى السياسة :

— قصدك ايه ؟

نقلت وأنا انظر اليها فى تردد :

— قصدى نتجوز !!

ولاول مرة ارى وجهيها تحتفان خفرا .. وارى جفنيها
ينسدلان فوق عينيها .. ورعشة خفيفة ، ترتعش بها اصابع
يديها ..

وقالت فى صوت مرتعش :

— انت فكرت كويس يا محمد !!

ولم اكن قد « فكرت-كويس » ولكن شعرت ساعتها باننى ان
استطيع ان اعيش الا اذا تزوجتها .. ساموت لو رفضتنى !

ولم ترفضنى ..

ظلت ساكنة ودماء الخمر تملأ وجهها .. بريئة .. طاهرة ..

واقتربت منها ..

والثقت شهاها ..

لاول مرة ..

وآه من هذه المرة .. انى لا استطيع ابدا ان انسأها .. لقد

حوت حبا .. حروما دلم بست سنوات .. حوت انبيار كل ارادتها ..

وحوت حلاوة كل كبريائها .. وكل عقلها ..

انها تحبنى ..

كل هذه السنين كانت تحبنى ..

ان لها عقلا واحدا .. لا عقليين كما كنت اعتقد .. قلبها فى

مكانه من صدرها .. قلب كبير .. وربما كان لها قلبان .. الثانى

فى راسها !

وملأنى حبها بالغرور .. غرور لم تستطع كل البنات اللاتي

« رفتهن » أن يثرتهن ..

ولكن غرورى لم يفسد حبنى ..

انى احبها ..

لم اعد احاول أن انكر حبنى ..

وتزوجنا ..

ايام كالعسل جمعتنا .. وفى خلال هذه الايام .. ايام العسل

اخذت احدثها عن مغامراتى السابقة .. عن عشرات البنات اللاتي

اخذت منهن ما اريد .. وهى تستمع وابتهامتها الحلوة فوق

شفتيها ، ورأسها مرفوع تشده كرامتها .. ثم قالت لى فى هدوء :

— تعرف لو خنتنى يا محمد ، حاسب ايه ؟

قلت وانما انتجحك ضحكة مغرورة :

— ايه ؟

قالت فى بساطة :

— ها اخونك !

وضحكت ضحكة عالية ..

وقلمت ضحكتى ، وقالت فى صوتها الهادئ :

— اتفقنا ..

قلت وأنا اهر كنى ، وأطلق ضحكة اخرى :

— اتفقنا !!

ثم التيت نفسى فوقها .. اقبلها !!

ولم اشعر فى هذه اللحظة بأنها كانت جادة فى هذا الاتفاق

السريع الذى عقدناه .. ربما لأن غرورى كان أقوى من أن اتصور

ان زوجتى يمكن أن تخوننى .. وربما لأنى فى تلك اللحظة لم اكن

امصور انى سأخونها يوما ما .. لم اكن فى حاجة الى خيانتها ..

فقبلت الاتفاق كنوع من المداعبة ..

وبر عايمان .. ونسيت خلاصتهما هذا الاتفاق ..

و ..

وجاءت الى مكتبي سيدة صغيرة .. مطلقة تعرض احدى تفضيلا لها .. انها جميلة .. نوع آخر من الجمال غير الجمال الذي تتميز به زوجتي .. جمال قد لا يجذب قلبك .. ولا عقلك .. ولكنه يجذب اعصابك ..

ووجدت نفسي ابطق فيها ..

ثم وجدت نفسي افكر في الوسائل القذبة التي كتبت اصل بها الى ما اريد من البنات ..

وقاومت ..

— صدقوني .. لقد قاومت .. ولكنها كانت متأومة ضعيفة .. تغلبت عليها شقاوتي .. ورأيت نفسي اندفع اليها كاني احاول أن أجرب نفسي .. وأجرب مواهبى .. بعد هذا العمر الطويل .. عبر سنتين ، قضيتها في حالة اخلاص تام .. جهد حياتي ..

وكانت السيدة الصغيرة المطلقة .. سهلة !

لم البث — بعد اول خطوة — أن وجدت ثغرى فوق شفيتها !

وعدت الى البيت مرحا .. يكاد زهوى يرغمني من على الأرض .. واتيلت على زوجتي ادلها اكثر مما تعودت .. وأملأ اذنيها بضحكاتي وكلامي الحلو .. وكنت مخلصا في كل ذلك .. لقد اكتشفت ان الزوج عندما ينجح في خيانة زوجته ، يحبها أكثر .. ويسعدا أكثر !!

وفي الصباح ..

فتحت عيني لأجد مندبلي مفرودا بجانب رأسي .. وبفحة كبيرة حراء من أحمر شفاء ، ثقف فوقه ، كأنها الجرح العميق ..

وزوجتي جالسة بجانبى على الفراش ، تبسم في هدوء ابسامةها الحلوة ..

وارتبتك ..

ولكني سيطرت على ارتياكي بسرعة ، وقلت كاني فوجئت !

— ايه ده ؟

وقالت ليلى في هدوء :

— انا عارغه .. اسأل نفسك !

— وسكت قليلا كاني افكر ، ثم صحت وأنا ازين صيحتي

ابسامة كبيرة :

— آه .. أصل امبارح وأنا جاني فت على أمي .. وكانت أختي

هناك .. ورزى ما انتي عارفة أختي أول ما تشوفني تنزل في

بوس .. ومسحت بوستها في مندبلي .. انفكرت دلوقت !

وظلت زوجتي ساكنة تبسم ..

وعدت اقول :

— مش مصدقاني ؟

قالت في هدوء :

— مصدقك !

وأخذتني بين ذراعي وقبلتها .. وقبلتني .. ثم عدت اقول كاني

لم اكبر واتقا انها صدقاني :

— اذا كنت مش مصدقاني .. اسألي أختي !!

وكنت متأكدا ان زوجتي لن تسأل أختي .. ان كبرياءها سيحول

بينها وبين أن تسألها ..

ولم تسألها فعلا ..

وازدادت ثقة بنفسى ..

ما أسهل خيانة الزوجات !

وعدت الى المطلقة الصغيرة .. السهلة !!

مرت أسابيع وأنا .. أخون زوجتي !

ثم ..

طلبت منى المطلقة الصغيرة أن أوصلها الى بيتها بسيارتي
لأننا في شقة أحد أصدقائي ..
ووكبت بجانبى .. ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي أوصلها
.. وتركها بجانبى وتلتصق بى ..
ونجاة .. لمحت زوجتى تسير على رصيف الشارع ..
وارتبكت .. صرخت :
— مرأتى ..

واخفيت راسى فوق عجلة القيادة كأنى أحاول أن اخفى نفسى
عنها .. ثم بدا على يلقى .. ماذا سأقول لها .. اى كذبة اختارها
.. اتعرف .. أن الزوج عادة لا يستطيع أن يختار الكذبة التى
سيرووها لزوجته .. ولكنه يظل يفكر فيها .. ثم تنطلق رغم
أرادته ، ربما تفكيره بمجرد أن يواجه زوجته .. يارب الهمنى
كذبة جيدة عندما أواجه ليلى ..

ولكن .. لعلها لم ترنى .. انى لم أر عينيهما تلتقيان بوجهى
.. يارب .. لعلك قد أمهنتها حتى لا ترانى ..
وعدت الى البيت .. اتعثر فى ارتباكى ..
ان ليلى هادئة ..
ابتسامتها مستقرة فوق شففتها .. ابتسامتها الحلوة !
انها لم ترنى ..
وقبلتها .. قبله أودعتها كل حبنى .. وأكثر من حبنى ..
ارتباكى ! ..

ومر يومان ..

ورفعت سماعة التليفون وأنا فى مكتبى ، لأحدث زوجتى فى
البيت .. و .. النمرة مشغولة .. وانتظرت خمس دقائق ، وأدبرت

القرص مرة ثانية .. مشغولة .. و .. مشغولة .. وبعد ثلث
ساعة استطعت أن اتصل بها .
— كنت بتكلمى مين ؟

وأجابت فى هدوء :

— بكلم ماما ..

وصدقتها .. صدقتها فعلا ، وبدون أدنى ارتياب ..
وفى اليوم التالى ..

اتصلت بها بالتليفون .. مشغولة .. و .. مشغولة .. وبعد
نصف ساعة استطعت أن اتصل بها ..
— كنت بتكلمى مين ! ؟

— اختى .. سهير ..

وصدقتها .. صدقتها فعلا ..

وفى اليوم الثالث .. والرابع .. والخامس ..

والتليفون مشغول لمدة نصف ساعة .. ثم ثلاثة أرباع الساعة
.. ثم ساعة ..

وبدأت أرتاب ..

وبدعت بمرعة أرتابى .. لا .. مستحيل !

وليلى تستأذننى فى الخروج .. نازلة البلد .. ولم تكن من
عادة ليلى أن تستأذننى عندما تنزل البلد ..

ثم تستأذننى لزيارة احدى صديقاتها .. وحائز شوية !!

وتستأذننى فى زيارة اخنها ..

انها تخرج كل يوم .. ولم تكن هذه عادتها .. والتليفون
مشغول دائما .. ولم تكن هذه عادتها أيضا ..

واشتدت ريبتى ..

واشتدت أكثر ..

ثم نجاة تذكرت الاتفاق الذى كان قد تم بيننا فى يوم من أيام
المسل .. ان تخوننى ، اذا خنتها !!

هل تأكدت ليلى من خيانتى ، وبدأت تخوننى ؟
مستحيل ..

واذا حدث ، فلن أقبل .. ولن أسكت .. اتفاق او لا اتفاق ..
انه اتفاق لا يقره شرع ولا قانون ..

ولكن ليلى لا تخوننى ..
مستحيل ..

مستحيل يا عالم ..

وبدأت أعصابى تتلف .. أصبحت أصرخ فى وجهها بمناسبة ،
وبلا مناسبة .. وأصبحت تقبلنى فأحس انها تقبلنى باقتعال ..
صحيح ان قبلتها حارة طويلة .. ولكن انا ايضا كنت أقبلها قبلات
حارة طويلة عندما اخونها مع المطلقة الصغيرة .. وصحيح انها
تدللنى وتعطينى من نفسها فى سخاء وتفاعل .. ولكن انا ايضا
كنت أعطيها وتفاعل معها أكثر كلما خنتها أكثر ..
وأعصابى تزداد تلقا ..

ولكنى لا أستطيع ان أفهمها .. ولا أستطيع ان أمارحها
بشكوكى . كبريائى وغرورى يمنعانى ..
واستأذنت منى ذلك صباح لتخرج ..
ورفضت ..

صرخت فى وجهها :

— لا ما تخرجيش .. مش كل يوم خروج .

وهزت كتفها فى هدوء .. ولم ترد !

ولكنها خرجت فى اليوم التالى ، بلا اذن .. دون استئذان !
وكنت أجن ..

ولكنى لا أستطيع ان أمارحها بجنونى ، ولا بشكوكى ..
وذات يوم اتصلت بها بالتليفون ..

مشغول ..

وبسرعة اتصلت بلمرة تليفون امها .. الجرس يرن ..
واتصلت بلمرة تليفون اختها .. الجرس يرن .. ولمرة تليفون
صديقتها .. الجرس يرن .. واتصلت بكل تليفونات أمارحها
وصديقاتها .. والجرس دائما يرن .. ومعنى هذا انها لا تحدث
أحدًا من كل هؤلاء .. انها تحدث غريبا عنى .. رجلا غريبا ..
تحدث عشيقها ..

انها تخوننى ..

تخوننى ..

والدماء تفلى فى عروقى .. وبدون ان أدري .. خرجت من
مكتبى أجرى كالمجنون .. وجريت بسيارتى الى اول مأذون ..
وطلقتها ..

طلقت ليلى دون ان تدري ..

وحاولت بعد ان وقعت وثيقة الطلاق ان أهدأ ..

لقد انتقمته ..

ولكنى لم أهدأ ..

ورفعت سماعة التليفون لآلتى فى وجهها بالقبلة .. لقد
أصبحت طالقا ..

ولكن ..

التليفون مشغول ..

وجريت بسيارتى الى البيت ...

ودخلت على أطراف أصابعى لأضبطها وهى تحدث الرجل

الغريب .. لعلها رائدة في الفراش .. بقميص النوم .. وسماعة
التليفون فوق أذنها .. هائمة في حديثها مع عشيقها ..
وعلى باب حجرتها وقفت مشدوها ..
تسمرت كأنى استحلت الى تمثال من رخام ..
ان ليلى جالسة تقرا في كتاب ..
والتليفون بجانبها .. والسماعة مرفوعة !!

ويومها بكيت .. بكيت وأنا واقف عند بابها ..
لقد اكتشفت في لحظة انها لم تكن تخوننى .. ولكنها كانت
تلعب لعبة خطيرة ، لتنتقم منى على خيانتى لها ..
و .. وبكت ليلى أيضا ..
بكت عندما علمت انى طلقتهما .. في لعبة !!
ولكنها جنفت دموعها بسرعة .. ورمعت رأسها .. وجمعت
ارادتها بين يديها .. وخرجت من البيت ..
ومضت ستة شهور أحاول ان أقنعها انها السبب في جنونى ..
انها السبب في كل ما حدث ..
ولكنها لا تقتنع ..
كرامتها الحساسة تغلب ببس وبينها .. وارادتها تخففتى ..
ولكنى لم أياأس .. اننى أحبها ..
وكل ما بقى لى من أمل .. انها تحبنى !

زوجة وخادمة

عندما تزوج مصطفى عبد المال ، العامل بمصنع المنتجات
الحديثة ، كان في التاسعة عشرة من عمره ، وكانت يومئذ عشرين
قرشا ، فاذا خصمنا أيام العطلات ، فان مجموع دخله في الشهر لم
يكن يتجاوز خمسة الجنيهات ونصف الجنيه ..

ولكن الأسطى مصطفى - واقرب أسطى لم يكن يتمتع به الابن
اولاد الحارة - لم يحسب حساب أجره عندما فكر في الزواج ..
لقد تزوج لأنه يجب أن يتزوج .. ولأن كل الناس يتزوجون ..
والرزق على الله !

تزوج الأسطى مصطفى بدافع الاستطراء الى الحياة .. نفس
الدافع الذى دفعه ليبحث لنفسه عن عمل ..
وكما بحث عن عمل لنفسه يحبه ..
فقد بحث عن زوجة يحبها ..

وكان يحب عزيزة ، ابنة الحاج متولى البقال ، الذى يقع دكانه
على ناصية الحارة .. ولم يكن حبه لها حبا عفيفا صارخا .. لم
يكن حبه لها يؤرقه او يدفعه اليها .. كان حبه هادئا ، فيه حنان
وشهامة أكثر مما فيه من اثرة وانفداع .. حبا يعيش معه كما يعيش
حبه لأمه واخته .. بل إنه لم يفكر في الزواج بها ، الا عندما بدأ
يفكر في الزواج .. لقد اكتشف فجأة أن عزيزة ليست اخته ، وأنه
يستطيع أن يتزوجها ..

وكانت عزيزة جميلة .. تمتاز عن كل بنات الحارة بشعرها
الاصفر ، وببياض بشرتها ، وعينيها الملونتين .. ان ابها من المنصورة
.. ولكنها كانت ضعيفة .. هزيلة .. وجهها نحيل .. وقوامها
رقيق .. وصفرة تلون فوق وجنتيها .. وشفتاها ياهتتان ..
وعيناها دائبا مجهدتان .. وربما كان هذا الضعف هو الذى دفع
مصطفى اليها .. كان يعتبر نفسه مسئولاً عنها منذ كان صبيا ..
كان يقولى حمايتها من مشاكلات اولاد الحارة .. وكان يأخذ من
امه نصف الرغيف وقطعة الجبن ، ويجلس معها على عتبة البيت
ليأكلها سويا .. وكانت عينه دائبا عليها ، كلما نزلت الحارة ..
لا يتركها وحدها ، ولا يتركها لاحد ..

ولقد تم زواجه ببساطة ..

قابل عزيزة وهى خارجة من بيتها ملففة بملاعتها السوداء ، وقال
لها وهو يصافحها ، دون ان يخلط صوته :

— تتجوزينى يا عزيزة ؟

ونظرت اليه عزيزة بعينين مبهورتين .. وارتفعت قطرات
حمرء فوق وجنتيها .. ثم لأول مرة — ترفع طرف ملاعتها لتفطى
وجهها عنه .. وربما لتخفى فرحتها .. وجرت من امامه .. عالت
تدخل بيبتها دون ان تجيبه !

وعارضت ام مصطفى فى زواجه من عزيزة ، وصاحت وهى
تخبط يدها على صدرها :

— يا بنى دى ضغفانه وميانه .. دى ما تستحملش جواز ..
والا عاجبك الشعر الاصفر !

ورد عليها مصطفى فى ثبات وثقة :

— دى متربيه معايا يا امه .. ما حدش يستحملنى ويفهمنى
زيها !!

وام مصطفى امرأة طيبة .. وكانت تعلم ان عزيزة طيبة ايضا
.. ستريحها وتريح ابنها .. فسحبت معارضتها بسرعة ، ورجبت
المروء فى بيتها ..

ولم يتغير شيء .. انتقلت عزيزة الى بيت مصطفى .. هذا هو
ال شيء !

ولكن مصطفى اكتشف ان زوجته اكثر ضعفا مما كان يعتقد ..
انها مريضة .. مريضة بالربو .. وكان اكثر ما تحرص عليه عزيزة
هو ان تخفى عن زوجها ضعفها ، ومرضاها ..

كانت تصر على ان تقوم بكل اعمال البيت وحدها .. هى التى
تكنس ، وهى التى تسبح ، وهى التى تغسل ، وهى التى تطبخ ..
تخدمه وتخدم امه .. فاذا احست بنوبة من نوبات الربو على وشك
ان تلم بها جرت الى الحمام ، واغلقت الباب عليها ، وعانت النوبة
وحدها ..

ولاحظ مصطفى كل ما تبذله عزيزة من جهد ، وكل ما تخفيه
عنه ..

وتعزق قلبه .. فقرر ان يصطحبها الى طبيب .. ولكنها
ترفض ..

انها ليست مريضة .. فقط نوبة من البرد لا تلبث ان تزول ..
ومصطفى يعلم انها مريضة .. ويعلم انه يجب ان يصحبها
الى طبيب ..

وعندما بدأ مصطفى يفكر فى اصطحاب زوجته الى طبيب ..
بدأ يفكر فى اجره .. ان اجره لا يكفى ليدفع اتعاب الطبيب ويشترى
الدواء .. لا يتبقى منه شيء !

وكان مصطفى مائلا مائلا .. وكان يعلم انه عاجل ماهر ..
امهر عمال المصنع .. ويعلم انه يستحق زيادة اجره ..

ولكن الطريقة التي يطالب بها بزيادة أجره ، كانت تنتهى دائما برفض طلبه . انه لا يجيد التناقى للأسطى الكبير .. ولا يجيد التناقى للبولظف المسئول .. انه عصبى .. وقد زاده مرض زوجته حدة وعصبية .. وكلما ناقش رئيسه فى زيادة أجره ، وجد نفسه بعد بضعة كلمات يصرخ ، ويثور ، ويسب ، ويلعن .. ولم يزد أجره ..

وأخذ زوجته الى مستشفى مجاى ، ليكشف عليها الطبيب فى العيادة الخارجية .. اضطر أن يضربها لتعترف بمرضها . وتذهب معه الى المستشفى ..

واقترض ليشترى لها الدواء الذى كتبه الطبيب ..

ولكن الدواء لا يقيد .. وهو غير مقتنع بهذا الطبيب ..

وحالة زوجته تسوء .. ورغم ذلك لا تزال تصر على أن تقوم بكل أعمال البيت وحدها .. ثم زادت الحالة سوءا ..

ماتت أمه .. وكانت تتقاضى ثلاثة جنيهات فى الشهر معاش زوجها .. ضاعت !

وحملت زوجته .. وزاد الحمل من مرضها ، وأصبحت نوبات الربو تلاحقها الى حد لم تعد تستطيع أن تخفيها فى الحمام ! وخرج مصطفى من المصنع الذى يعمل فيه .. والتحق بمصنع آخر ..

ترك العمل الذى يحبه ، الى عمل لا يحبه فى سبيل زيادة أجره .. وزيادة الاجر لم تتجاوز خمسة قروش .. أصبحت يوميته خمسة وعشرين قرشا .. واستهلك الزيادة فى علاج زوجته ..

ولكنها لا تشفى .. لا تزال ضعيفة .. كل ما فعله العلاج أن خفف من اثر النوبات عليها ..

وأقضى ما يتعب مصطفى انها لا تزال تصر على أن تقوم بكل أعمال البيت وحدها .. انها ترغب أن يساعدوا أحد من نساء الجيران .. وتفضب أن قام مصطفى من مكانه ليشرب .. يجب أن تاتى بقله الماء بنفسها .. وقد بكت يوم وجدته يغسل بذلته الزرقاء بنفسه .. بكت الى حد الصراخ .. ثم شددت البذلة من يده ، وبدأت تغسلها من جديد .. ويتوسل اليها :

— ما تمعش نفسك يا عزيزه .. عياكى يلزمه الراحة !

وتصرخ فيه :

— ما لكشجعوه .. أنا مش عيانه .. قلت لك الف مره مش عيانه .. أنا أشتكيت لك يا أخى .. !

ويسكت الأسطى مصطفى .. وقلبه يتمزق .. وأحيانا يتوا لها :

— بلاش تطيخى يا عزيزه .. أنا نفسي فى طعبيه سوقى من عند الحاج عظيم ، حاشترها معايا وأنا راجع ..

وتصرخ :

— أبدا .. ما تكلم من السوق أبدا وأنا معاك .. والا طبيخى مش عاجبك يا مصطفى ..

ويسكت مصطفى .. وقلبه يتمزق ..

انه لا يستطيع أن يخفى جزعه عليها .. وهى لا تقبل منه أن يعتبرها مريضة .. انها ليست مريضة .. انها زوجة كاملة ..

تستطيع أن تخدم بيتها ، وتخدم زوجها ..

ويطنها بئنتخ .. ولا تزال تكس .. وتمسح .. وتطبخ .. وتغسل البذلة الزرقاء ..

و . . . وحدث شيء جديد . . .

المصنع الذي يعمل فيه مصطفى . . . ووضعت سياسة جديدة للأجور . . . ارتفع أجر مصطفى مرة واحدة إلى أربعين قرشا في اليوم ، وأصبح يتقاضى أجره حتى عن أيام العطلات الرسمية . . . وفرح مصطفى . . . وبدأ يفكر فيما يفعله بهذه الثروة الجديدة التي هبطت عليه . . .

فكر في أن ينتقل إلى سكن جديد . . . في حي أقل رطوبة . . . في العباسية . . . مثلا . . . لقد قال له الطبيب أن الجو الجاف يريح زوجته . . .

وفكر أن يشتري لنفسه بسكليت يذهب بها إلى عمله . . . أن البسكليت توفر عليه متاعب الأوتوبيس . . .

و . . . فكر أن يتزوج . . . زوجه ثانية . . . وممر برأسه هذا الخاطر مروراً سريعاً . . . وطرده بسرعة وقضب . . . لا . . . لن يكون له زوجة إلا عزيزة . . . سيقتلها لو تزوج غيرها . . .

وابتسم . . . ربما كان أول ما يجب أن يفعله هو أن يستأجر خادمة ترفع عن كاهل عزيزة عبء أعمال البيت . . . تريحتها . . . واتسعت انشغاله . . . ستكون لعزيزة خادمة . . . لم تكن لأمه خادمة ، ولا لأم عزيزة . . . هذه أول مرة تدخل بيتهم خادمة . . .

وأحس بالفرجة تكاد تطير به . . . لن تتعب عزيزة بعد اليوم . . . ولن يجرع عليها . . .

وفي نهاية الأسبوع ، خرج من المصنع بعد أن قبض أجره . . . وذهب إلى شارع الموسيقى . . . واشترى لزوجته ثوبا جديداً . . . لونه أحمر مزين بورد أبيض . . . ثم مر على أم فطوممة التي تبيع الفجل والكرات على باب الحارة . . . واتفق معها على أن تعمل فطوممة عنده . . . خادمة . . . نظير جنيتها في الشهر . . . وصمم على أن يصحب فطوممة معه إلى البيت . . .

ودخل على عزيزة . . . واستقبلته وانشغاله بالجمع من عبيها
أثر مما تدور بين شفتيها اللاهتين . . .

ثم جبت انشغاله عندها انفتحت عينها بوجه فطوممة . . . وهست في صوت لا يسمع :

— أزيك يا فطوممة . . .
وجلجل صوت فطوممة ، كآبة مؤفرد . . . صوت ملء بالصحة والعمانية :

— الله يسلمك يا ست عزيزة . . .

وفتح مصطفى اللقافة التي يحملها ، وصاح في فرح :

— جيت لك فستان جديد يا عزيزة . . . ريفنا فتحها على وعليكى . . .

وأمسكت عريضة القماش بأطراف أصابعها واغتصبت انشغاله وضعتها بين الشفتين الضعيفتين ، وهست :

— ليه بس يا مصطفى . . . ده الفستان اللي عندي لسه جديد . . .

وعادت تنظر إلى فطوممة . . . في حيرة . . . ثم ترمع عينيها إلى مصطفى في حيرة . . .

وقال مصطفى كأنه يطن انتصاره :

— البيت فطوممة حششتغل عندها . . . تخدملك ، وتريحك . . . انفتحت مع أمها خلاص . . .

وانسعت عينا عزيزة كأنها ذعرت . . . وعادت تنظر في وجه زوجها ، وفي وجه فطوممة . . . ثم هست :

— انت كان ناقصك حاجة يا مصطفى ؟

وقال مصطفى :

— ناقصني راحتك . . . من هنا ورايح تقعدى زى الهوانم . . .

والبت فطوممة تخدملك !
وبسكت عزيزة . . . وقفت بجانب زوجها وهو يخلع ثيابه ،

تحمل له جلبابه ثم ناولته المشقة وسارت وراءه الى الحمام ..
واصطدمت عيناها بوجه مطومة . فانطلقت من فمها صرخة كبيرة
.. صرخة اكبر منها :

— املى يا بت اقعدى وراء الباب ، لغاية ما اتدهلك !

ثم بدأت تعد طعام زوجها ..

وتال مصطفى وهو ينسجم :

— ما تخلصى فطومه تسخن الاكل ، واستريحى انتى !

واجابت هزيرة فى حزم ، كاتها — ولأول مرة — نحدى
زوجها :

— لا .. ودى ايه مرغها الت المفوضة دى !

ورفضت عزيزة ان تشاركها فطومة فى أعمال البيت ، او فى
خدمة زوجها .. انه بيتها . وهو زوجها .. وليس لاحد حق فيها
الا هى .. هى التى تستطيع أن تفعل كل شيء .. هى وحدها ..
ان مصطفى لن يجد البيت نظيفا الا اذا كتسته هى .. ولن يسرع
فى ثيابه الا اذا غسلتها له بيديها .. ولن تفتح شهيته لطعام
الا اذا وضعت فيه اناسها .. ن مصطفى لا يستطيع ان يسمنى
عنها ولو استأجر عشر خاديات ..

ومصطفى يصيح وهو مترب على الكتبة :

— هانى قلة اليه يا بت يا فطومه ..

وتقفز عزيزة من جانبها ، وتجرى رغم ضعفها وتحمل قلة الماء ،
وهى تصبح فى فطومة :

— خليكى انت يا بت ..

وفطومة لا تفهم شيئا .. انها فى العاشرة من عمرها ،
لا تستطيع ان تفهم شيئا .. ويرتفع صوتها .. صوته الملىء
بالصحة والعافية .. لتغنى « يا امه القمر ع الباب » وتأكل رغيف
كاملا فى الوجبة .

وبدا مصطفى يتدخل فى عنف .. بدأ يجبر زوجته على ان
تغلى عن أعمال البيت لفطومة .. ويجبرها ان تسريح .. بهذا
.. تراعى صحتها ..

وعزيزة لا تبدأ .. انها تبذل مجهودا .. مجهودا فى تحدى
مطومة ..

ومجهودا فى ضبط اعصابها ، كلما سمعت فطومة سمنى . وكلما
راتها تبذل رغيفا فى كل وجبة ..

ومجهودا فى خدمة زوجها ، وفى اللحاق بطلبانه قبل ان يلحقها
فطومة ..

وساعت صحتها .. بدأت نوبات الربو تتقاع .. وتزداد ضعفا
.. وتزداد هزالا .. وتزداد اصفرارا .. ثم رادت .. لم تعد

تستطيع أن تقوم من الفراش .

ثم ماتت الجنية فى ملتها ..

ومصطفى كالجنون .. يجرى الى الأطباء .. ويجرى ليشتري
الدواء ..

وقلبه يمزق فى لهفة على زوجته .. ويجلس بحانبها ويحنن
راسها ، ويهمس كانه يبكي :

— شدى ديلك يا عزيزة ..

وعزيزة صابئة ، لا تنظر الى زوجها .. عيناها تتبعان
مطومة .. وتئن وهى تراها تمنى زوجها المشقة .. وتئن وهى

تراها تطهر الطعام .. وتئن وهى تراها تكنس .. وتئن وهى
سمعها تغنى « يا امه القمر ع الباب » .. وتئن عندما تخيلها تبذل

رغيف كاملا فى الوجبة الواحدة ..

وتنحى انيتها فى همسة ضمنية ، كاتها تلفظ آخر اناسها :

— مصطفى .. انت هايزنى اخف يا مصطفى !

ورد مصطفى بلهفة صادقة :

— ده أنا أبيع عبرى علشانك يا عزيزة ..

واستطردت عزيزة في همسها الضعيف :

— يبسلى لى عبرك يا مصطفى .. أنا عايزه حاجه واحده سر ..

وانطلق مصطفى يقول :

— الأمري يا عزيزة ..

وهستت عزيزة ورأسها بيميل فوق الوسادة :

— اطرده عطلومه !

وارتفعت الدهشة من عيني مصطفى .. ولكنه كبتها .. وقال في

استسلام :

— حاضر ..

ثم قام وصرخ في عطلومة :

— امشى يا بت ارجعى لأمك .. خلاص مشى عابزينك ..

وابتسمت عزيزة ..

وبدأت تسترد صحتها ..

مسورة

كان الأسطى حنفى العجلانى .. مخلوقا عجيبا .. ضخم الجثة ..
.. سرز العضلات .. مستدير انراس .. متفوخ الخدين .. يخلق
شعره بالموسى .. وينقسم عن أسنان قوية ، بخيل البك أنه يستطيع
أن يبهش بها لحم خروف حي ..

وكان عاوى خناق .. لم يكن يمر يوم الا ويتجمع سكان شارع
بين الحناين ، يحول مكان الأسطى حنفى ليشاهدوه وهو يخوض
خناقة ..

ولم يكن لخناقات الأسطى حنفى سبب معروف .. كان يكتفى
الا يعجب به وجه أى أنسان ، حتى يركز عليه عينيه .. ويجمع
أنفاسه في صدره ، ثم يبaldle بعض كلمات تنتهى حتما بأن يرفع
قبضته الضخمة ويسدها الى وجه خصمه .. وتقوم الخناقة ..

ولم يكن الأسطى حنفى يخرج من هذه الخناقات سالما .. كان
دائما يبدو وهالة سوداء تحت إحدى عينيه .. ودمه ينزف من
أنفه .. أما ضحاياه فغالبا تحلهم عربات الاسفاف ..

ورغم ذلك لم يكن الأسطى حنفى شريرا .. ولا ساخطا ..
كان دائما مبسما ، مرحا ، طيب القلب .. كل ما هنالك أنه كان
يعتقد أن « الخناق صحة » .. وأنه يتناول الخناقات كما يتناول
الناس اقراص الفينامينات .. شيء لبقوية العضلات .. وبشيط
شرايين القلب ، وتهذئة الأعصاب ..

وكانت له ميزة يعرفها كل اناء الحى ، وهو انه لم يكن يستعمل
قوته ابدا ضد ضعيف .. كان ينتقى ضحاياه من الاقوياء او من
مدى القوة .. وكان يكفى ان تنظر الى وجه ضحيته ، واثار
الضرب فيه ، حتى لو لم تكن تمرره ، او تعرف شيئا عنه ..

كان الاسطى حنفى محبوبا من سكان الحى .. الكبار يعرفون
فيه طبيته .. والنساء يرهبنه .. ملا يستطيع واحدة منهن ان تبر
امام دكانه ، وثوبا يكشف عن كتف .. او وهى تنقص فى مشيتها
.. اذ لا تلتصق صرخه الاسطى حنفى ان يلاحقها :

— ما تمشى كويس يا بت .. والا ايه !

وتتندل الفتى فى مشيتها .. وتغطى كتفها .. والاولاد
يعدونه ..

دكانه محاط دائما بكل الاولاد .. يسناجرون منه الدرجات ..
والذى لا يستطيع دفع ايجار دراجة .. ينتظر حتى يمنحه الاسطى
حنفى « دور » مجانا ..

كانوا يحتمون به حتى من آبائهم .. ويحملون له هدايا
صغيرة يسرقونها من بيوتهم .. كعكة .. او شقة بطيخ .. وهو
يعتبر نفسه حاميا لهم .. كل اولاد الحى فى رعايته ..

وحدث ان عين حنذى حديدى من نقطة البوليس .. وحدث ان
صدمه احد الاولاد صدمة عنيفة بالدراجة .. فأمسك الحنذى
بلايب الولد ، وصغمه على فقهه .. وصرخ الاسطى حنفى :

— سييه يا شاويش .. ده مش ادك !

ورد الشاويش :

— اسكت انت مالكشى دخل !

وارتفعت الدماء الى راس الاسطى حنفى المحلوق بالموسى ..
وجمعت انفاسه فى صدره .. وهجم على الحنذى وسدد تمضده
التيه الى وجهه .. فطرحه ارضا ..

وقامت ضاقة .. وسمع جنود البوليس المنجمسون فى
عصم « بال زميلا لهم قد اھين .. فاسرعوا الى شارع بين
البنين .. وتجمعوا حول الاسطى حنفى .. وجروه الى « القسم »
.. هناك اغلقوا عليه غرفة الحجز ، وانهالوا عليه ضربا بالشوم ..
ورفع الاسطى حنفى على الارض .. والشوم ينهال عليه ..
« جنود يصحون فيه قاتلين : قول انا « مرة » ..

وتم يقل الاسطى حنفى انه « مرة » .. ظل يحتفل الصربات
.. بمصر نسيانه على كف يده .. والدب يسيل من راسه المحلوق
الموسى .. وضلوعه تتحطم .. ولا يقول « آى » .. الى تدخل
سابط البوليس ، وقضى الجنود عنه ، وسمح له بالتصرف ..

وقضى الاسطى حنفى يوما واحدا فى بيته ، ثم عاد الى دكانه
.. راسه ملفوف فى الشاش .. مبسما ، فرحا طيب القلب ..
صاح اهل الحى :

— جرى ايه يا اسطى حنفى !

ورد حنفى وهو بضحك :

— طلعوا رجاله ولاد الايه .. ضرموني علقه انما نضام ..

ثم صاح فى حنذى الداورية :

— اتفضل شاي يا شاويش .. وهات عذره معاك !!

وكان للاسطى حنفى دور غريب فى مظاهرات الطلبة عام ١٩٤٨
.. لا يكاد يلمح طلبة مدرسة العباسية الثانوية يسبرون فى
شوارعهم حتى ينفق دكانه .. ويصحب المطاهرين .. يسير بجانبهم
.. على الرصيف .. لم يكن يهتف معهم .. ولا يشترك معهم فى
حملهم الموائس .. وربما كان لا يعلم شيئا عن سر تطاهرهم ..
لا معهم معانى هتاهم .. كان كل ما يحسه ان الاولاد يصيحون
بحطون الفوانيس .. ربما كانوا يلعبون .. وهو يعلم ان

الوليس لا يسمح بهذا اللعب وأنه يضرب الأولاد .. وهو لا يسمح للبوليس بأن يضرب الأولاد ..

ويظل يسير بجانب المظاهرة صامتا ، الى أن يتصدى لها البوليس المسلح بالعصى .. وهنا يتحرك الاسطى حنفى .. يتخفف نفسه داخل الصفوف .. ناذا استطاع احد الجنود ان يلحق بطالب .. كان اسرع اليه منه ، واتهال على الجدى ضربا .. ثم جندى آخر .. وثالث .. ورابع ..

وكان الاسطى حنفى يخرج من هذه المظاهرات مصروبا اكثر من اى طالب .. ولكنه كان يمود سعيدا .. ويفتح مكانه .. ويجلس على سائده ، وهو يمسح الدم الذي يسيل من اذنه .. مندبلة الاحمر الملوثة ببقع الزيت .. فيصبح كأنه يضحك :

— هم الأولاد دول مش حايطلوا لعب .. والا ليه ؟ !

ثم يرد على نفسه وضحكته تملأ وجهه : ايه !!

شيء غريب كان يحدث في دكان الاسطى حنفى بين الحين والحين ..

كان يروره في فترات متباعدة ، رجل نحيل ، قصير اصفر الوجه تبرز عروقه من تحت جلده ، ويلبس جلبانا بلديا ، ويمسك في يده خيزرانة .. شكله منفر .. يجعلك تتعد عنه كأنه مريض مرض معد .. وعيناه مفتحتان كأنه مستيقظ لنوه بعد سهر حشيش ، وشفتاه رففعتان يصورهما مواء كأنهما ملوثتان بالطين .. ولا يكاد الاسطى حنفى يرى هذا الشخص قادما ، حتى تحنفي اسماينه وتنطفئ لمة عينيه .. وينكش على نفسه .. ثم يقوم يستقبله ورأسه منكسر .. ويقدم له متعدا ، يجلس عليه الرجل في كبرياء منفر ، وهو يقول :

— ازيك يا حنفى .. ازى الأحوال !!

يرد عليه حنفى في صوت حفيظ :
اآه سالك نامعلم ..

لا مرفع رأسه .. ولا يسم .. ولا يكلم ..

حتى عندما يدخل الأولاد ليسنجروا الفراجات لا يبتسم لهم .. ولا يقوم لهم .. ولا يحدثهم .. يتركهم يأخذون الحلات .. ثم يمد يده في سمت يتناول قيمة الإبحار ..

والرجل الاصفر جالس .. ساق فوق ساق .. ينظر بعينه لمسختين موله ، ويصق على الأرض كأنه يبصق على الحى كله وعلى من معه .. ويقر على باب الدكان بطرف الخيزرانة التي حملها في يده .. ثم يطلب شبة .. ويطلب قهوة .. ويطلب حائر جولد فلاك ..

وحنفى جالس صامتا ذليلا .. يلبي طلبات المعلم في سمت .. ثم يقول المعلم :

— قوم بيئا يا حنفى ..

ويقوم حنفى منكسرا ، يطلق باب الدكان ، ثم يسير خلف المعلم .. بينه وبينه خطوات .. الرجل النحيل المريض المفر .. يسير في المقدمة مرفوع الرأس في زهر ثقيل .. وحنفى بجنته الضحبة .. رأسه المستدير يسير خلفه في دل ، كأنه غوريلا مقيدة بالسلاسل ، تودها صاحبها ..

ولم يكن احد يعلم أين يذهب الاسطى حنفى كل ليلة .. انه لا يسكن في الحى .. ولا احد يعلم أين يسكن .. كان البعض يقول انه يسكن في هي الباطنية .. والبعض يقول انه يسكن في الحمدي .. ولكن لا احد يعرف على وجه التأكيد .. ولم يكن اسطى حنفى يصرح بعنوان سكنه .. وعندما سألته الاسطى مهمى لكوحي أين يسكن : اجله ولعة التهديد في عينيه :

— مش عاجبك الدكان والا ايه يا اسطى ؟ !

لم لم يكن احد يعلم شيئا عن حياة حنفى الخاصة .. لم نكن
نعلم هل هو متزوج ام اعزب .. وهل عنده اولاد ام لا .. وسأله
مرة عبد العزيز شكرى الطالب بمدرسة العباسية :

— انت ما عندكش اولاد يا اسطى حنفى ؟

واجاب حنفى ضاحكا :

— شايف الاولاد دول كلهم . بقوا اولادى .. وانت كمان تنفى
من اولادى .. خذ المحله واتوكل !

ولم يكن احد يهتم كثيرا بحياة الاسطى حنفى الخاصة ، ولا
معنوا بربه .. كانت هذه الاسئلة تمر سريعا على السنة اهالى
الحى ثم تختفى دون ان تعقب شيئا من الاهتمام .. فحنفى كان
قطعة من الحى .. واخذ اهله كبا هو .. وعاشروه سنوات
طويلة .. حتى اكتفوا بما يبدو منه اياهم ..

كان كل ما يثير الاهتمام هو هذا الرجل المنفر الذى لا يعرفه
احد ، والذى يتردد على حنفى فى فترات متعاعدة .. وكذا تتسائل
كيف يطبق الاسطى حنفى هذا الوجه المنفر ، وهو الذى لا يطبق اى
خلاقة منفره ..

لماذا لا يضربه ؟ لماذا ينكس راسه امامه ؟ لما يسكت للبصقات
التي يصبقتها الرجل على ارض الشارع ، وكأنه يصبقتها على الحى
كله .. وعلى من فيه ..

ثم أين يذهبان عقب كل زياره ؟ لم يكن احد يستطيع الجواب .
وكان الاسطى حنفى يعود فى اليوم التالى . ويفتح دكانه ..
يبشسا كماداته ، مرجا ، طيب القلب .. يبحث عن خناقة ..

ودات يوم .. كنا — ونحن اطفال الحى — مجتمعين داخل دكان
الاسطى حنفى .. وهو يمرح معنا كماداته .. يروى لنا قصص

اسنانه و .. ينشعلق ؟ ثلاثة منا فى ذراعه نبرعنا دفعة واحدة ..
سحك

ونجاة اطل علينا وجه الرجل النحيل الاصفر .. عيناه اكثر
رشفاه اكثر سوادا .. وعروقه اكثر بروزا من تحت
.. .. ويضرب بخيزرانه طرف جنبابه بعصبية .. وصاح فى
.. رت اجشى :

— طلع العيال دول بره يا حنفى !!

وارنك الاسطى حنفى .. وانطفأت اللبحة فى عينيه .. ونكس
رأسه .. وتقصد العرق من جبينه .. وانفدنا خارج الدكان
مروبا من الوجه المنفر ..

ودفع الرجل ضلفة الدكان بطرف خيزرانه فاعلتها ..
والاسطى حنفى مسمر فى مكانه ..
ونقلرنا من ثقب باب الدكان ..

ان الرجل النحيل يرفع خيزرانه ويتعال بها على الاسطى
حنفى على صدره .. على وجهه .. على رأسه ..

والاسطى حنفى يهمس فى ذل وهو مسمر فى مكانه .
— عيب يا معلم .. ما يصحش يا معلم .. احنا فى الدكان
يا معلم ..

والرجل لا يتكلم .. يجز على اسنانه .. وبريق مخيف ينطق
من عينيه .. ويرفع خيزرانه وينال بها على الاسطى حنفى ..
على صدره .. وعلى وجهه .. وعلى رأسه ..
ثم تعب .. وقال وهو يلتقط أنفاسه :

— باللا بينا ..

وفتح باب الدكان .. وخرج الاثنان ..
وفى هذه المرة سار الاسطى حنفى فى المقدمة .. فليلا .

ينكس الرأس .. والرجل يسير خلفه مرموع الرأس فى كبرياء
ثقله ، وهو يضرب طرف جلده بخيزرانتة ..

واهالى الحى ينظرون اليهما فى صمت .. ودهشة ..
وما كادا سعدان حتى اذاع الاطفال قصة الحلقة التى اخذه
الاسطى حنفى من الرجل النحيل الأصفر .. وتجمع اهالى الحى
فى جلقات ينكلمون .. كلاما كثيرا .. كلامهم تساؤل ، وتساؤلهم
لا ينتهى الا الى تساؤل آخر ..

وفى الصباح القالى .. فوجئنا بديكان الاسطى حنفى ممنوحا
على مصراعيه ، وهو خال من الدراجات ، ومن كل ما فيه .. وقال
جندي البوليس ان حنفى جاء فى الليل .. وحمل كل ما فى مكانه ..
وذهب ..

اختفى حنفى .. اختفى الى اليوم .. والى اليوم لا اعرف
اين ذهب حنفى .. !

مغامرة

وصل الى باريس بعد ان قضى خمسة شهور يطوف دول اوربا
و عمل شاق .. خمسة شهور كل يوم فيها كأنه مسمار يدق فى
راسه .. لا يكاد يمتنى من مقابله مدير مصنع .. حتى يدخل فى
مناقشته مع لجنة من اللجان الاقتصادية ثم يخرج ليتناول الطعام
على مائدة صغير .. ثم يطير الى بلد جديد ليتناول مديرا آخر ..
ولجنة .. ويتناول الطعام على مائدة صغير !

وقرر ان يطير الى باريس .. ليستريح .. يستريح من المديرين
واللجان ، والسفراء .. أربعة ايام فقط ، يستأنف بعدها جولته فى
دول اوربا ..

ولا يدري لماذا اختار باريس .. ان جوها فى هذه الايام ،
حار .. العن من جو القاهرة .. ثم انه يعلم ان الاضطرابات
السياسية تسودها ..

ورغم ذلك اكنار باريس .. ربما لان له فى باريس ذكريات
تدبيرة .. ولان اسم « باريس » لا يزال يثير فى خياله صورة للحياة
المطلقة .. رهو فى حاجة الى الانطلاق .. فى حاجة الى ان يعوض
هذا الحرس الطويل الذى عاشر فيه .. وفى حاجة الى ان يروى
عواطفه التى جمعت واصبحت كمواد من الخشب ينزع فى صدره ..
يروىها ولو بجرعات من الوهم ..

وذهب الى فندق فى شارع سان جرمان بالحى اللاتينية ..

واختار هذا الفندق بالذات ، ليعتد عن كل المظاهر الرسمية ،
ليختفى عن أمين المحبرين والسفراء الذين يلتقى بهم فى احياء
لاريس الفخمة .. و .. وليستعيد فكريات الأيام القديمة .. عندما
كان شابا .. وكانت حياته ضحكة عالية ، لا تكلفه شيئا
الا شبابه ..

ووقف امام موظف الفندق .. اريد غرفة ..

ونظر اليه موظف الفندق بعينين ضيقتين ، ثم هز راسه وقال
وبين شفوية انتسامة مأكرة : آسف .. ليس عندنا غرف خالية ..
ورد عليه فى توسل : أرجوك .. انى متعب .. ونحن فى آخر
الليل .. ابحت لى عن أى غرفة عندكم .. أربعة أيام فقط ..

وهز الموظف راسه مرة ثانية : آسف ..

وعاد يقول وهو يضع يده فى جيبه : أرجوك ..

وأخرج ملتحى فرنك ودسها فى يد الموظف .. والتفت اصابع
الموظف بسرعة حول الفرنكات ثم تظاهر بأنه يفكر ، وقال :

— عندى غرفة تقيم فيها آتسة ، ولكنها سافرت لقضاء أسبوع
فى الريف .. تستطيع أن تقيم فيها .. ولكن أربعة أيام فقط
وتستعد لتركها فى أى لحظة لو عادت الآتسة فجأة ..

ووافق .. عاد الموظف الى الغرفة .. ووقف يدير عينيه
حواله ..

على المائدة مجموعة من الكتب والمحلات .. وعلى المصحف
توب احمر معلق فى اهبال .. وامام المرأة بقايا من انبوبة معجون
الأسنان .. ومشط .. وبعض عشبك الشجر .. و .. قيسم
يوم حريرى ملقى على الفراش .. وعطر هادى ، ماعم بجلا انه
وجلس على حافة الفراش وهو يتنسم .. وسطر حوله ..
قام وغير ثيابه .. ارتدى البجباب .. وقل ان برمح لعلنا الله ..

غطت عيناه مرة ثانية فوق قميمص النوم .. فابتسم واحسن له
بعد هذه الابتسامة كانه يسخر بها مما يراه ، وأزاح القميمص ..
بدس داخل الفراش .. وحاول أن ينام .. انه متعب .. وسببه
.. ولكنه لم يذم .. رائحة العطر الهادى ، الناعم تتسلل من فوق
بوسادة وتملا انفه .. وتدغدغ اعصابه وقام من الفراش ..

خير له ان يفرغ حقيقته ، ويرتب ثيابه فى الدواليب .. لعله
بعد ذلك ينام ..

ومد يده ليفتح الدولاب .. وتردد ..

احسن ان ليس من حقه ان يفتح الدولاب .. احسن كانه بهم بان
تكب جريمة .. تجسس او سرقة .. وتقاوم احساسه ، وفتح
الدولاب ..

سعى الدولاب ثوبان معلقان احدهما من الصوف الأبيض ،
والآخر ثوب للمساء من الحرير منقوش بالورد .. وفى قاع
الدولاب حذاء .. كعب عال .. عال جدا .. لابد ان صاحبه
عصيرة .. وتوق الرف العلوى من الدولاب .. قسمة .. قسمة
مصحكة .. دما حفيف !

وأزاح الثوبين .. وعلق بجانب البذلتين اللذين اخرجهما من
حقيقته .. ووقف برهة يتطلع الى منظر البذلتين بجانب الثوبين
وعاد يبتسم .. ان هذه هى المرة الاولى التى تتدلى فيها احدى
بذلاته بجانب فستان .. انه يبدو كدولاب رجل متزوج .. لو كان
يتزوجا لكان هذا فستان زوجته ..

وسرح خياله .. وحاول ان يعرج باقى ما فى خنقه من
ثيابه .. ولكنه لم يفعل .. عاد واندى فى فراشه .. وحياله معه
.. وحياله يجره الى بعيد .. ثم رفع رأسه وألقى بطرة احيرة على
ميمص النوم الذى اتاه على حافة السرير .. وأطفا النور ..

ونام نوما هائلا .. نام مع حياله ..

وفتح عينيه في اليوم التالي .. وما كاد يديرهما حوله ..
حتى تذكر .. أنه في غرفة الأنسة .. ترى ما اسمها ؟ !

وقام يغتسل وهو يحس احساسا جارفا ، بأنه ليس وحده في
الغرفة .. معه انسان آخر .. صاحبة هذا القميص ، وأحس
بالارتباك .. أحس كأن هذا القميص يراقبه ..

وبدا يغسل لسنانه .. أنه حرك الفرشاة في رقة ورشاقة ..
وعندما يتغذى الماء من فيه ، يتغذى بهدوء وبلا صوت .. كأنها معه
.. صاحبة القميص ..

وبدا يستعد للاستحمام .. وهم بأن يخلع ثيابه .. وله
شعر بنوع من الجباء .. ولم يضع ثيابه في الغرفة .. ليس أمام
القميص والثوب الأحمر المعلق .. دخل الحمام أولا ، وأغلق الباب
وراءه ، ثم خلع ثيابه ..

وخرج من الحمام ، ووقف وسط الغرفة لا يدري ماذا يفعل
أولا .. والقميص ملقى على حافة انفراش ، والثوب الأحمر ملقى
على المشجب ..

وبعد فترة بدأ يفرغ ما بقى في حقيبته من ثياب .. وهم أن
يفتح الدولاب .. وتردد .. وتردد كثيرا .. خيل إليه أنه لو صاح
مسيحاها منظر عجيب .. ربما رجد البذلتين .. ثمانتان الثور ..

وفتح الدولاب .. البذلتان والثوبان .. في حالة هدوء !

وفتح الضلفة الأخرى .. يرى مجموعة من الثياب الدامنة
النسائية .. وأحمر وجهه .. وأغلق الضلفة بسرعة ..

وأخذ يرمي ثيابه الداخلية في مكان آخر من الدولاب ..
نائه .. يعيش في خياله .. ترى من هي صاحبة هذه الثياب

وقلب في مجموعة الجلات الملقاة على المائدة .. أنها ..

جلال أنياء .. طبعيا .. فتاة في باريس لا يهمها أن تقرأ إلا
جلات الأنياء .. ولكن .. ما هذا .. نشرة البنك الإهلي الفرنسي
.. وتعجب .. ماذا أتى بهذه النشرة إلى هنا .. في غرفة الأنسة !
غلب في مجموعة الكتب .. كتاب في الاقتصاد .. وكتاب في
أعمال البنوك .. وكتاب لمسيون دي بوقوار .. وقصة لفرانسوار
ساجان ..

ورفع حاديه في دهشة .. ربما كانت موظفة في احد البنوك
.. وهي مثله تدرس الاقتصاد ، ولكن الاقتصاد لم يشغلها عن
الآلب .. والأزياء ، والجمال .. وأحس أنه قريب منها .. قريب
حدا ..

والتي بالكتب والمحلات .. وعاد ينظر حوله .. وفي المائدة
درج .. هم أن يفتحه .. هذا تجسس .. أنه ليس في حاجة إلى
هذا الدرج .. فلماذا يفتحه .. أنه لا يريد أن يتجسس .. أنه
حس احساسا عميقا بأنه أمين على كل ما حوله .. كأن الأنسة
عرفه وعهنت إليه مفرقتها ، لثمنتها فيه .. ثقتها في أمانته ..

وبدا يرتدي ثيابه .. وهو يفكر في الدرج المعلق .. ويقاوم
كل اعصائه ورغبته في أن يفتحه .. وأكمل ارتداء ثيابه ..

ولكنه لا يستطيع أن يخرج من الغرفة .. شيء يبقيه ..
احساس أقوى منه .. ويقاوم .. شد ساقيه ليخرج .. ومنح الباب
.. ولكنه لم يخرج .. اندفع مرة واحدة ناحية الدرج .. ومنحه ..
.. في الدرج مجموعة من الخطابات ..

لا .. لن يقرأ الخطابات .. وأقل الدرج بسرعة ..

وخرج في خطى سريعة .. خرج ليجلس على مقهى قريب من
الفندق تناول فيه افطاره .. ولكنه لا يستطيع أن يستريح على
مقعده .. ولا يستطيع أن يتفوق ما يأكله .. واشترى جريدة ..

عيناه لا تستطيعان أن تتبععا السطور .. عيناه وراء خياله ..
ومسح الجزمة .. وحاول أن يتشاكل بتتبع المارين .. ولكنه
لا يستطيع أن يستقر .. لا يستطيع أن يهدأ .. وقام ..

مسيذهب إلى اللوفر .. ولكنه لم يذهب إلى اللوفر .. وسر
في خطى سريعة عائدا إلى الفندق .. وصعد الدرجات قفزاً
وفضل الغرفة كأنه يقتحمها .. وفتح الدرج في عنف .. وأحضر
مجموعة الخطابات وفتح الخطاب الأول وهو واقف ويده ترتعش
.. وقراه « جانيت .. شيري » .. وابتمس ..

إن اسمها جانيت .. وجلس في المقعد المريح يقرأ الخطابات
.. وعرف منها كل شيء .. عرف لون شعرها .. أصفر غامق ..
ولو عينها .. زرقاوان .. وعرف أين كانت الشهر الماضي ..
وأين هي الآن .. و .. و .. كل التفاصيل .. أدق التفاصيل ..
والخطابات كلها خطابات حب .. حب كبير .. وحبها اسمه أرمين
.. ولكن هناك خطابات أخرى من حبيب سابق .. اسمه فيليب ..
لقد كانت في الساعة عشرة عندما أحبت فيليب .. وهي الآن في
الخامسة والعشرين .. ولا تزال تحتفظ بخطاباته .. ترى هل
أحبت فيليب أكثر مما أحبت أرمين ..

وتبته .. الساعة وصلت الحامسة .. ولم يتناول غذاءه بعد ..
ولكنه لا يشعر بجوع .. لا يريد أن يأكل .. ومال رأسه ..
الوراء .. واستندها على حافة المقعد .. وأخذ يرسم صورة لأرمين ..
وصورة لفيليب .. وصورة لها .. وأحس أنه مضطرب من
وفيليب .. لا يدرى لماذا .. ولكنه مقتناظ منهما ..

ونفاجاة قام من على مقعده .. وأخذ يفتح كل الأدراج في الفناء
.. لأبدي أن لها صورة في درج من هذه الأدراج .. ووجد
صورته ..

وشفق .. انها جميلة .. أجمل من خياله .. ليس هذا الجمال
الذي يريه الناس .. ولكنه جمال هادئ .. ينبض بالحنان .. ويتدفق
شخصية قوية .. الجمال الذي يبحث عنه طول عمره ..
وأمسك صورته في يده يطلق فيها .. لا يفعل شيئا إلا أن يخلق
مها .. وهو هادئ .. والساعة التاسعة ..

لا بد أن يكمل شيئا .. انه لم يكمل منذ الصباح .. وأعاد
نصرة داخل الدرج .. ولكنه عاد وأخرجها .. واستندها على المرأة
موق مائدة الزينة .. ونظر إليها في حنان .. وقال في همس :
سأعود حالا .. وأخرج ليتناول عشاءه ..

وغسل هواء الليل رأسه ورطب خياله .. فلفاق .. وأخذ
يصحك من نفسه .. هل جاء إلى باريس ليجلس في غرفة يفندق
درجة ثانية بجري بخياله وراء امرأة لا يعرفها .. ما هذا الجنون
.. لقد جاء إلى باريس ليمرح ويضحك وينطلق .. إذن .. فليمرح ..
ولينطلق .. وتناول عشاءه .. وشرب كأسا ..

ثم ذهب إلى كباريه .. وشرب كأسا .. وكأسا أخرى .. وحاول
أن يركز خياله في الراقصات الثلاث يرقصن أمامه .. حاول أن
يختار منهن واحدة .. ولكن خياله عاد إلى غرفته .. إلى الصورة
لمستدة إلى المرأة .. والخمر تلهب خياله أكثر ..

وجرى خارجا من الكباريه .. جرى إلى غرفته ..

وأمسك بالصورة .. ونظر إليها كأنه يعتذر لها .. لأنه تأخر
ثم أتته إلى السرير .. فرد عليه تمهيد النوم .. ووضع الصورة في
مكان فتحة الرأس .. وابتمس .. ثم ضحك .. ثم ارتفعت
صحاكه .. كأنه جن .. ثم .. أرتدى فوق الصورة يقبلها ..
ويقبلها أكثر .. والخمر تنقل رأسه .. وبالم .. والصورة تحت
شعنيه ..

— بردون .

ثم أسرع وركب سيارة أجره ، وعاد الى الفندق .. وجمع ثيابه بسرعة ، ودفع حسابه ، وخرج .. دون أن ينظر الى صورة جليته ..

وفي المطار .. أرسل برقية الى مركز المؤسسة في القاهرة ..
« لنى متمب .. منحت نفسي اجازة عشرة ايام .. اجلت كل مواعيد العمل » .

وتضى العشرة الايام في سويسرا على شاطئ بحيرة لوزان ..
ثم عاد يطير من بلد الى بلد ، ويتبادل المديرين ، ويناقش اللجان .
ويتناول الطعام على موائد السفراء ..

بنت تبهت من زوج

عزيزى احسان :

كنت دائما اعرف ما أريد .. وكنت لى الارادة لاحقق ما أريد .
وقد أردت ان احصل على شهادة جامعية .. وحصلت عليها
وأردت ان اعمل .. وعملت .. التقيت بوظيفة فى احدى الشركات
.. ثم أردت ان اكبر وظيفتى .. وكبرت .. أصبح مرتبى اكثر من
حمسين جنيهًا .. وأصبح عمري ثلاثين عاما .. وقد فعلت كل
ذلك دون ان يعاوننى احد .. أبى مات وأنا فى السادسة عشرة ..
وأبى لم تكن تريد لى ان اتعلم أو اشغل .. كانت تريد ان تزوجنى
كما زوجت أختى الأصغر منى .. ولكنى لم اكن كالأختى .. أختى
انسانة ضعيفة تتشعث بذيل أمها .. وتحتاج دائما الى من يدلها ،
ومن يرعاها ، ومن يفكر لها ويحدد لها طريق حياتها .. أما أنا ..
فلست من هذا الصنف الضعيف ، ولست فى حاجة الى من يدللى
أو يرعائى .. أنا انسانة قوية .. لا أؤمن بانى لكى اكون امرأة
يجب ان اكون ضعيفة ..

ولم تكف أبى عن الانحاح على بان اتزوج .. وكنت أعلم انى
فى حاجة الى الزواج .. على الأقل من الناحية الصحية ..
ولكنى لم اكن أريد ان اتزوج اى رجل .. كانت هناك صورة
معينة فى رأسى للرجل الذى أريده .. وكان على ان انتظر الى ان
أجده .. كما وجدت الشهادة الجامعية .. وكما وجدت الوظيفة

.. وليس معنى هذا انى لست عاطفية .. بالعكس .. انا عاطفية جدا .. ولكنى لا اسمح ابدا لعاطفتى ان تغلب على .. وعقلي يحدد لى ما اريده وعلى عاطفتى ان تنتظر .. وقد تعذبت كثيرا حتى اتت عاطفتى بالانتظار .. ومرت على لىالى كثيرة كنت اشعر فيها بوحدة تائلة .. وحدة تكاد تدفعنى الى احضان اى شاب يصادفنى .. لبيد وحدى ولو لمدة ساعة .. ليهدىء من موافى المشتعلة ، وجسدى المحوم ... ولكن .. لا .. على دائما اقوى من عاطفتى .. معها تعذبت ومهما قاسيت على دائما .. معى ..

وعلى يدى لى حياتى .. كل تفاصيل حياتى .. حتى الميزانية التى اصرف على اساسها مرتبى ، احسبها بالليم ، وافكر فى كل لليم كائى افكر فى عشرة جنيهات .. وليس معنى هذا انى بخيلة .. ابدا انى احب الثياب الانيقة ، واحب الذهاب الى السينما ، واحب ان ارقص .. احب ان اتمتع بالحياة .. وادفع ثمن متعتى .. ولكنى لست عبيطة .. لا ادفع فى شىء اكثر مما يستحقه .. ثم انى مقتنعة نهالما بالحويش منذ ان كان مرتبى خمسة عشر هنيهة وانا احوش .. وارتفع رصيدى فى البنك .. وكنت مقتنعة بان هذا الرصيد هو ضمان حريتى .. فان الفتر يسلب الحرية .. اعدى اعداء الحرية هو الفتر .. فاذا اردت ان اميش حرة — كما انا الان فيجب ان يكون لى رصيد فى ابلك .. ومن رصيدى اشتريت سيارة صغيرة .. ومن رصيدى استطعت ان اؤثث شقة صغيرة اسكن فيها .. وحدى ..

وكان لهذه الشقة قصة ..

فقد توفيت امى بعد ان تخرجت فى الجامعة بسنتين .. وانتقلت انا واخى الصغير لنميش فى بيت خالتى .. وبدأت خالتى تتدخل فى حياتى .. تسالنى عن كل كبيرة وصغيرة .. ثم بدأت تلتقى

الى اوامرها .. لا تاخري من الساعة الثامنة مساء .. لا تتحدثى كثيرا فى التليفون .. و .. وتحدثتها سنتين ، لم يقنع على خلالها لتصور انى استطع ان اميش وحيدة .. ولم استطع ان اقنع خالتى خلالها بان تعبرنى كائى اميش معا فى بنسيون .. ما دمت اشاركها فى دفع الايجار وفى مصاريف البيت والطعام .. ثم بدأت اتساءل : لماذا لا اقيم وحدى .. انا واخى الصغير .. انا حرة .. انا قوية .. انا اكسب عيشى .. انا لا اعتمد على احد .. واقتنع على اخيرا .. اقتنع بسخالة التقاليد التى تحرم متاة قادرة من ان تسكن فى شقة وحدها .. واقتنع بان من حقى ان اسكن وحدى .. وسكنت وحدى .. انا واخى الصغير .. وفى بيتى رايدو ، وبيك آب ، وتليفون .. بيتى جريح ، انيق ، دمه حفيف ..

ولم يؤثر سكناى وحدى فى حياتى .. انا كما انا .. وعقلي دائما معى ..

ولكنى لم ابدا قصصى بعد .. ان قصتى تبدأ عندما سافرت منذ عابى الى الاسكندرية لافضى خمسة عشر يوما من اجازتى .. وازدادت فى الاسكندرية احساسا بوحدى .. هذا الاحساس الذى يحذبنى ، ويكوى عاطفتى المحرومة ..

وفى يوم لم اطلق المكث فى البنسيون الذى اقيم فيه ، وخرجت فى الساعة الرابعة بعد الظهر الى الشاطئ وانا ازر انفاسى .. والناس على الشاطئ يلعبون ، ويضحكون ، ويتبادلون الغزل .. وزهرات انفاسى تشتد .. ثم تذكرت ان لى صديقة احتفظ برتم تليفونها .. لعلها تستطيع ان تدد وحدى .. وسرت على الشاطئ .. ابحت عن تليفون .. ورفعت رأسى الى أول شاب صادفتنى اسأله :

— من ممالك .. ما نميش تليفون هنا !

ورد في هدوء :

— تعالى .

وسار بجانبى .. ونظرت اليه مرة أخرى .. ان وجهه نحيل
وشفتاه وحيبتان .. وعيناه تملآن وجهه .. وشعره اسود يطير
مع الهواء .. انه جميل .. وقد كنت في حالة تجعلنى اتعبد البحث
عن الجمال في وجوه الرجال ..
وقال لى وهو يسير بجانبى :

— دلوقت حتلاقى طابور ، واقف قدام التلفزيون .. انما
ولا يهيك ..

وسار بى الى كشك الاسعاف .. ووجدت الطابور الطويل
فعلا .. ولكنه اخذ منى نبرة التلفزيون .. ثم وجدته يدخل الى
الكشك ويحدث رجل الاسعاف واخذ رجل الاسعاف الساعة من
يد آخر المتحدثين ، وطلب لى نهرتى ..
النمرة لا ترد ..

وعاد الى محمود .. عاد يسير بجانبى .. ولم اعترض ..
صرت معه على الشاطئ وبدأنا نتحدث .. وانا اسائل عقلى الى اى
حد استطيع ان استمر في الحديث .. وعقلى لا يجيب .. عقلى
مجهد ، تعب .. عقلى فى اجازة ..
ودعائى محمود لتناول الشاي ..

صرخ كالطفل :

— نروح نأخذ الشاي في المنتزه ..

ووافقت .. وتركنا الشاطئ الى حيث تقف سيارتى .. ورايت
عينى محمود تردادان اتساعا وهو ينظر الى السيارة وقال كانه
يشفق :

— انتى عندك عريه ؟

وجلس بجانبى وهو يتحسس اجزاء السيارة ، ويعت

امامتيحها ، ويسألنى عنها .. تكام ؟ ومنين ؟ ويتأخذ كام جالون ؟
و .. و .. و .. وانا سعيدة بفرحته بسيارتى .. خيل لى انى لم افرح
به السيارة الا عندما فرح بها محمود ..

وتركنى محمود بعد ان تناولنا الشاي .. وبعد ان تواعدنا على
المقاء في اليوم التالي .. تركنى وانا نادمة ..

لماذا لم ادعه ياخذنى لتناول العشاء سويا ..

لماذا لم ادعه يقبلنى .. لماذا افرض على نفسى هذه الوحدة ..
هذا العذاب .. هذا الحرمان .. على الاقل يجب ان اراعى
صحتى ..

وقد عرفت غيبا بعد ان محمود لم يدعنى يوتها الى العشاء لانه
لم يكن يهلك نهن العشاء .. انه فقير .. موظف فى بنك ..

ومقره لم يمنعنى من ان اسمر معه .. وان اتمادى .. ولم
يس محمود اول شاب يقبلنى .. لقد حربت شفتائى القلات من
.. لى .. فى حدود معتولة .. فقط لاحافظ على جالتي الصحية
.. لى لم اكن اسمح بان تنتهى لى هذه القلات الى الارتباط بعلاقة
.. استديمية منظمة .. لم اكن اسمح لنفسي ابدا بالارتباط الا بالرجل
.. دى اريد ان اتزوجه .. والذين مروا فى حياتى لم يكن بينهم رجل
ايده زوجا .. ما عدا محمود ..

لقد ارتبطت به .. تطورت ملاقتنا بسرمة عجيبة .. ورايت فى
للى فتاة لم اكن اعرفها .. واذاكر فى هذه الفترة حادثة صغيرة
.. لى على مدى التغير الذى اصابى ..

كنا ما زلنا فى الاسكندرية .. فى الاسابيع الاولى من علاقتنا
.. ووقفنا بسيارتى ذات مساع فى شارع قريب من حديقة الزهرة
.. ادلنا القلات .. ثم اتفقتا ان نذهب لتناول العشاء فى مطعم
استرودس .. وكل منا يدفع حسابه ..

وعندما خرجنا الى الشوارع المضيئة .. رايت وجه محب
« ملغبط » باحمر شفتي .. ولم اتكلم .. لم الفت نظره .. احسست
بزهو عجيب وأنا ارى بصمات شفتي فوق هذا الوجه الجميل ..
« دخلنا المطعم .. واحسست بزهو اكبر وأنا ارى الناس كلهم
تتطلع في وجه محمود .. ثم تتطلع الى .. وتبتسم .. كنت كائن
اصرخ في الناس فخورة .. هذه بصمات شفتي .. وهذا الوجه
كلت اقله ، وكان يقبلني .. !

وهمس محمود :

— الناس يتنص كده ليه ؟

واجبته وأنا اخفي شحكتي :

— وشك كله روج !

واخرج منديله وومض آثار شفتي بسرعة وارثاك ..

الى هذا الحد غدت عقلى .. ولكن .. هل اتزوجه .. هل
اتزوج محمود ؟ لا ..

عقلى يقول لى : لا ، ويمصر .. لا .. انه ليس الرجل الذى
اريد .. ليس الرجل الذى وضعت في ميزانية حياتى التى حددتها
من صغرى .. انه فقير .. ولا يحمل الا شهادة متوسطة .. وهو
اصغر منى بسنه .. ولا يطبق حمل المسؤولية .. انه حتى لا يحمل
مسئولية نفسه .. لا يفكر فى مستقبله ، ولا يريد أن يكبر .. انه
فقط شاب جميل .. مثل .. حبيب !

ومضى عابان وملاقتنا مستمرة .. ولم اعترف بينى وبين نفسى
خلال هذين العامين أن ما بينى وبين محمود هو حب .. ابدأ ..
انها مجرد ملاقة مريحة .. صحية !

انسان .. يرتاح أحدهما الى الآخر .. ويحتاج كل منهما الى
الآخر ..

وقد تحدثنا فى الزواج عدة مرات خلال هذين العامين ..

وكنت أحس أن محمود يريد أن يصل بالحديث الى أن يعرض على
الزواج .. ولكنى كنت أفوت عليه هذه .. وكنت أستطيع دأب
أن اتعمه بأن طريقنا هو أن يكبر كل منا فى عمله .. وأن نحتفظ
بعلاقتنا كما هى .. مريحة ، وصحية ! .. وكنت أشعر بنوع من
النسوة وأنا أصد أمه .. ولكن ماذا أفعل ؟ انه ليس الرجل الذى
اريد زوجا .

ثم .. سافرت مع بعض موظفى الشركة الى بعثة تدريبية الى
المانيا ، مدتها ثلاثة شهور .. كنت فرحة .. فرحة لائى مسافرة
.. وفرحة لأن هذا السفر سيعطينى فرصة لأجدد علاقتى بمحمود
.. أعود اليه بتفكير جديد ، وأحاساس جديد .

وعندت .. عندت وشوقى الى محمود يكاد يقذفنى من
الطفرة ..

ولكن محمود تغير .. وقال لى ان أمه ماتت ..

ولكن .. كان فيه شيء آخر أكثر من حزنه على أمه .. انه
اصبح شائرا .. واصبحت سواعيد لقائه متباعدة .. بل اصبح
ساحر فى موعده .. ثم .. لم يعد فرحا بسيارتى .. حرت فيه ..

وذات يوم حدثنى عن ابنة خالته .. حديثا عابرا مبتورا ..
ولم يكن قد حدثنى عنها من قبل .. ثم تكرر حديثه عن ابنة
خالته ، دون أن ألقى بالا الى حديثه عنها .. وحيرتى فيه تشدد ..
حاجتى اليه تزداد ..

انه لم يعد مريحا .. ولا صحيا .. انه يتركى اتعذب .. انى
انام يوما قلقا .. وأذهب الى مبنى شاردة .. هل احبه ؟ .. انى
ارمض أن اعترف بهذا الحب .. انه ليس الرجل الذى يجب أن احبه
أن الرجل الذى يجب أن احبه ، هو الرجل الذى يجب أن اتزوجه
وأنا لا اريد أن اتزوج محمود .. عقلى لا يرضى أن اتزوجه ..

ولكنى نكدت على .. وقتلت ، وأذا احس لأول مرة بضغطني ..
صعدت ارادتي :

— محمود .. تعال نتجوز !

• وكنت أعتقد أن هذا هو آخر المطاف .. انى سلمت بكل شيء ،
• وستعود حياتى بعد ذلك بريحة .. وصحية ! ..

ولكن محبوب نكس رأسه ، وقال فى صوت خافت :

— أنا خطيت يا منى !

وشهقت .. وشهقتى تخرج من عيني :

— خلعت مين ؟

وقال فى همس :

— بنت خالتي !!

— مش ممكن .. مستحيل .. ما تقدرش .. انت خاين ..

لازم تتجوزنى انا .. انا ..

وبترت صرختى .. ولم انتظر جوابه .. جريت من أمامه ..

وركبت سيارتى التى اشتريتها من رصيدى .. وذهبت الى بيتى

الائق الذى اثنته من رصيدى ..

وجلست أبكى ! .. هل تدري كيف أصبحت ؟ ! كما كنت ..

افكر بعطلى .. وأرسم هياتى بارادتى .. ورصيدى يرتفع فى

البنك .. وأبحث عن الزوج الذى أريده .. وسأجده .. لقد حققت

كل ما أردته .. فلماذا لا أحقق هذا الزواج الذى أريده .. كل ما

هنالك انى أصبحت فى الثلاثين من عمرى .. وشيء جاف كمود

الخشيب ينقر فى صدرى .. ولا ابتسم كثيرا ..

لا ادري لماذا لا ابتسم كثيرا .. لا يهم .. عطفى لا يزال معى !!

زوجة تبحث عن عمل

لم يكن صديقى رأسماليا ، ولا اشتراكيا ..

لانه لم يشغل نفسه أبدا بتفسير المجتمع الذى يعيش فيه ..

ولا بتفسير نوع العمل الذى يقوم به .. بل أنه لم يكن يقرأ المقالات

والبحوث السياسية والاجتماعية التى تنشرها الصحف .. كان

لا يطبق المقالات الطويلة الجادة .. ويكتفى عندما يقرأ بالموضوعات

الخفيفة .. انه يقرأ ليستريح .. ليتسلى .. لا ليدرس ..

وكان الشئ الوحيد الذى يؤمن به ، هو .. العمل .. العمل ..

.. الشريف ..

وكان مطلبنا دائما الى المستقبل ، لأنه يستطيع دائما أن يعمل

.. ولأنه يؤمن بكفاءته فى عمله .. والرجل الكفء لا يعجز عن

لعمل مهم تغيرت صورة المجتمع من حوله .. وقد بدأ صغيرا ..

دخله لا يزيد عن خمسة عشر جنيا .. ثم بدأ يكبر .. بميله

.. ارتفع دخله الى خمسين جنيا .. الى مائة .. الى مائتين ..

الى ثلاثمائة ..

ولم يتوقف لحظة ليتساءل : لماذا ارتفع دخله ؟ هل ارتفع لأنه

عمل فى مصنع رأسمالى ؟ .. وهل لو تغيرت صورة المجتمع

ستمر زيادة دخله ؟

لم تكن هذه الاسئلة تخطر على باله ..

لقد ارتفع دخله لأنه يعمل .. هذا هو كل شيء ..

و .. وموجيء بالفوانين الاشتراكية الجديدة ..

واكتشف أن دخله قد نقص .. وصل الى مائة وعشرين جنيهًا ..
خالص الضريبة .

وتنبه .. تنبه الى أن صورة المجتمع قد تغيرت .. وتنبه الى أن دخله كان يرتفع لا لجرد أنه يعمل ، بل لأنه كان يعمل في مجتمع له صورة معينة .. مجتمع رأسمالي .. وبما أن الصورة قد تغيرت ، فإن عمله لن يؤدي الى نفس الزيادة في الدخل ..

★★★

ورغم هذا فإن هناك شيئًا لم يتغير في الصورتين ، وهو العمل ..

بدأ العمل .. العمل الشريف .. ولم يخف .. ظل مطمئنًا كما كان ، يستمد اطمئنانه من ثقة في كفاءته ، ومن قدرته على العمل .. ولكنه كان يعلم أن شيئًا يجب أن يتغير في حياته .. يجب أن ينظم حياته في حدود دخله الجديد .. وابتسم عندما تذكر أنه بدأ حياته ودخله لا يزيد عن خمسة عشر جنيهًا .. لقد كان أباهما متزوجًا ، وأنجب ابنته الكبيرة ، ثم أنجب ابنته الثانية بعد أن ارتفع دخله الى ثلاثين جنيهًا ، وأنجب ولده ودخله خمسون جنيهًا .. وكان أباهما سعيدًا .. لم يكن ينقصه أو ينقص زوجته وأولاده شيء ..

ولم تزد مسؤولياته الخاصة أو العائلية بعد ذلك شيئًا .. انه الى الآن زوج وأب لثلاثة أولاد .. ولكنه أصبح ينفق أكثر من ثلاثمائة جنيه في الشهر .. على بيته وعائلته ..

أين تذهب هذه الزيادة الكبيرة في النفقات ؟
لقد انتقل الى شقة كبيرة .. إيجارها مرتفع .. كان يسكن في شقة بسبعة جيبهات ، والآن يسكن في شقة إيجارها خمسة وثلاثون جنيهًا !

ولكن الزيادة في إيجار الشقة لا تستغرق هذه الزيادة الكبيرة في مصروقه الشهري .. ربما كان الفلاح .. أن مستوى الأسعار ارتفع عما كان عليه منذ خمسة عشر عامًا .. ولكن .. لا يمكن أن تصل نسبة زيادة الأسعار ، الى نسبة الزيادة في مصروقه !

★★★

وبدا يراجع كل قرش يصرفه .. واكتشف شيئًا هامًا ..

اكتشف أن معظم مصروقه يصبح في أشياء صغيرة .. أن هذه الأشياء الصغيرة هي سر الزيادة الكبيرة من نفقاته الخاصة .. سيارة الأولاد مثلاً ..

ما حاجته الى سيارتين .. سيارة له .. وسيارة لزوجته والأولاد .. أن هذه السيارة الثانية تكلفه حوالي أربعين جنيهًا في الشهر .. مرتب السائق وإيجار الجارح ، وثمان البنزين .. أنه يستطيع أن يوفر هذا المبلغ .. ومن صالح الأولاد أن يتعودوا على ركوب الآتوبيس والترولي باص .. أن المجتمع الجديد لا يحتفل بالأولاد المدللين .. ثم هو نفسه شاب وكبير ونجح ، دون أن يكون له سيارة تنقله من البيت الى المدرسة ، وتذهب به الى السينما .. ربما كان هذا هو أحد دواعي نجاحه .. ولكن زوجته تخاف على الأولاد من الطريق ، رغم أنهم كبروا .. أكبرهم في الثانية عشرة من عمره .. لماذا الخوف .. هي نفسها لم يكن أبوها يخاف عليها من الطريق .. وهو نفسه كان يجري في الشوارع منذ أن كان في السادسة من عمره .. فلماذا الخوف ؟ !

ونادي زوجته وأولاده ، وأعلنهم أنه قرر الاستغناء عن السيارة الثانية .. السيارة الكبيرة .. وسيكتفى بالسيارة الصغيرة ، وسوقها بنفسه ..

وفرح الأولاد .. انهم سينتحبون .. وابتسمت الزوجة ..

وأصبحت جزءاً من المظهر الذى يتطلبه المجتمع الذى كان يعيش فيه .. كانت تصحبه الى المآذب التى يقيمها .. و .. و .. والآ .. البتت ليس فى حاجة الى كل وقتها .. كبار الأولاد : ولا يزال يستطيع أن يدفع مرتب الطبايح والسفرجى .. كما أن المجتمع لم يعد فى حاجة الى هذه المظاهر التى تشترك فيها الزوجات .. أنه يستطيع أن يعمل دون حاجة الى أن يصحب زوجته الى المآذب ، ودون حاجة الى أن تقيم له المآذب .. أن من حقها أن تبحث عن عمل آخر .. ولكن .. هل كان يسمح لها بالعمل لو لم تتغير صورة المجتمع ؟ بل .. هل كانت زوجته تفكر فى أن تعمل ؟ .. لا بدري ..



ولكنه يحس أن شيئاً تغير فى منطقته .. وفى أحاسيسه .. ربما لو ظل المجتمع كما كان لاعتبر خروج زوجته الى العمل اهانة لمس كرامته .. فضيحة .. جريمة خلقية .. ولكنه الآن لا يحس بشيء من هذا .. تغيرت تقاليده .. تغير منطقته .. اتخذت الكرامة والعزة والشرف معانى جديدة .. ربما كان السبب اقتصادياً .. فقد كان من قبل يكسب ما يكفى لكل ما تريده زوجته ، أما الآن فليس كل ما تريده زوجته يستطيع أن يشتريه لها .. لقد اتفق معها على أن تشتري ثوبين فقط فى الصيف .. لو أرادت ثوباً ثالثاً لما استطاع أن يشتريه لها .. لا .. ليس السبب الاقتصادى هو كل شيء .. أنه تأثير المجتمع الجديد ..

أنها التقاليد الجديدة ، تتطابق مع القوانين الجديدة .. أنه يحس من حديث زوجته أنها تريد أن تتباهى بأنها امرأة عابلة .. تماماً كما كانت تتباهى من قبل بأنها بنت ذوات ..

وابتسم راضياً .. وسألها فى خفان :
— ها تشتعلى ليه ؟

قالت فى مرج :

— أى حاجة .. سكرتيره .. بيعاه .. فى مصفح .. فى شركه .. أى حاجة .. ما تنساش أنى وأخذه التوجيهيه ..

قال وابتسامته تتسع :

— مش حاندى أكثر من خمستاشر جنيه ..

قالت كأنها عادت طفلة ، كأنها تبدأ الحياة من جديد :

— وباله .. بينفعوا ..

قال :

— ينفعوا فى إيه ؟

قالت :

— أشتري بيهم شوية حاجات صغيرة ..

وضحك ..

ان المرأة لا تستطيع أبداً أن تستغنى عن الأشياء الصغيرة ..



وجاءت الزوجة فى الأسبوع الماضى ..
لأساعدها فى البحث عن عمل ..

.. خير التأميم — فى طريقهم الى بيته ليضربوه بالطوب ..
.. بموا تحفه .. ليقبلوه ..

وجرى كالمجنون فى اتجاه انبيى ، يخلق النواذف والأبواب ..
.. ينسى على مقعد كبير يلهث .. ورأسه الضخم الأثيب بين
.. وكركشه للمريض ملقى فوق سائبة .. ورعدة الخوف
.. فى عروقه وتشل تكبيرة ..

ومضى اليوم ..

وموم آخر ..

العمال لم يأتوا .. لم يضربوا البيت بالطوب .. حتى هتافاتهم
.. فى سبيلهم فى الراديو لا تطالب برأسه ، ولا تنادى بالانتقام منه
.. وهذا قليلا ..

طبعاً .. ماذا يهم العمال منه اليوم .. ماذا يصنعون برأسه
.. لا لوامها .. لقد أخذوا ما هو أهم من رأسه .. أخذوا كل شيء !
.. به ..

انه لا يملك شيئاً .. كل منهم وضعه فى المصنع استولت عليه
.. دولة .. أخذوا كل شيء .. ولم يفكر لأول وهلة فى طريقه
.. سمادة ملاليمه .. ملالينه .. ولكنه فكر فى كيف يعيش .. من
.. انصرف .. من أين يدفع أجر الطباخ والسفرجى ، ومربية
.. العمال السويسرية .. ان الحكومة أعلنت انها سترد أمواله فى
.. ذات لها ارباح .. ولكن هناك إجراءات معقدة ووقت طويل قبل
.. بقدر ممتلكات الشركة ، وينسلم السندات ويقبض الأرباح ..
.. أين يعيش الى أن يتقبض ..

وانقسم ابتسامة منسكينة .. الحمد لله ..

ان لزوجته رصيذاً خاصاً فى البنك ..

رجل يبحث عن سيارة

كان مضع كل قرش من الشركة الصناعية الكبرى التى يملكها
.. الى الاسكندرية حتى سياراته .. المخصصة له .. والسيارة
.. المخصصة لأولاده .. والسيارة المخصصة لزوجته .. والسيارة
.. المخصصة لأمه .. كل هذه السيارات كانت مسجلة باسم الشركة ..

وصدر قانون التأميم .. أهمت الشركة .. وأهم المصنع ..

وعندما بلغه الخبر ، شعر بحوف مفاجئ .. خوف كبير ..
.. لم يفكر فى أمواله .. ولم يفكر فى مستقبله .. لم يفكر أبداً ..
.. الخوف اشعل تفكيره .. ورعدة خفيفة تسرى فى أعصابه ، وتبر
.. قلبه ..

م يخاف .. انه لا يدري .. لعله يخاف من العمال .. عمال
.. مصنعه .. لقد كان دائماً عنيفاً مع عماله .. كان يأخذ منهم
.. ما يريد .. ويمطيمهم ما يريد .. كان هو الإرادة المسيطرة على
.. حياتهم .. ولم يستطع واحد منهم أن يفلت من إرادته .. لم يستطع
.. واحد منهم أن يأخذ حقاً يطالب به ، أو حقاً يكفه له القانون ..
.. لقد كان هو الحق الوحيد داخل المصنع .. وكان دائماً أقوى من
.. القانون .. وفى خلال السنوات الطويلة ثار العمال ضده عدة
.. مرات ، ولكنه كان دائماً يستطيع أن يخضع ثورتهم ويشرد
.. رعباءهم ، ويعيدهم كالنجاج ليصطفوا أمام الآلة ..

لعل عمال المصنع ينتقمون منه اليوم .. لعلهم الآن — بعد أن

ولوت الزوجة شعثها في سحط .. مع منصرف من رصيدي الخاص !!

واستعنت عيناها فحاة .. لقد تذكر شيئا آخر .. السيارة .. السيارات ..

انها كلها مسجلة باسم المصنع .. كلها شملها التاييم واستولت عليها الدولة .. وهو لا يستطيع ان يعيش بلا سيارة .. لا يستطيع ان يسير في الشارع على قدميه ، ويتشظى في الاتوبيسات وعربات الترام .. ان السيارة هي قديما ! واغرورقت عيناها بالدموع .

واحس شيء يتلوى في صدره .. لقد سجل كل السيارات باسم المصنع ، لا حيا في المصنع ، ولكن تهربا من الضرائب .. فنفقات السيارة واستهلاكها كانت تقيد ضمن ميزانية المصنع . فغزير النفقات . وتقل الضرائب .. ولو كان يعلم .. لو كان يعلم ان هذا اليوم سيأتي .. لما حاول اسهر من الضرائب .. واحتفظ بالسيارة .. وهو يريد سيارة .. الآن ..

★★★

وتذكر انه منذ شهور قليلة اشترى سيارة واحداها لمدير مصنعه .. لقد هاشى هذا المدير معه سنوات طويلة .. التقطه من بين صفار الموظفين ونفخ فيه .. ظل ينفخ فيه حتى جعل منه جديرا للمصنع .. وقد كان دائما ساعده الايمن .. لا .. كان لدولاله .. وكان الاداة التي تنفذ بها اوامره .. الاداة التي يتحائل بها على قوانين الضرائب ، وقوانين العمال ، وقوانين الاستيراد والتصدير . ورفع سماعة التليفون ليتحدث مع المدير .. ووضع بين شفتيه ضحكة كبيرة كان شيئا لا يهيمه .. وضغط على نبرات صوته حتى

لا يبدو مرعشا .. وتكلم بلهجه القديبة ، كانه لا يزال صاحب المصنع :

— وجباتك انتعت لى العربيه بتاعتك يومين ، لغاية ما نشوب حجاجه ناويين يهملوا ايه ..

ورد المدير في صوت جاف .. صوت جديد لم ينعود سماعه : — حاضر ..

وانهى المدير الحادثة بسرعة .. كانه يهرب .. وانتظر الرجل ان ياتي له سيارة المدير .. مضى اليوم ولم تات .. وحاول ان يقص له مرة اخرى .. مش موجود ..

ومره ثانية .. وثالثة .. مش موجود .. واقنع الرجل نفسه — المدير لابد ان يكون مشغولا .. هذه القوانين الجديدة تشغل في مشر ..

مع .. عثر عليه اخيرا .. وحادثه بصوت اكثر رقة .. — يعنى ما بعثش العربيه يا محمد بيه !

ورد المدير في صوت خشن : — والله انا ما اقدرش استغنى عن العربيه .. والقى سماعة التليفون بعنف ..

★★★

وذهل الرجل .. وارنفع في صدره صراخ حاد .. هذا المسائل هذا المنحط .. كيف ينسى نعمتي عليه .. كيف ينسى انى انا ادى اشتريت له السيارة .. من مالى .. انا الذى علمته كيف تدب سيارة .. علمته كيف يكون نفى آدم .. انا الذى خلقته .. ولكنه مسافل .. منحط .. نمرود .. وقع .. وكذا ان يجعش بالكاء ولكنه تمالك نفسه .. هذا هو حال مثل هؤلاء الرجال .. المنافقين .. لقد كان

بناقله ، وكان ينحني أمامه .. ولابد أنه يتناقض الآن السيد
الحديد ، وينحني أمامه .. ولقد كان دائما يعلم انه منافق ، فلماذا
يسطر منه أن يكون شهما .. وأن يكون رجلا .. مثل هؤلاء
المنافقين ، لا يمكن أبدا أن يكونوا رجلا ..

• واسودت الدنيا في عينيه .. خيل اليه أن كل الناس
منافقون ..

خيل اليه انه أصبح وحده .. لا صديق .. ولا معين ..
لا شيء .. لقد كان يساوي بقدر ما يملكه من مال .. وعندما فقد
ماله لم يعد يساوي شيئا ..

وتهدلت وجنتاه .. وتهدلت جفونه .. ونقص وزنه بسرعة
محيطة .. ورقبه أصبحت رفيعة ، بترنح وسط بانه تبيسه .. ولم
يعد يخرج من سته .. الا عند العروب .. يرحل ليسير في شارع
الكورنيش ساعة .. يسير منزويا ، محطما .. لا يريد أن يراه
أحد .. ولا أن يرى أحدا ..

★★★

وكان يسهر يوما .. ومجأة وقفت سيارة صغيرة غريبة .. نزل
مها صاحبها وأقبل عليه .. ورفع عينيه المكثرتين يتطلع بها الى
القادم .. ثم انطلقت منها نظرة خوف .. هلع .. انه الأسطى
محمود .. لقد كان يعمل عقده في المصنع .. وكان يتزعم العمال ..
حاول كثيرا أن يأخذه الى جاتبه .. رفع يومئذ .. ثم خصص له
راتبا يصل الى سبعم جنيها في الشهر .. ولكن محمود رغم هذا
ظل دائما مع العمال ، يطالب بحقوتهم .. فاضطر أن يحاربه
وأن يضطهده .. واستطاع بمعاونة مدير المصنع أن يطرده ..
ويشرده ..

لا بد أن محمود مقل عليه الآن نبتقم منه ، ليضربه .. ليقتله ،
وتراجع .. والهلع يعصر قلبه .. تراجع حتى استند ظهره الى
الحائط .. ومحمود مقبل عليه .. انه ينتسم .. انتسامة قوية
طيبة .. ويبد منه كأنه يريد أن يصافحه ..

وقدم له يدا مرتعشة ، صافحها محمود في حرارة :
— أراى سيادتك دلوقت .. شد حيلك !

وقال الرجل في صوت مرتعش :

— كويس والحمد لله .. أزيك أنت يا أسطى محمود !

وقال محمود وهو يحيط الرجل المكبوب بعينين حائيتين :
— نسبح أوصلك يا أمدم ..

حوردد الرجل .. ولكن محمود الح .. وركب بجانيه .. جلس
في مقعد السيارة وهو يشهد في راحة .. كأنه يستريح بعد مشوار
طويل شاق .. لقد مضى عليه أكثر من أسوعين لم يركب فيها
سيارة .. وخيل اليه انه قضى عدين الأسبوعين واقفا على قدميه
.. وقال الرجل في رجاء كأنه طفل صغير مسكين :

— فسحني شويه يا محمود ..

وقال محمود من خلال ابتسامه الحنان .. ابتسامة الرجل
القوى الذى لا يحبل حقدا :

— حاضر يا أفندم ..

وأخذ سمود يقود السيارة في شارع الكورنيش .. ويحدث
الرجل المكبوب من كل شيء .. عن حال المصنع .. وعن حال
العمال .. وعن الانتاح الجديد .. والرجل يهدأ شيئا فشيئا .. بدأ
بحس كأنه كان سجيناً وقضى مدة عقوبته .. ومن حقه أن يبدأ
الحياة من جديد .. إذا كان قد خط ، فقد عوقب بما فيه الكفاية

.. ومن حقه الآن ان يكون مواطننا كباقي المواطنين .. غاملا ككل
العبال .. يعمل ويكسب بشرف .. ويضحك .. ويستبشر ..

★★★

ونظر الى محمود قائلا وهو يتنهد :
— تعرف أنا نفسي في ايه يا محمود .. نفسي اشتغل ..
اي شغلانه !
وقال محمود في بشر :

— وماله يا افندم .. برضه سيادتك تفهم في التسريح كويس
يمكن تفيد المصنع بخبرتك .
وسرح الرجل المنكوب بخياله .. هل يستطيع حقا ان يعمل ..
ان يكون مستثمرا فنيا للمصنع .. مثلا .. أو حتى واحدا من
الموظفين . ربما كان عليه ان يسي أولا انه كان صاحب مصنع ..
ان ينسى حتى لا يظل أسيرا لتلف اعصابه وعقده النفسية .
ونظر الى محمود وقال كأنه يخاطب الثورة كلها :
— يا ريت يا محمود ..

وأوصله الأوسطى محمود حتى باب البيت . وقال له في ادب
وتواضع :
— أنا عارف ان عربية سيادتك دخلت في التاميم .. ولغاية
ما تتصنى الشركة وتقدر سيادتك تشترى عربيه .. عربيتي تحت
امرك ..

★★★

ونظر الرجل الى السيارة الصغيرة القديمة ، وأحس انها اغلى
سيارة في العالم :
ونظر الى محمود في امتنان .. وهو يتسائل : لماذا لم يؤمن
بمثل هؤلاء الرجال منذ بدء حياته .. لماذا لم يقف بجانيهم .. لماذا

ا. مناصرهم ليناصروه .. لماذا لم يحس بهم ويجعل من نفسه واحدا
... وقال وهو يضغط على يد الأوسطى محمود :
— متشكر يا ابني .. متشكر قوى .. أنت علمتني في نصف
ساعة حاجلت ما تعلمتهاش طول حياتي .. ربنا معاك .. ربنا
.. منكم ..
هذه الحكاية حدث جزء منها في الاسكندرية في الأسبوع
اليسى .. والباقي خيال .. احتوا فيها عن الجزء الواقعي ..
من الخيال ..

اين حبيبتي

مرتها في القاهرة .. كان رساما يعمل في احدى الصحف ..
طويلا .. تحيلا ، كهود القصب .. يطلق لحيه سوداء داكنة ،
وشاربيا خشنا مريضا له اطراف مرفوعة ، وعينان واسعتان
تبرقان دائما .. ووجه اسمر ، يبدو وفوقه اللحية والشارب ،
كورقة من كراسه قديمة ملفطة بالحبر ..

وكانت مغنية يوغسلافية تعمل في احد الملاهي .. شقراء ،
بشرتها في لون اللين المخلوط بشراب الورد .. وعيناها حمران
.. وقوامها متنسق .. لم تكن رافضة .. ليس فيها اخلاق
الراقصات .. كانت مغنية تغني الاغاني الايطالية الحاملة ..
وتعيش في حلم تحببه بشخصية قوية ، وكرامة حساسه تنور لآل
خدش .. تنور اذا تكلم احد من رواد الملهى وهي تغنى .. تنور
اذا اصطدمت ببطرة رجل لا ترناح اليها .. تنور .. تنور ..

والتقى بها في الملهى .. مصرى ويوغسلافية .. وتعلقت عيناه
بها .. ولم تثر .. ارتاحت لمعنيه .. ثم وجد نفسه يخرج ورقة
وقلمها ويأخذ في رسم صورتها .. كان كل ما يستطيع أن يفعله
عندما تتعلق عيناه بامرأة ، هو أن يرسم صورتها .. لم يكن له ابداء
مغامرات مع النساء .. انه وحيد ، منطو خلف لحيته الداكنة
وشارب المرفوع .. كل مغامراته صور يرسمها ..

وجاءت بجانبه لتفرج على الصورة التي يرسمها لها ..

.. كيف اتصل الحديث بينهما .. انها لا تتكلم العربية .. فقط
اليوغسلافية والاطالية ، ويضع كلمات انجليزية .. وكانت
الكلمات الانجليزية كاتبة ليستمر الحديث بينهما طول الليل ،
دعوا الى زيارة مرسه ، في اليوم التالي ، ثم يدعوها الى
المرسى ..

و .. وخطبها .. واحتفل اصداؤه بخطبتها .. كلهم
.. وكل منهم دفع جنيها ليشترك في الخفل الذي اقاموه
..

ومضت بها الايام .. اسعدت الفتاة في القاهرة .. عاشت
في حلم .. لم يكن يفيق منه الا عندما لا يجد في جيبه نقودا ..
.. يهرس من صديق .. لأول مرة يقترض .. ثم بدأ يطالب الجريدة
.. مره مره .. لأول مرة يفكر في زيادة مرتبه .. ثم يعود الى
.. لا شيء يقلقه .. لا حيون اصداؤه ، ولا رفض الجريدة
.. مرته ..

ثم .. كان يجب أن تسافر الفتاة لتعمل في جزيرة قبرص ..
.. بعد ان تعود .. بعد اسبوعين ..

وكتبت له .. انها لن تستطيع أن تعود بعد اسبوعين .. بعد
.. بلاده !

ثم كتبت له .. لن تعود بعد ثلاثة اسابيع .. اربعة !!
والحياة من حوله لم يعد فيها شيء .. القاهرة تخنق انفاسه
وهو لم يعد يستطيع أن يرسم الا صورتها فقط .. ولكن صورتها
لم تعد تكتفيه .. شوقه أصبح اكبر من فنه .. انه لم يعد يستطيع
أن يرسم حتى صورتها ..

وفجأة .. في يوم واحد ، قرر أن يذهب اليها ..

لم يرسل لها برقية بحضوره .. خيل اليه انها في انتظاره ..

لا بد أنها في انتظاره في كل لحظة كما هو في انتظارها في كل لحظة ..

واتم إجراءات السفر .. وركب الباخرة الى قبرص .. وفي جيبه ثمانية جنيهات .. وفي حقيبته بجانب ثيابه عشر بيضات « مسلوقة » وضعتها له أمه ..

والباخرة بطيئة .. لو أنه ذهب سابحا لمسبحها ..

والليل كثيف ، يخيل إليه أنه يريد أن يشقه بمطواة ، ليصل من ورائه الى الفجر .. الى النور .. الى حبيبته ..

ونزل في ميثاء « ليماسول » .. وفي جيبه ثمانية جنيهات .. وفي حقيبته عشر بيضات .. وتحت ابطه خرطوشة من علب سجائر « لاكي سترايك » اشتراها من فوق الباخرة ، بثمن أرخص ..

وأسرع الى أقرب نليفون ، واتصل بالمبيت الذي تقم فيه .. تحدث بالانجليزية ، وردت عليه صاحبة البيت بالانجليزية .. قالت له انها غير موحودة .. سافرت الى مدينة « فاما جوستا » ولم يسمع .. لا يريد أن يسمع .. ان هذه المرأة لا تتكلم بالانجليزية .. وركب سيارة أجرة .. وذهب اليها .. ماذا تقولين ؟ سافرت .. مش محقول ! وأين « فاما جوستا » هذه ؟ على بعد ثلاثمائة كيلومتر .. ياه ! ..

ولم يقل لها شكرا ! .. وأخذ عنوان خطيبته الجديد وعاد الى السيارة الأجرة : الى « فاما جوستا » يا اسطى ..

وسار به السائق اليوناني .. وفي جيبه ثمانية جنيهات .. وفي حقيبته عشر بيضات .. وتحت ابطه خرطوشة سجائر !

وعندما وصل الى « فاما جوستا » نقص ما في جيبه أربعة جنيهات ونصف جنيه .. دفعها للسائق .. ونقصت سجايره علبتين ..

وفكر قليلا .. لا يصح أن يذهب الى حبيبته وهو بهذا الشكل .. أنه معفر ملخبط .. وذهب الى فندق ، وحجز غرفة ، صعد اليها واستحم ، وغير ثيابه ، ومشط شعره .. ثم نزل الى بهو الفندق ، واتصل بالتليفون بالمبيت الذي تكلم فيه حبيبته .. وردت : صاحبة البيت :

— ليست هنا ..

— ماذا تقولين ؟

— ليست هنا .. سافرت .. الى أين ؟ .. لا أدري ..

وارتج .. ازدادت عيانه لمعانا .. لا يمكن .. مستحيل .. جدها .. وصعد الى غرفته لثاني بسترته .. ولكنه وجد نفسه جالس على السرير .. ثم غلب .. نام .. لقد مضت ليلتان لم يتم بينهما ..

وصحى من نومه .. انه أهدأ قليلا .. وبدأ يتذكر كل شيء .. أنه سيبدأ البحث عن خطيبته .. وليس في جيبه سوى ثلاثة جنيهات بحسب .. وقد حوّل أربعين جنيهها من القاشرة الى بنك « ليماسول » ولكنه لا يستطيع أن يعود الى « ليماسول » .. وعليه أن يدفع أجر الفندق الذي يقيم فيه .. إذن .. ليختصر الطعام .. أنه لن يأكل الا بعد أن يجد حبيبته .. وأخرج ببضتين من حقيبته ..

أولهما .. بلا عيش .. ونزل يبحث عنها ..

طاف بكل ملاهى المدينة ولم يجدها .. وسال ..

كان يسأل أى واحد يصانفه .. ويخيل إليه ان كل واحد من

هم يعرفها وتعرفه ..

ثم .. قال له أصحاب الملاهى :

— هل أنت من مصر ؟

— نعم .. خطبها .. كيف عرفت ؟

— لقد كانت تتحدث دائما عنك .. وتعرض علينا صورتك ..

وقفز قلبه فرحا .. انها تتحدث عنه .. كل من يعرفها يعرفه ..
انها تحبه .. انها تريدته بقدر ما يريدونها .. تعاني ما يعانيه
.. شوق .. واحس بقوة .. قوة عجيبة .. انه سيجدها ..
اسم من خلال اعيائه ..

— أين هي في نيقوسيا ..

وذهب الى الفندق .. وأكل ببضتين أخيرين .. في صحة
حسنة .. ثم حمل حقيبته .. وذهب الى نيقوسيا ..

لم يعد يحمل في حقيبته سوى ست بيضات .. وفي جيبه جنيه
واحد .. وعلبتي سجائر .. وسال عنها في نيقوسيا ..

يوما وهو يسأل عنها .. لا ينأ .. ليس في جيبه أجر المبيت
في الفندق ..

ويأكل البيض .. وانتهى البيض .. وانتهت السجائر ..
وأي هي ؟ ..

— سافرت .. الى أين ؟ الى بيروت .. وتسكن في شارع
الحرام ..

وجرى الى البنك يسأل عن نقوده التي حولها من القاهرة
الى فرع البنك في ليماسول .. انها لم تصل بعد ..

وذهب الى السفارة العربية يشكو لها .. اعطوني ثمن تذكرة
سفر الى بيروت واخصموها من نقودي ..

وابتسم السفير في اشفاق قائلا :

— آسف .. الاجراءات لا تسمح ..

وخرج من دار السفارة .. لا ييأس .. انه سيذهب وراها
الى بيروت .. ولو اضطر ان يعبر البحر سباحة .. انه سيجدها
ولو حفر الجبل باظافره .. انه لا يشعر بالجوع .. ولا يشعر
بالاعياء .. انه يشعر بقوة .. قوة عجيبة .. قوة تقربه من

.. الله .. انه يكاد يراها وليس بينه وبينها سوى خطوة واحدة ..
.. خطوة واحدة ويصل اليها ..

وذهب الى شركة الطيران .. اعطوني تذكرة الى بيروت
يساعدكم لكم ثمنها بعد ان أصل ..

وابتسم موظف الشركة في اشفاق وقال :

— هل تعرف احدا في بيروت يضمنك ؟ ..

واخذ يهذي بأسماء كل الناس الذين يعرفهم .. اسماهم اصدقائه
في القاهرة .. ثم .. هدى الله لسانه فطلق اسم شخصية لبنانية
معروفة ..

واستأمة الاشفاق لا تزال بين شفتي موظف الشركة .. ان
عليه ان يرسل برقية الى هذه الشخصية في بيروت ، فاذا قبلت
بسانه ، اعطوه التذكرة .. ولكن عليه ان يدفع ثمن البرقية ..

ووضع يده في .. وأخرج كل ما فيه .. ربع جنيه ..

واخذ الموظف النقود .. صامتا .. كأنه يحس بمأساته ..
— تعال قدا ..

وطاف على قدميه .. ثم ارتقى على مقعد في حديقة عامة ،
حس الخد .. لم يتم .. لا يريد ان ينأ .. لا يريد ان يكل ..

معد يريد ان يذهب الى حبيبته ..
وفي الخد ، وقيل ان يذهب الى مقر شركة الطيران ، مر

السك ، ووقف امام الموظف المختص ، يصرخ :

— أريد نقودي .. ان نقودي عنديكم .. لا تسرقوا نقودي ..
أريدها الآن .. الآن ..

وقلب الموظف في الاوراق التي امامه .. واجاب في هدوء :

— لقد وصلت نقودك ..

واستند على شبك البنك حتى لا يسقط على الارض .. وابتلع
شبه كأنه ارتوى بعد ظمأ شديد ..

وخطف النفود ، وجرى بها الى شركة الطيران .. وركب الطائرة ..

انه ساهم .. عيناها تزدادان مريحا .. لا ينالم .. ولا يريد ان يكل حتى بعد ان اصبح فى جيبه نقود .. وبعد ساعة كان فى بيروت ..

وجرى .. جرى فى الشوارع كالمجنون .. تاكسى .. تاكسى .. وركب سيارة اجرة ، وذهب الى عنوان البيت .. وصعد مباشرة .. وطرق الباب ..

و .. ووجدتها امامه .. وعيناها سرقان ..

وصرخت ، وهى ترى هزاله :

— ناجى .. انت .. ماذا جرى لك ؟

ولم يرد .. ارتدى بين ذراعيها .. جهمى عليه ..

وحملته الى فراشه .. انه مريض .. يرتعش .. انها الحسى ..

وبقى معها اربعة ايام مريضا بالحصى ، وعندما افاق كان يجب ان يعود الى القاهرة ، فليس معه فيزا للاقامة فى لبنان .. يحب ان يعود اليوم ..

ولكنه كان سعيدا ..

لقد وجدها ..

اخيرا وجد حبيبته ..

وتقبلها .. وضع كل جبهه فى قبلة ..

وقالت هائسة :

— سامعود اليك فى القاهرة .. بعد اسبوعين !

خواطر فتاة متحررة

انا فى التاسعة والعشرين من عمري ..

ومنذ كنت فى السادسة عشرة والعمرسان يترددون على بابى .. وكنت ارفضهم .. وكنت ارفض المبدأ نفسه .. مبدأ الزواج ..

كنت قد سألت نفسى : ما هو الزواج ؟

وانتهيت الى الجواب ..

الزواج هو وظيفة .. بنت تتوظف عند رجل .. تشرف له على بيه .. وتطبخ له طعامه .. وتغسل له ثيابه .. وتبتع رجولته .. ويحاسب هذا تقوم بوظيفة عامة ، وهى انجاب الاطفال .. وذلك نظير مرتب ثابت يشمل : الاكل والسكن ، والملبس ، والعلاج .. ومصروف اليد !!

وشروط الزواج هى نفس شروط وظيفة اخرى .. المركز الملائم .. والدخل الملائم .. والمظهر الملائم .. ثم .. المؤخر .. والنفقة ، يساويان المكافأة ، والمعاش ، فى حالة الاستقالة من اى وظيفة اخرى ..

ولا شك ان المجتمع يحتاج الى هذه الوظيفة .. وظيفة الزوجة .. ولكن حاجته اليها ليست اكثر من حاجته الى الوظائف الاخرى .. حاجة المجتمع الى الزوجات ليست اكثر من حاجته الى عمال المصانع ، او الى موظفى ادارة المعاشات ، او مديرى الشركات .. وهذه الضجة التى تقوم حول زواج البنات ، ليس سببها ان وظيفة الزوجات اهم من الوظائف الاخرى ، بل سببها ان البنات لم يكن

الزواج .. وظيفة !

وبما أن الفتاة الآن تستطيع أن تعمل في أكثر من وظيفة ، فهي ليست مضطرة إلى وظيفة الزواج .. أو على الأقل من حقها أن تحس .. أما أن يكون زوجها ، أو سكرتيرة ، أو مهندسة ، أو طبيبة ..

وأنا لا أريد أن أكون زوجة .. لا أريد أن أتوظف عند رجل .. إن وظائف الشركات ضمن ، ومريحه أكثر .. وتوظفت .. أصبحت مضيعة في إحدى شركات الطيران .. ومرت السنون .. وأصبحت في التاسعة والعشرين من عمري ولم اعتبر نفسي عائسا ..

لا .. العائس ، معناها غداة عاطلة ، لا تؤدي خدمة للمجتمع . وأنا لست عاطلة .. أنا موظفة .. أؤدي خدمة للمجتمع .. خدمه كبيرة .. وربما كان المجتمع في حاجة إليها أكثر من حاجته إلى رطيس-مخروجة ..

لن وضعي الآن ، هو وضع أي رجل يعمل ، وليس متزوجا .. أعزب .. نفس الوضع .. كلانا يقوم بواجبه نحو المجتمع .. ولكن خلال هذه السنوات ، كنت أفكر في الحب .. ماذا يحدث ؟ أحببت رجلا .. هل أتزوجه ؟

لماذا ؟ ! ما دخل الحب بالزواج .. إن الحب عاطلة .. الزواج وظيفة .. وأستطيع دائما أن احتفظ بمواطني .. دون حه إلى وظيفة .. فعندي وظيفة أخرى أفضلها على وظيفة زوجة !

والفتاة التي تحب وتصر على الزواج من حبيبها .. بنت أدنية .. ينقلب حبها إلى غريزه التملك .. أنها تريد أن تملك الرجل الذي تحبه ، وهي ليست واثقة من أنها تستطيع أن تملكه بموافها ، فتضطر أن تملكه بمقد .. شرعي .. تماما كما تملك قطعة أرض بمقد عقاري .. إن الزواج في هذه الحالة هو دليل عدم

لبن وظيفه أخرى غير الزواج .. فإن لم يتزوجن ، أصبحن يمثلن مشكلة بطالة في المجتمع .. تماما كمشكلة البطالة بين خريجي كلية الحقوق والآداب !

فالمشكلة ليست مسئلة مبدأ الزواج .. ولكنها مسئلة مبدأ البطالة ..

وكانت البنت التي لا تجد وظيفة تسمى : عائس !

والشباب الذي لا يجد وظيفة يسمى عاطل !

وقد اعتبر المجتمع من السادسة عشرة ، هو سن التخرج بالنسبة للبنات .. لأنها في هذه السن يكتمل استعدادها لأداء وظيفتها كزوجه .. تماما كما يعتبر نيل الشهادة الجامعية شريفا التخرج بالنسبة للشباب الذي يريد أن يشغل مهندسا ..

وابتداء من السادسة عشرة ، يبدأ الأهل في البحث عن وظيفة للبنات .. أي يبحث عن زوج !! .

وهم يبحثون عن وظيفة للولد بعد تخرجه بنفس الاهتمام الذي يبحثون به عن وظيفة للولد بعد تخرجه .. بل باهتمام أقل .. فإن وضع الولد العاقل في البيت ، وبالنسبة للمجتمع ، أقمى واحط .. من وضع البنت العائس ..

والوسائل التي يلجأ إليها المجتمع للتغلب على أزمة الزواج البنات .. هي نفس الوسائل التي يلجأ إليها للتغلب على أزمة العاطلين ..

نظام « الخاطبة » هو نفس نظام مكاتب التوظيف .. وإعلانات الزواج التي كانت تنشرها « روز اليوسف » .. هي نفسها إعلانات طلب الوظائف التي تنشر في جريدة « الأهرام » ..

والدعوة إلى التخفيض من قيمة المهر .. هي نفس المشروعات التي يصممها دوان الموظفين للتخفيف من عبود التوظيف .. وهذا هو رأيي ..

الثقة في النفس .. وعدم الثقة في الحب .. دليل على اهتزاز الشخصية أمام الناس .. فقلجاً البنت الى تسجيل حبها في قلم التسجيلات ، حتى لا يضيع منها ..

وأنا واثقة من نفسي .. أنا لست في حاجة الى امتلاك حبيبى يوم أُحب .. أنها سيكون حبيبى خالياً من الأنانية .. سيكون كل منا حراً .. طليقاً .. لكل منا وظيفته وحياته ، ولا تجمعنا إلا عواطفنا ..

وأعتقد أن هذا هو نفس شسور الرجل ..

إن الرجال عادة لا يقبلون على الزواج الا مضطرين .. تحت الحاح الحرمان ، أو تحت الحاح التقاليد الاجتماعية التي لا تعترف بالحب بلا زواج .. ولكنه دائماً — أى الرجل — يفضل ألف مرة أن يجد البنت التي يحبها ولا يتزوجها .. لماذا ؟ لأن له وظيفه أخرى غير وظيفته كزوج .. لأنه إذا لم يتزوج ، لن يعسره الناس .. ولن يعتبر نفسه عاطلاً .. وأنا أيضاً — كالرجل — لن يعتبرنى أحد عاطلة إذا لم أتزوج .. الى أن قابلت محمود ..

وأذكر مناقشة حادة دارت بينى وبين محمود في أول لقاءنا ..

قال لى :

— هل عرفت رجلاً قتلنى ؟

قلت :

— وأنت .. هل عرفت بنتاً قتلنى ؟

قال :

— أنا رجل .. لن يضيرنى أن عرمت نوات قلبك !

قلت :

— وأنا .. ماذا يضيرنى لو عرفت رجلاً قلبك !

قال :

— أنت بنت .. والبنت يجب أن تحافظ على نفسها .. على سرب .. الى أن تجد الرجل الذي تحبه ..

قلت :

— والرجل .. لماذا لا يحافظ على طهارته الى أن يجد البنت التي يحبها ؟

وقال محمود وهو يطل على نوى دهشة :

— لأن البنت بنت .. والرجل رجل ! ..

قلت :

— لماذا يعنى هذا ؟

قال :

— إن الرجل يستطيع أن يعرف مائة فتاة دون أن يخسر شيئاً .. والبنت .. و ..

وقاطعه قائلة :

— ومدا تحسرت انت ؟

قال :

— تخسر سمعتها ..

قلت :

— ولماذا لا يخسر الرجل سمعته ؟

قال :

— إن التكوين الجسماني للبنت من طبيعته أن يجعلها أما مجرد لقاءها لأول رجل .. بل أن عواطف البنت واحاسيسها منتبهة كلها من طبيعتها كام ..

قلت :

— والرجل .. أن طبيعة تكوينه الجسماني يجعله أباً بمجرد لقائه بأى بنت .. فلماذا لا يحترم أنرحل أبوته ويفرض على المراه احترام أمومتها ..

قال :

— ان الرجل لا يحمل ابناءه في بطنه ..

قلت : والبنات ايضا .. انها تستطيع الا تحبل .. الطيب عند تقدم .. والحكومات تبني الآن وسائل منع الحمل .. والبنات لا تكون اما الا اذا ارادت .. وكذلك الرجل لا يكون ابا الا اذا اراد .. لا تحرق يا عزيزي .. وكل الفروق تحرق مفتعلة فرضها الرجل على المرأة عندما كان يستعبدوها .. وعندما كانت ترسخ لهذا الاستعباد ، لأنها كانت تعيش عائلة عليه .. وانا لا أعيش عائلة عليك .. انا موظفة مثلك .. فلا فرق !

قال :

— اني لا أستطيع ان احبك ، وانا اتصورك كل يوم مع رجل ..

قلت :

— هل ستكون أنت كل يوم مع امرأة ؟

قال :

— لا ..

قلت :

— لماذا لا تذهب كل يوم الى امرأة ؟

قال :

— لاني احبك !

قلت :

— وانا ايضا .. لاني احبك ، فساكون لك وحدك .. ولأنك تمنني ستكون لي وحدي !

قال :

— اتعنين الزواج ؟

قلت :

— لا .. ان الاحلاس ليس مرضا يعرضه عقد مكتوب ..

انه رغبة ناعمة من العاطفة .. رغبة تغني الفت عن كل الرجال لا رجلا واحدا ، وتغني الرجل عن كل البنات الا فتا واحدة .. اني لن اخلص لك غصبا عني ، او رغما عن ارادتي ، ولا حتى اخترايا لك .. ولا اريدك ان تخلص لي مجاملة لي او حرصا على شعوري .. لا .. ساخلص لك ، من اجل نفسي لاني لا اريد شيئا آخر .. وبت ايضا ، اذا احسست أنك تريد شيئا آخر ، فلا تخلص لي .. هل تفهمني .. ان اخلاصي ليس حقا لك ، ولكنه حق لي .. يا اخذك لي ليس حقا لي ، ولكنه حق لك ..

قال :

— هذه مبادئ خطيرة ..

قلت :

— كل تطور يبدو خطيرا في اوله .. ان السعى الى الحرية لمساواة .. يعثر ثورة !

و .. لم تنته مناقشاتنا ..

ولكني احسست محمود .. وازددت حبا .. كل عام يمر احبه ..

وبدأت احس باحساس جديد يطفئ على حبي .. اني اريد ان اكون اما .. اريد طفلا من محمود .. كان كل هذا الحب لم يعد كفيئي ، واصبحت اريد ان احمل من محمود في داخلي .. لم اكن احس اني اريد طفل محمود بل اريد ان احمل محمود نفسه ..

وحاولت ان اطرد هذا الاحساس ..

ان المرأة وظيفة اخرى ، كوظيفة الزوجة ، ووظيفة مضيفه شركة الطيران ..

وقد رفضت وظيفة الزوجة .. ويجب ايضا ان ارفض وظيفة الام .. ولكني لم استطع .. حبي يلح علي .. حبي كبير حتى دسح امرأة .. هل استطيع ان اكون ابا بلا زواج ؟ ! وبدأت افكر

باسلوب جديد .. اسلوب كنت اعتقد انى كُفرت به ، وازحته من راسى .. انى لا افكر فى نفسى ..

ولكنى افكر فى الطفل الذى اريده ان يجعلنى اما ..

انى لا استطيع ان اتجب طفلا يواجه المجتمع بألم ليست زوجة ولا استطيع ان اساله اذا كان يرضى بهذا الوضع أو لا يرضى .. ربما نشأ طفلا متحررا لا يؤمن بتقاليد المجتمع .. ولكنى لا اعرف رايه .. ولا استطيع ان اساله !!

وقلت لحبود :

— محمود .. لننزوج !

ونظر الى محمود دهشا .. ثم ابتسم ساخرا ، وقال :

— لا .. لماذا تريدان الزواج .. ان الزواج وظيفة ، وانت لا تنصك الوظيفة !

قلت :

— ارد ان اكون اما ..

قال :

— الامومة وظيفه ايضا .. ثم ما حاجتك الى ان تكونى اما ؟

— لانى احبك !

وبدأ مناقش من جديد .. و ..

وبدا محمود يبلو شروطه عني .. احسست كانه يذلنى ..

انه يريدنى ان استقيل من عملى ، وأن اتفرغ للبيت .. ويريدنى ان اتعلم طهو النامية لانه يحب النامية .. ويريدنى ان اقرا له كتب الادب ، وانا اكراه كتب الادب .. وحاولت ان اتاوم ..

ولكن لهمتى لكى اكون اما غلبنى .. واستسلمت .. و ..

اننا لن نتحرر ابدا .. لاننا نريد ان نكون امهات ..

ولأن الرجال هم الذين يصنعون منا امهات !!

بلا كلام

كنت فى برشلونه .. وغجة قررت ان اذهب الى جزيرة

ورك ..

ولا اخرى ما الذى اغرامى بالذهاب الى مايوركا .. كل ما اعليه فيها انها جزيرة امسائية فى البحر الابيض .. وانها هادئة ، راحه .. يذهب اليها العرسان لقضاء شهر العسل .. ويذهب اليها احبائهم .. عجائز الانجليز والامريكان .. ليستلقوا على الشمس ، ويمضوا عيونهم على الماضي السعيد ..

وانا لست فى شهر عسل .. ولست عجورا .. انى شاب وحيد ..

ومايوركا — بحالها — تعذب الانسان الوحيد .. يريد احساسه وحده وحرمانه .. ورغم ذلك فقد كان فى مايوركا آثار دسة قديمة عشت فيها طويلا بين صفحات كتاب .. قصة حب .. حب شويان ، وجورج صائد ..

وانا اعشق موسيقى شويان .. ورغم انى لم اقرا شيئا للكاتبة جورج صائد ، الا انى اهد قصتها مع شويان .. لقد احبت جورج صائد حبا عجيبا .. حبا يمتزج فيه حنان الأم ، بانائية المرأة العاشقة .. وقد رعته فى مرضه وفنه كأم ، وارادت ان تستأثره بعاشقة .. ثم غلبت انائية المرأة حنان الأم .. مهات شويان ..

وقد قضى جورج صائد وشويان ثلاثة شهور فى جزيرة مايوركا

.. منذ مائة سنة .. وعاشا أياما في نعيم .. وأياما يكافحون
مع السنة السبل الذي يزحف على صدر شوبان ثم السنة الأهالي
الجريدة .. أحد وأمر من السنة السبل .. لقد عرف الأهالي أنهم
ليسوا روجين .. وعرفوا أن شوبان مريض بالسبل ، وكان أيامها
مرضا يخيمها يهدد بالعدوى .. ثم ثاروا على جورج صائد عندما
كانت تخرج إلى الشارع في أزياء الرجال .

وبدا العاشقان يهربان من الأهالي .. ومن السبل .. انتقلان
بيت إلى بيت .. وهي قرية إلى قرية .. ولا يلبث صاحب البيت أن
يطردها .. ثم لا تلبث القرية كلها أن تقتذفها بالطوب .. واضطر
الانثنان إلى الهروب من مايوركا كلها ..

ومرت السنون .. واحفاد هؤلاء الفلاحين ، أقبلوا لشوبان
وجورج صائد تمثالا .. وصنعا من البيت الذي كانا يقيمان فيه
متحفا .. وآلاف السياح ينفقون آلاف الجنيهات كل عام ، لرأيه
عش الغرام الذي عاش فيه شوبان وجورج .. والجزيرة كلها ليس
فيها ما تفخر به إلا أنها شهدت يوما غرام شوبان وجورج ..

ومن أجل شوبان وجورج .. أردت أن أذهب إلى مايوركا ..
في أمتشي لحظات في البيت الذي عاشا فيه .. أن أشهد بعيني
أهالي مايوركا وهم يسعون صرور شوبان وجورج صائد ، بعد أن كذا
بنفذهما بالطوب .. وأن أسمع .. أسمع في المجتمع الظالم
الذي يصر على أن ينزل العنان إلى مستوى الرجل العادي
.. ثم يقيم له تمثالا بعد أن يموت ! ؟ وحملتني الباخرة الكبيرة من
ميناء برشلونة .. وسأوت تشق بي الليل إلى مايوركا .. وعلى
ظهر الباخرة أكثر من خمسين ذئابة أسبانية .. في سن السابعة
عشرة والمشرير .. يملأ الأروقة بالصنجيج والمرح .. ثم يجتمعون
على سطح الباخرة في حلقة كبيرة .. وواحدة منهم تعزف الجيتار

وتغنى في صوت حزين أغنية أسبانية لا أفهم من كلماتها شيئا ..
ثم فجأة تنتقل إلى لحن مرح صاحب .. ويعنى الجميع معها ..
لابد أنها أغنية هزلية ، لأن البنات يصحكن من مرح وهن يعنين ..
وقناة أخرى تلتفتض واقفة وترقص رقصة أسبانية .. ثم فجأة
تشد قناة أخرى وترقص معها .. تشانسا ..

ومريق من الركاب اجتمع حول الحلقة الكبيرة يتفرج على مرح
البنات .

وأنا جالس على درجة سلم ، أستمع في وحدتي ..
وأخذ البنات يداعبن الركاب .. صداعبات بريئة حلوة
والصحكات تطفئ على صوت الموج الذي يتطاير حول الباخرة ..
وجاءت واحدة إلى ، وتكلمت كلاما كثيرا لم أفهم منه شيئا ..
إنها تتحدث بالأسبانية ..

وحاولت أن أحتلها بالإنجليزية أو الفرنسية .. ولكنها
لا تعرف منهما كلمة واحدة .. كل ما فهمته منها أنها تسألني عن
بلدي .. وقلت لها الكلمة الأسبانية الوحيدة التي أعرفها :

— أحييتو .. أي : مصر ..

وتنطق بالحاء .. أني لا أحب اسم « مصر » يترجم
بالأسبانية !!

وصاحت الدنت : أحييتو .. ثم نادى فريقا من زميلاتها ،
السنن حولي . ولكنن بنحدث في وقت واحد .. كلام كثير ..
لا أفهم منه شيئا !!

لقد اكتشمت ساعتها نعيما حديدا للامسان .. الإنسان :
لغة ..

وعندما يفقد الإنسان عنصر اللغة ، يفقد أداة التفاهم ..

وعندما يفقد أداة التفاهم يصبح مجرد شيء .. شيء موجود ...
له شكل .. ولكنه ليس إنسانا .. ليس مخلوقا يتفاهم كبشر
الإنسان ..

واكتشفت البنات — وكلهن لا يتحدثن إلا الأسبانية — انى شيء
.. مجرد شيء .. فترككنى ومنى الى موسيقاهن ورقصهن ..
وظللت جالسا على درجة السلم ، انفرج .. وتعلقت عينائى
بواحدة منهن ..

انها فتاة أشبه بالولد .. تسير فى خطوات قوية أشبه بخطوات
الأولاد .. خطوات رعاة البقر الأمريكان .. وذراعاها مبتعدتان
دائما عن جنبهيا ، كأنها ولد يتداهى بمضلاينه .. ووجهها جميل ،
ولكنه خال من المساحيق ، ونظراتها قوية كمنظرات ولد شقى ..
ويبدو انها ماهرة المدرسة .. انها أكثر البنات حركة ، وضجيجا
وأكثرهن شقاوة ، وجراة على الركاب .. ويبدو أن لها سيطرة
على بقية زميلاتنا .. سيطرة فيها نوع من الزعامة .. وتتبعنها
بعينى ..

★★★

ولاحظت انها ترقص ، وتغنى ، وتضحك .. ثم فجأة تتجه الى
زميلة لها جالسة فى ركن منزو قريب منى .. وتجلس بجانبها ..
وتنصع ذراعاها فوق كتفها ، ثم تأخذ فى الحديث اليها ، حتى تفكك
الزميلة .. كأنها تعتمد تسليتها .. كأنها تخصصها بنوع خاص من
اهتمامها .. ثم تقوم من جانبها وتعود ترقص وتغنى ، وتطلق
نكاتنا .. الى أن تعود الى زميلتها مرة أخرى ..

إن زميلتها جميلة .. رفيقة .. فيها ضحك .. وخف .. وهى
لا ترقص ولا تغنى .. انها فقط تبسّم .. ثم تنطلق من عينيه
نظرات شاردة كأنها تهيم بهما وراء شيء فى أعماق الليل ..

ونجاة .. لمحت شابا إسبانيا يتسلل من خلف صفوف الركاب ..
ويقف قبالة الفتاة الرقيقة .. وسمعت يتحدث اليها .. حديثا لم
افهم منه شيئا .. لم افهم كلمة واحدة .. ولكنى رايت نظرات الفتاة
تضطرب ، وتلفت حوالها ، ثم تحمر وجنتاها ..

وجلس الشاب بجانبها ، وبين شففيه ابتسامة رائعة ..
واستمر فى حديثه معها .. ورايت الفتاة تحنى رأسها .. وتظهر بين
يديها ، وترد عليه بكلمات قليلة .. وأحيانا تبسّم ، ابتسامات
سريعة تشق الليل كشعاع من القمر ..

وكانت الفتاة الأخرى — الفتاة الولد — ترقص .. منهمة فى
الرقص .. ونجاة توقفت عن الرقص .. واتجهت فى خطواتها
القوية .. خطوات راعى البقر .. الى حيث تجلس زميلتها مع
الشباب .. ووقفت قبالتها ، ويدها فى خصرينها .. وأخذت
تنظر اليها والبه .. ثم قالت كلاما .. ورفعفت الفتاة الرقيقة عينيه
وخيل الى أن فى عينيه خوفا .. وقالت كلاما قليلا فى صوت ضعيف
.. وهزّت « الفتاة الولد » كتفها .. وابتعدت .. وعادت ترقص
.. ولكنها لم تعد ترقص كما كانت .. انها تبدو كأنها ترتعش ..
وبير كل خطوة وأخرى تنظر الى زميلتها الجالسة فى الركن
المنزوى ..

والشاب لا يزال بجانب الفتاة .. يتحدثان ..

★★★

وكنت « الفتاة الولد » عن الرقص مرة أخرى ، واتجهت نحو
زميلتها وصديقها ، وقالت نكتة .. عرفت انها نكتة لأنها اعتبيتها
بضحكة كسرة .. ولكن الزميلة والصديق استقلا النكتة فى برود ..
وابتسامات مفتعلة .. فاطلقت نكتة أخرى ، استقبلها ببرود
أشد .. وابتلعت الفتاة ضحكتها .. ونقلت نظراتها بينهما فى

امتعاض .. ثم ابتعدت .. وجلست على متعدي بن بعض زميلاتها
وهي تزفر .. وخيل الى ان في زفراتها غيظا .. ولا تزال تنظر
بمسيب غاضبين الى زميلتها الجالسة مع الشاب .. ثم لم تعد
بطبق .. قامت ومشت نحوها ، ووقفت قبالتهما .. واحذت
تحدث الى زميلتها .. وكان صوتها في هذه المرة محتدا .. كأنها
تؤنبها .. تحذرها ..

وردت عليها زميلتها في ضعف .. كأنها ترجوها .. فتوسل
اليها .. وابتعدت « الفتاة الولد » وهي تزفر ، وتضرب الهواء
بكفيها ، وتحط أرض الباخرة بقدميها .. وعاد الشاب بحادث
الفتاة .. حديشا يبدو ناعما .. والفتاة الرقيقة تحنى رأسها في
الخفر .. وابتسامتها تتسع ، وتهادى بين شففتيها .. وموت فترة ..
ربع ساعة أو يزيد .. ثم مجأة رايت الفتاة الأخرى ، تندفع اليها
.. وفي هذه المرة أحذت توجه كلامها الى الشاب .. كلام في صوت
مرتفع حاد .. يبدو أنها تشتمه .. منهه .. تلعنه ..

ورايت الفتاة الرقيقة تقوم واقفة ، وترد على زميلتها .. يبدو
أنها تدافع عن الشاب ، وعن نفسها .. ثم جذبت الشاب من يده
وسارت به بعيدا ، وهي تئنفض في غضب .. ثم وقفت به عند سور
الباخرة ..

★★★

وجلست الفتاة الأخرى — الفتاة الولد — على المتعد الذي كان
يجلسان عليه .. جلست كأنها وقعت منهارة .. ووضعت رأسها
بين يديها .. وأصابعها تشد شعر رأسها في فيظ وغل .. ثم قامت
وانتهت الى حيث تقف زميلتها مع الشاب .. وسمعتها تتحدث
اليها .. أنها تتحدث اليها في توسل .. وتشير بيديها كأنها
تسحلفها .. ثم .. ثم بكت .. بكت الفتاة الولد .. ورايت

الفتاة الأخرى تقف ذاهلة .. ثم شهيم دموعها على خديها في
سمت .. ثم ..

ثم تحتضن زميلتها ويبيكان معا .. بكيتا كثيرا ..
ثم رفعت الفتاة الرقيقة رأسها ، ونظرت الى الشاب الذي
معا ، وسمعتها تقول له
— بونانوتشي .. أي : مساء الخير ..

ثم انقسمت له ابتسامة مسكنة .. اضعف من ان يبقى معه ..
.. ووضعت فراعها في فراع زميلتها وعادتا معا الى حلبة
الرقص والغناء .. و « الفتاة الولد » تنظر الى زميلتها كأنها
منها .. تقبل كل قطعة من وجهها ..

★★★

ورغم اني لا افهم الأسبانية .. ولم افهم كلمة واحدة من كل
الكلام الذي سمعته .. الا انني فهمت ما بين الفتاتين .. وعرفت
القصة ..

هل فهمتم ايضا انتم ؟ ان الانسان ليس لغة ..
انه يستطيع ان يفهم ، حتى بلا لغة .. والباخرة تشق بي
الليل نحو مابوركا ..

حائرين الحلال والحرام

انه رسام ؟

والناس لا تعرفه .. الناس تعرف ممثلى السينما والمطربين ، والكتاب ، ولكنها لا تعرف الرسامين .. وليس هذا ذنب الرسامين ، انه ذنب الناس .. الناس عندما لا يزال ذوقهم الفنى يلبدا ، خمولا ، لا يتحرك لمن الرسم ..

وقد عرفته منذ بدأ يخط خطوطه الاولى على الورق .. وكان مثيرا ..

ورغم فقره وقص ، بعد ان تخرج فى كلية الفنون الجميلة ، ان يشتغل مدرسا .. كان يعتقد انه لا يستطيع ان يعمل شيئا الا ان يرسم .. وكان يضحك وهو يتصور نفسه واقفا بين التلاميذ يعلمهم الرسم ، ويقول بصوته الذى يتعلق دائما كانه لا يتمد ان يسمعه احد ؛

— باء ده معقول .. مش لنا اتعلم انا الاول !

وكان يدور على الدكاكين الصغيرة .. دكاكين البقالة والخردوات .. ويكتب اليانطات او يرسم بعض الزخارف ، وياخذ احده لبشرى الالوان والفرشاة التى يرسم بها ، وقطع القماش التى يرسم عليها .. ثم يذهب الى غرفته الصغيرة فى حي « العطارين » ويرسم .. يقضى الليل كله وهو يرسم ويصبح عليه الصباح وهو يرسم ولم اكن ادرى متى ينام ؟ ومتى ياكل ؟ انه

لا نام الا اذا سقط من التعب .. ولا كمل الا اذا شعر بالحمى معدته يدرك انه يجب ان ياكل ..

وكان يعيش فى ازمة نفسية حادة .. ولم يكن فقره هو سر ريمته .. انه لم يشعر ابدا بفقره ، ولم يشعر ان هناك شيئا يريد .. لا يستطيع ان يحصل عليه .. كان سر ازمته هو حيرته .. حيرة حبيبة .. كان حائرا بين الحلال والحرام .. ما هو الحلال ؟ .. ما هو الحرام ؟ .. ولماذا الحلال ؟ .. ولماذا الحرام ؟ ..

وكان وهو صبي صغير يصلى .. عليه ابوه الصلاة ، وملاى له راسه قصص الملائكة والانبياء .. فكان يقبل على انصلاذ كانه يخطو الى عالم رائع جميل .. فيه جنة ، وفيه ملائكة ، وفيه سوح اتقياء ينتسمون من خلال نقون جليلة بيضاء .. وكان يقن على هذا العالم فى شوق ، ويقبل عليه وهو منتعش انعشه خاله ، وانعشه الماء الذى قوضا به .. ولم يكن يسأل ..

ولم يكن قد عرف بعد كلمة : لماذا .. كانت امه تحتم عليه ان يلبس جوربا اسود طويلا عندما يقف للصلاة ، حتى يغطي ركبتيه من تحت بتطولونه التصير .. فلا يسالها لماذا ؟ وكان ابوه يحسم عليه ان يغطي راسه بالطربوش وهو يصلى ، فيضع الطربوش على راسه دون ان يسأل : لماذا ؟ وكانوا ياخذونه الى زياره الاضرحة ، فيمسح بيده الصغيرة على شبك الخريج ؛ ويقرا الفاتحة .. ويعمل كما تفعل امه ميدور حول القبر الكريم سبع مرات .. ويرفع كفيه ويدعو .. ثم يمسح وجهه بكفيه .. ولا يسأل : لماذا ؟ لماذا كل هذه الطقوس الغريبة ؟

ولم يكن فى عقله حرام وحلال .. كان ما يفعله .. يفعله لانه يجب ان يفعله .. وما لا يفعله .. لا يفعله لانه لا يجب ان يفعله ..

ولم يكن يسأل نفسه : لماذا يجب ؟ .. ولما لا يجب ؟ ..

والعالم كله في عينيه ؛ عالم صبيان أطهار ، يحبون أمهاتهم ،
ويحبون آباءهم ، ويحبون الله .. ويصلون .. ويلعبون ! ولكنه
بدأ يكبر .. وشيء في رأسه بدأ يكبر أيضا .. وبدأ يفتأ بكلمة :
« لماذا ؟ » توقف في وجهه !

كان في الرابعة عشرة من عمره عندما سأل نفسه : لماذا تصر
أمي على أن تلبسني هذا الجورب الطويل السخيف كلها وقتت
للصلاة ؟

— لأغطي به ركبتي ..

— ولكن لماذا يجب أن أغطي ركبتي ؟

— لأنهما عورة ..

— ولكن ما هي العورة ؟

— العورة هي كل ما يثير مرآة نفوس الناس ،

— ولكن ركبتى لا تثيران نفوس الناس ، بدليل انى البس يفتلونا
تصيرا يكشف عنهما .. و ..

وتستمر المناقشة بينه وبين نفسه .. مناقشة يشدها من ناحية
عمله المنطوق .. وبشدها من ناحية أخرى عقل أبيه وأمه وما وضعاه
في قلبه من أخلاسيات دينية ..

الى أن انتهت المناقشة بثوره .. ووقف يصلى دون أن يلبس
حوربا طويلا ، ودون أن يضع الطربوش على رأسه .. ولم تكن
نوره على الله ولا على الدين .. ولكن ثورته كانت على هذه
الطقوس التى لا يستطيع عقله أن يهضمها ..

ورغم ثورته فهو خائف .. خائف أن يكون على خطأ ..
ويدمعه خوفه أحيانا الى أن يعود ويلبس الجورب الطويل ، ثم تمود
ثورته وتدفعه الى أن يخلع الجورب الطويل ..

وبدأت كلمة « لماذا » تكبر أكثر .. وأكثر .. والمناقشات بينه

نفسه لا تهدأ .. أنه يناقش كل شيء .. ولا يستطيع أن يبتنى
قرار في أى شيء .. وتعب .. وادى به التعب الى أن اطلع عن
مسألة .. لا لأنه كفر بالله .. ولكن فقط لأنه تعب من مناقشة
أبيه لا يستطيع عقله الصغير أن يصل اليها .. أنه يحاول أن
ب .. يهرب من المناقشة .. ولكن الله في قلبه .. يؤمن به ..
نه .. ويلجأ اليه .. والمناقش النفسى لا يكف عنه رغم أنه لم
.. يصلى ..

وإحساسه اللئى يشمه المذاب .. عذاب الحيرة .. وبدأ
التفت يخذ اتجاهها جديدا :

ما هو الحلال ؟ وما هو الحرام ؟ هل الكذب حرام ؟

ان والده يكذب .. كذبات صغيرة بيضاء ، لا تؤذى أحدا ..
هل يدخل والده النار لأنه يكذب ؟ لا .. أنه لا يوافق على أن
يخون والده النار .. والله لا يمكن أن يحكم على والده بالنار ..
ربما لم يكن الكذب حراما .. ان الحرام هو إيذاء الناس ..

فإذا كذبت ولم تؤذ أحدا فالكذب ليس حراما .. بل ربما
أو كذبت لتريح النفس وتسعدهم ، لأصبح الكذب حلالا ..

وما هي الفنون ؟ انها الكذب .. والفنانون ليسوا سوى قوم
عوا في الكذب .. الممثل هو رجل يتفأ أمامك ويكذب عليك وينتلك
في حياة بصورها في قصة .. و .. هل يدخل الفنانون أيضا
النار لأنهم يكذبون ليسعدوا الناس .. كذبهم حلال ! ولكن .. هل
هذا صحيح ؟

من يحدد إذا كانت هذه الكذبة تؤذى ، أو لا تؤذى ؟

ليس هناك مقياس ..

هل نترك لكل فرد أن يحدد مدى حقه في الكذب ؟

هذه موضى .. أن القاتل يعتقد أن من حقه أن يقتل ..

والسارق يعتقد ان من حقه ان يسرق .. فلو اعترفنا للناس بحق
الكذب لتهادوا فيه ..

ربما كان من الافضل ان نعتبر الكذب — كل انواع الكذب —
حراما ..

ولكن .. و ..

وتستمر المناقشة .. وتستند حيرته بين الهرام والحلال ..
وينعذب ..

وقد ظهرت هذه الحيرة في كل لوحاته التي رسمها ..

انه يرسم مسجدا كبيرا فيه مصلون خاشعون .. وفي آخر
اللوحة — بعيدا — يرسم يافطة مكتوب عليها بانوار النيون كلمة
« كابلريه » .. ويسمى اللوحة « نور » ! ويرسم مومسا في حى
الغيايا واقفة في الانتظار .. وفي ركن بعيد من اللوحة يرسم
منقطة مسجد .. ويسمى اللوحة « يارب » !

ويرسم خمارا في حى شعبي مزدحمة بالسكاري ، وعلى بابها
شيخ اعمى يبيع مصاحف القرآن والسبع .. ويسمى لوحته
« مرة !! » .

ولا تشعر في كل هذه اللوحات انه يبدي رايها ، او ينتقد ..
لا .. انه حائر .. مجرد حائر تعذبه وتقلقه حيرته !
وبلغ قمة العذاب عندما احب .. احب امرأة متزوجة ..
واحبه ..

وبدا يسأل نفسه ، هل حبه حرام ام حلال ؟

ولم يكن يناقش موضوع العلاقة الجنسية .. ان العلاقة
الجنسية في نظره اقله من ان تناقش .. ولكنه كان يناقش العادلة
.. عاطفته .. حبه .. هل هو حرام ام حلال ؟

انه حرام .. كل الناس يقولون انه حرام .. ثم انه يمتدى

حق رجل آخر ، والاعتداء على حقوق الغير حرام .. لان فيه

— ولكن ما هو حق الغير الذي اعتدى عليه ؟

— ان هذه المرأة ملك لرجل آخر ..

— كيف تكون المرأة ملكا لرجل .. انها ليست مذاعا .. انها
حسنة كاملة مستقلة .. وقد تزوجت بلا حب .. بل لم تختار
زوجها .. اختاروه لها .. وتزوجت لانها كان يجب ان تزوج ..
بما كما يلتحق الشاب بوظيفة .. والوظيفة لا تمنعها من الحب
.. ان الوظيفة عندما تحب لا تعتبر انها خانت مدير الشركة ..
تعتبر حبيبا معديا على حقوق الشركة .. وهذا الزواج ليس
رى شركة .. شركة لتربية الأولاد ، وللسعى في الحياة .. وهذا
اربع ليس يحوى مدير الشركة !! و .. ويحاف هذا المنطق ..
رفع عينيه الى السماء كأنه يبحث عن جواب لحيرته .. ويطن
صوت في اذنيه كالصراخ :

— لا .. الزواج ليس وظيفه .. انه ليس مجرد شركة .. انه
حب شخصين في كيان اجتماعي واحد .. وانت لا تعتدى بحبك
الى الزوج لوحده ، انك تعتدى على المجتمع ..

ويشتد خوفه .. ليهرب من حبه .. يهرب من هيبته .. ثم
لا يلبث أن يغلبه حبه ، فيعود اليها .. ثم يهرب مرة أخرى ..
الحلال يشده من ناحية والحرام يشده من ناحية أخرى .. وهو
اثر .. ولم يعد يحتل حيرته .. مرض .. اصيب بالسل ..
ترك السل يسمى في رثيته حتى اشرف على الموت ..

وذهبت الى زيارته وهو راقد في فراشه ..

وقال لي وعلى شفثيه ابتسام ضميعة تطل على وجهه الأصفر :
— اتعلم ما هي الفترات السعيدة التي عشتها .. انها الفترات

التي كف خلالها عقلى عن النقاش ، وخلصت روحى الى الله ..
فاستكانت ، وهذات .. يبدو اننا يجب ان نلقى عقولنا حتى ننتج
براحة الايمان ..

قلت وانا اشفق عليه :

— أن الذين يضعون العقل فى خدمة الروح يصلون الى الايمان
.. والذين يضعون الروح فى خدمة العقل ، يختارون .. ويتعبون ..

قال :

— ماذا تقصد ؟ !

قلت :

— أن الايمان راحة للنفس : يجب أن تسلم به قبل أن تفكر
.. ثم بعد ذلك تفكر فى حدود هذا الايمان .. أن الايمان كالدواء
الذى يكتبه لك الطبيب .. والطبيب هنا هو الله .. وانت لا تناقش
الدواء قبل أن تتناوله .. لا تسأل عن مركباته وكيفية صنعه ..
ولو سألت .. تعبت ، واحترت .. أنك لست كيميائياً .. وربما
ادى بك السؤال ، الى رفض الدواء ، وعز عليك الشفاء ..

ونظر الى .. كأنه لم يفهمنى ، ثم قبض على يدي بيده الهزيلة
المعروقة ، وقال وعيناه تلعبان :

— كيف تفرق بين الحلال والحرام ؟

قلت :

— أن التعاليم التي تتلقاها والتي تفرق بين الحلال والحرام
وضعت لتنظيم المجتمع .. انها كقوانين المرور .. انهم يحتبون
علينا أن نسير على اليمين ، مع أن السير على الشمال ليس
مستحيلاً .. ولكننا نسبح الكلام ونسير على اليمين حتى لا نصلطهم
بعضنا ببعض .. أنه مجرد تنظيم لحركات المجتمع .. أما من
ناحية الفرد .. فإن كل آدمي فيه لمسة من الله تسمى الضمير ..
وهذا الضمير هو الذي يفرق بين الحلال والحرام .. الحلال هو

لا يؤذى نفسك أو غيرك ، والحرام هو ما يؤذى غيرك
.. والضمير هو مقياس حساس لما تسببه تصرفاتك من أذى ..
قال وهو يرتعش :

— هناك البراد بلا ضمير ..

قلت :

— هؤلاء قد نخلى عنهم الله .. فلم تعد لهم مشكلة ..
وسكت طويلاً وانفاسه الضعيفة تتميزز على شفثيه .. ثم برقت
باه كأنه رأى أمامه نوراً ، وقال كأنه لا يعتمد أن يسمعه أحد :

— هناك حقيقة واحدة لا نحتل النقاش ..

قلت :

— ما هي ؟

قال وظل ابتسامة يكسو وجهه النحيل :

— الموت !! ..

ثم التفت الى مرة واحدة ، وعاد يقبض يدي بعنف ، قائلاً :

— انى أريد الموت .. أتدرى لماذا ؟

قلت وأنا أريت على يده واحاول أن أرفع عنه بابتسامتى :

— لماذا ؟

قال :

— لأنى بعد الموت سأعرف ما هو الحلال والحرام .. و ..

وسكت .. ثم ازداد انساع عينيه واشتد بريقهما ، وصرخ :

— هل سأعرف .. هل هناك بعد الموت .. و ..

وقاطعته بسرعة :

— نعم .. ستعرف .. ستعرف ..

والقى رأسه على الوسادة فى اعياء ، ونهتم :

— لا أدري ..

لا .. ليس جسدك

كان ذلك في عام ١٩٤٧ ..

وكنيت لا أزال وكيل نيابة بغير السوييس ..

وحامضتي اشارة بأن امرأة اقلت بنفسها.. من الدور الثاني من مبنى قسم البوليس ، قاصدة الانتحار ، وذلك أثناء اخذ اقوالها بمعرفة الضابط النوبتشي ..

وانتقلت فوراً الى قسم البوليس ، ودخلت الى غرفة المأمور .. وكنيت اعرفه .. انه رجل يحاول أن يطلق شلاربه على الطراز الانجليزي ، ويدخن البايب ، ويشرب الويسكي ، ويلوى لسبائه عندما يتكلم .. وكان بحكم عمله في السوييس متصلاً بالضباط الانجليز .. ضباط الاحتلال .. وزاده اتصاله بهم تقليداً لهم .. واستقبلتني المأمور مرتكاً .. وتوافع ان كل ضباط وجنود قسم البوليس كانوا يرتكبون ، فان محاولة امرأة للانتحار أثناء اخذ اقوالها ، معناه الذي يتبادر الى الذهن ، انها تعرضت للتعذيب والاعتداء عليها .. وهي تهمة خطيرة يمكن ان تسبب ارقاً لرجال البوليس ، اذا وصلت الى رجال النيابة ..

وكان اشد الجميع ارتباكاً هو الضابط الذي كان يولّي اسجواب الفتاة قبل ان تلقي نفسها من النافذة .. وهو ضابط من خريجي كلية الحقوق ، لا كليه البوليس .. وكان ضابط الحقوق مبهين من زملائهم بأنهم تنقصهم الروح العسكرية ، واصول

السط والربط .. وانهم يخامون القانون الى حد ان يعجزوا عن "تعذيبه .. فلا يستطيعون أن يحولوا الجناية الى جنة ، واحصه الى مخالفة ، كما كانت عادة رجال البوليس عندما .. ولون اقناع الناس باستناب الأمن .. ميشطون الجنائيات من ذمهم ..

وانطلق الضابط فوراً .. وقبل ان أسأله ، يقسم لي ان الفتاة لم .. من للتعذيب ، وان احدا لم يمد يده عليها ، وانه كان يهرر لها .. سر يشردها عندما فوجيء بها تقفز من أمام مكتبه ، وتلقي بنفسها من النافذة ..

وانتقلت الى المستشفى الذي نقلت اليه المنحرفة ، وجاء معي المأمور وضابط القسم .. ولدهشتي الشديدة وجدت الفتاة سليمة ، لم يسب الا خدوش بسيطة ، وعلمت انها سقطت من النافذة ، حائسة على كوك من بشارة الخشب ، منجت من الموت وسألتها لماذا .. ولت الانتحار ، فرفضت ان تجيب ، واكتفت بأن قالت :

— أبدا يا سيدي .. زهقانه من ديني !

قلت في الحاح :

— زهقانه من ايه ؟

قالت وهي تردد :

— من عيشتي ..

قلت :

— بعد ضربك ؟

قالت وهي تدبر راسها :

— أبدا .. ما حدثت ضربتي !

قلت :

— ما حدثت ضايقت في قسم البوليس ؟

قالت :

وهنا استراح وجه المأمور وضباطه ، واعتبروا الموضوع قد انتهى بالنسبة لهم ، وانصرفوا ، وبقيت وحدي مع الفتاة ابخلق في وجهها كأنني أحاول أن ألقط سرها من مينيها .. وجه أصفر بحيل ؟ وعينان عميقتان ، سوادهما داكن ، وبياضهما ناصع ، يختلط فيهما الخوف بالتحدي ..

ولم أكن في حاجة لأن يقول لي أحد انها مومس .. مومس محترفة رخيصة .. أن كل ما فيها يدل على حرفتها .. وقد كنت دائما أشعر بالعطف على المومسات وأعسرهن ظاهرة من ظواهر فساد المجتمع .. وكانت مومسات منطقة القتال في تلك الأيام يجترئن حالة ضحك .. فقد كانت هناك ثورة على الإنجليز ، وأصدرت القيادة أمرا بعدم دخول الحنود إلى مدينة السويس والبقاء داخل المعسكرات خوفا من الاحتكاك بالأهالي .. وكسدت سوق المومسات .. تعرضن للجوع ، والنؤس ، إلى حد أن علمت أن المرأة منهن كانت مسير بقدميها إلى المعسكرات وتقيم في خيام الجنود أسبوعا أو أسبوعين .. وحدها بين عشرين جنديا .. ثم تخرج بما تجمعها منهم من نقود .. أن البقاء يسير دائما في أقدام الاحتلال ..

وأثارت هذه الفتاة مزيدا من عطفي ..

كان في مينيها العميقتين ، وعلى وجهها التحيل ، من انغاس البؤس والشقاء ، ما أثار انسانياتي وحفزني إلى انقاذها ..

وأخذتها معي إلى مكتبي ، وبدأت أسألها من جديد .. ويبدو أنها اطمانت بعد أن انصرف المأمور وضباطه ، وبعد أن لاحظت أنني أعاملها برقة واحترام ، فبدأت تتكلم .. قالت لي أن هناك ثلاثة من رجال البوليس السري يطاردونها ، وكلها راوها فرفضوا عليها

.. نصف ريال .. ريال .. وأحيانا كثيرة لا يكون معها من النقود ، ولكنهم لا يصدقونها ، فيقبضون عليها ، ويوجهون تهمة التشرد .. ويلتقون بها في السجن أسبوعا أو أسبوعين .. لا تكاد تخرج حتى يلاحقونها مرة ثانية .. وكانت هذه هي العاشرة التي يقبضون عليها فيها .. فلم تطلق .. وقررت أن أحلص من حياتها ، فالتفت بنفسها من النافذة ..

وشرت .. وقررت أن أنقذ هذه الفتاة من جنود البوليس الذين يدونها .. وكنت أعلم أن ليس من حق رجال البوليس أن وجهوا تهمة التشرد إلى امرأة .. فالتشرذ تهمة توجه إلى من كان لا يعمل له .. وقد حكمت محكمة النقض بأن المرأة لا عمل لها أصلا ، فلا تكون أبدا موضعا للتهام بالتشرد .. ولكن البوليس حين يتتبع أحكام محكمة النقض .. وحتى لو كان يتبعها ، ويرى أن يخسب شيئا إذا سجن الفتاة إلى أن تقدم إلى المحاكمة ..

أني لن أنقذ الفتاة فحسب .. بل سأنقذ أيضا أحكام محكمة النقض ..

وسجلت أفعالها ، ثم طلبت منها أن تسمى شاهدين .. يمكن شهدا على أن رجال البوليس تعودوا أن يأخذوا منها رشوة ..

وعينت شاهدين .. ولكنهما كانا من نفس بيئتها .. ليس لهما أن ثابت ، وكان يجب أن الجأ إلى البوليس لاستدعائهما ، البوليس يعلم انها سيكونان شاهدين ضده .. فلن ينفذ طلبات النيابة .. ومرت الأيام ، ومضت التحقيقات مفتوح إلى حين استدعاء الشاهدين ..

وفي خلال هذه الأيام كانت فطومة تردده على مكتبي .. ست استدعيتها دائما بشاشة ، واحترام ، وأسألها عن حالها ..

وأطمئنتها الى حمايتي لها .. ونشأ بيني وبينها نوع من الالفة ..
أو من الصداقة ، لا تقوم أبدا بين هذا النوع من النساء ووكيل نيابة
مثلئ .. حتى أن عسكري البوليس المعين على بابي كان يدعوني
لسماحي لها بالدخول الى مكنتي .. وكان في كل مرة يحاول ان
يهمعها ، وفي كل مرة أنهره وأمره أن يسمح لها بالدخول .. ثم
فقد مرة أعصابه عندها رآها تلنط علبة الكريش من على مكنتي .
وتشعل لي سيجارتي ، فهب في وجهها فجأة كأنه العاصفة ، ولم
ينقذها منه الا أن حلت بينه وبينها ..

ولم أغضب من العسكري الواقف على بابي ، فقد قدرت فيه
غيرته على هيبة رجال النيابة .. ولم أغضب من الفتاة عتبه
حاولت أن تشعل لي سيجارتي ، فقد كنت أحاول أن أعاملها كسيدة ،
لعلني أعيد اليها احترامها لنفسها ..

ثم فجأة اختفت فطومة .. لا أدري أين ذهبت .. ولكنها
اختفت .. لم تعد تتردد على مكنتي .. ومع الأيام نسيتها ..
نسيت انقاذ البشرية ..

ونسيت انقاذ احكام محكمة النقض ، واختلطت حياتي بعشرات
من الجرائم والحوادث الجديدة ومئات من المتهمين والتهمة ،

ثم ، وبعد أربعة شهور .. فقط أربعة شهور .. توجهت الى
دار المحكمة ذات صباح ، ودخلت وأنا لا انظف حولي حرصا على
هيبة رجال النيابة .. ولكني وإن لم اكن اتلفت حولي ، فقد كنت
أرى ما حولي .. أراه بخيالي .. أرى المتهمين مكومين تحت سلم
الحكمة في انتظار الجلسة واستدعائهم .. وأرى بوفيه المحكمة
على الناحية الشمال .. وأرى مكاتب الكتبة العموميين .. و .. و ..

وصعدت السلم في هيبة ووقار .. ثم فجأة سمعت صوتا نائحا
يصيح :

— يا سعادة البيه .. يا سعادة البيه ..

ولتفت .. ورأيت امرأة تجرى نحوي ، وعسكري البوليس
يحاول أن يمنعها .. واعتقدت انها امرأة تحمل مظلمة تريد
ترفعها الى فوقفت في أعلى السلم منتصبا ، كتمثال العدالة ..
وعندما رأيت العسكري ، وقد وقفت ، ترك المرأة تجرى نحوي ..
فصعدت الدرجات الى ، وهي لا تزال تصيح :

— يا سعادة البيه .. يا سعادة البيه ..

ونظرت في وجهها ، وأنا لا أزال أنتظر المظلمة التي ترفعها
الى ..

ونظرت الى وقالت في حياء وتردد :

— أزيك يا سعادة البيه ..

وتذكرتها .. انها فطومة ..

وابتسمت ابتسامة خفيفة سريعة ، لا تكاد تخرج من بين
شفئي ! ..

ومدت فطومة يدها الى لتصافحني وهي تردد :

— أزيك يا سعادة البيه ..

وهيمت ان أهد لها يدى .. وفجأة دفعتني إحساس اقوى مني
الى أن اتلفت حولي .. ورأيت المتهمين المكومين تحت السلم
يتطلعون الى في نظرات عجيبة .. ورجال البوليس يتطلعون
الى .. وعامل البوقيه واقف شاغرا فاه ، يتطلع الى .. والكتبة
العموميون يتطلعون الى ، وأفراد من الجمهور يتطلعون الى ..
كلهم يتطلعون .. كأنهم ينتظرون شيئا كبيرا رهيبا .. وخفت ..
لا أدري مم خفت ..

وكانت يدى في منتصف الطريق نحو يد فطومة لتصافحها .

وفجأة .. سحبتها .. سحبت يدي .. لم اصافح فطومة ،
وادرت لها ظهري .. وصعدت ..

★★★

لقد مرت على هذه الحادثة الآن ، أكثر من عشر سنوات ، وكلا ،
تذكرتها احسست بشيء يتلوى في صدري .. احسست بجرح ينفث
في قلبي وينزف دما ..

لماذا لم اصافح فطومة .. لماذا ، ايها الجبان .. ؟
واحاول أن افتح نفسي بانى لم اصافحها حرصا على هيبه
النيابة .. ولكنى لا زلت اشعر بالشئ الذى يتلوى في صدري ،
والجرح الذى ينفث وينزف دما ..
لا زلت اشعر بانى جبان ..

بلا قانون

الاسطى خليل .. يعمل في مصنع صغير لسباكة المعادن ،
يصنع الملامق والشوك والاواني المعدنية .. وهو يعمل بنظام
المثولة .. اى يقدم لصاحب المصنع كمية معينة من الانتاج ، نظير
مبلغ معين .. وهذا المبلغ لا يعتبر اجرا ، ولا مرتبا .. ولكنه
يعتبر ربحا ..

وكان الاسطى خليل يستخدم — من وطنه — عددا معينا من
المبال ، وهو الذى يختارهم ، وهو الذى يدفع لهم اجورهم من قيمة
المثولة .. ويختار دائما مبالا من صفار السن ويدفع دائما اجورا
سئيلة ، وكان الاسطى خليل يضرب مباله ..

ويخصم من اجورهم .. ويطردهم بلا انذار ..

لم يكن يهبه قانون .. وواقع انه لم يكن يعرف القانون .. ولم
يفراه .. ولم يضطر يوما ان يذهب الى وراة الشئون او الى اى
جهة تطالبه بان يعرف القانون .. ولم يكن الاسطى خليل يحس
بقسوته على عماله .. لم يكن يعتقد انه قاس .. بالعكس .. كان
حبيب العمال .. بحبهم فعلا .. وكان يعتقد انه يضربهم لانه يحبهم
ويخصم من مرتباتهم لانه يحبهم .. ويطردهم لانه يحبهم ، انه
يحبهم ، كما كان رئيسه يحبه وهو عامل صغير .. وكان رئيسه
يضربه ، ويخصم من اجره ، وكان يراه يطرد العامل الكسول
المهمل ليحصى بقية العمال من كسله واهماله .. وقد اصبح الاسطى

خليل عاملا كبيرا .. امهر عمال صناعته .. واصبح يعمل بالمقاوله ، ويستاجر من باملنه عددا من العمال .. وهو لا يزال يعتقد ان سر نجاحه هو الصناعات والشلايت التي كانت تنهال عليه وهو عامل صغير .. ثم خوفه من خصم جزء من أجره .. وخوفه من ان يطرد .. هذا الخوف هو الذي جعل منه عاملا ماهرا .. وهو يريد كل مهاله ان يخافوه .. ان يخافوا الضرب ، والخصم ، والطرد ، حتى يصبحوا مثله مهلا مهرة ..

وكان العمال يخافون الاسطى خليل عملا .. وكانوا يحبونه .. حبا يغلب عليه الاحترام ..

والاسطى خليل واثق من حب مهاله له .. هذا الحب الذى يغلب عليه الاحترام .. لانه هو ايضا - وهو عامل صغير - كان يحب رئيسه ويحترمه ..

ثم .. صدرت القوانين العمالية الجديدة ..

واهتمت الشركة التى تملك مصنع سبلكة المعادن ..

ولم يفهم الاسطى القوانين الجديدة فهما عاما .. ظل فى حيرة منها ، كان يجن وبينها ضبابا .. ولم يكتشف الاسطى خليل لماذا لم يستطع فهم هذه القوانين .. ان كل العمال يفهمونها ويهللون لها .. وهو عامل .. طول عمره عامل .. فلماذا لا يفهمها ، ولماذا لا يفرح بها ..

لم يستطع الاسطى خليل ان يقدر انه ليس مجرد عامل .. انه اسطى .. والاسطوات يمثلون طبقة خاصة داخل مجتميع العمال ، وهو ايضا ليس مجرد اسطى ، ولكنه اسطى مقاول .. فهو يمثل طبقة اخرى فى مجتميع الاسطوات .. وانه لهذا .. لم يستطع ان يفهم القوانين العمالية الجديدة فهما تاما ، ولم يستطع ان يفرح كما يفرح كل العمال ، كما انه لم يستطع ان يسخط عليها كما

يسخط اصحاب الشركات .. انه يعيش وقدماه فى ارض العمال ، ورأسه تطل من نافذة رأس المال ..

وكل ما فهمه الاسطى خليل ان المدير الجديد للشركة - بعد ان اتمت - باداه ، وعرض عليه ان يعمل بمرتب شهرى ، بدل ان كان يعمل بالمقاوله ..

وابتسم الاسطى خليل ..

ان اصحاب الشركة السابقين عرضوا عليه مثل هذا العرض رفضه .. رفضه بشدة .. انه لو قبل العمل بمرتب لمعنى هذا ان العمال الذين يعملون معه يصبحون تابعين للشركة .. ويصبح من حق مدير الشركة ان يتدخل فى شؤونهم ، وان يشرف عليهم .. كما مسح من حق المدير ان يشرف على العمل نفسه ومعنى هذا انه - اى الاسطى خليل - يشدد من قبضة الشركة على عنقه ، ويسلبها حمار العمل ، فتستطيع ان تتحكم فيه .. وان تستغنى عنه يوما .. لا .. له لا يقبل ان يفقد حريته فى عمله الى هذا الحد .. ولا يقبل ان يصبح أكثر حاجة الى الشركة ، من حاجة الشركة اليه .. ولا يقبل بعد هذا العمر الطويل والشقاء الطويل ، ان يعود لئذلا كلما احتاج الى علوة او اجازة ..

كان هذا هو موقف الاسطى خليل قبل التاميم ..

ولكنه يحس الآن وهو يحدث المدير الجديد بشئ تغير .. ست القوانين التى تغيرت .. ولكن وصح المدير الذى يحدثه .. ان هذا المدير الجديد لا يمكن ان يكون له مصلحة خاصة فى العرض ادى يعرضه عليه .. كما انه لم يعد هناك اصحاب للشركة يمكن ان يتعهدوا السيطرة عليه ، واستغلاله .. انه يحس بان العرض لذى يعرضه عليه المدير الجديد له مفهوم جديد ، ورنه جديدة .. لا تنبئه ، ولا تجعله يخاف على مستقبله ..

وكان هذا هو أول ما فهمه الأسطى خليل من الوضع الجديد
وقبل العزم ..

ولكن .. المرتب لا يجب أن يقل عن الربح الذي كان يخرج .
من نظام المقاوله .. هذا حقه .. لقد وصل الى مستوى معين .
بعمره وكده .. ويجب أن يبقى فى هذا المستوى .. ان القوانين
الجديدة والأوضاع الجديدة لا يمكن أن تأخذ منه شيئا .. لا يمكن
أن تنسب فى الهبوط بمستواه .. انه ليس اقطاعيا ، ولا رأسماليا
.. انه عامل يعمل ببديه مع بقية عماله .. كل قرش يكسبه بجده .
واخذ يساوم المدير على مرتبه .. فى حدة ..

وقدر له المدير قيمة المرتب ، واخذ يعدد له الزايا التي تمنحها
له القوانين الجديدة .. تخفيض ساعات العمل .. الاشتراك فى
الربح .. التأمينات الاجتماعية .. العلاوات .. و .. وفهم الأسطى
خليل القوانين أكثر .. وافق على المرتب .

وعندما عاد الى عماله .. أحس انه قريب منهم أكثر .. أحس
بفرحتهم .. وفرح معهم .. ولكن .. المدير الجديد يصمم على
الاستغناء عن العمال الصغار الذين تقل اعمارهم عن خمسة عشر
عاما .. لماذا ؟ القانون ..

ولكن كيف نخلق العمال المهنيين اذا لم نبدأ فى تدريبهم منذ
سن السابعة .. انه هو نفسه بدأ العمل وهو فى السابعة .. بدأ
يكسب بلاط المصنع .. والأسطى يضربه على قفاه .. ثم ارتفع
درجة فبدأ يقف بجانب الأسطى يناوله معدات العمل .. وينقل القطع
المصنوعة من مكان الى مكان .. والأسطى يضربه ايضا على قفاه
و .. و .. وهكذا أصبح عاملا ماهرا ..

ولكن ، يا أسطى خليل .. ان العمال الصغار صحتهم لا تحتل
.. ثم انهم يأخذون رزق مهال كبار احوج منهم الى الرزق ..

وصرخ الأسطى خليل :

— العمال محنهم رى البعب .. دول بياكلوا الحديد .. والكبار
.. بين شغل والحد .. المهم اننا نطلع عمال جداد .. حيطلعوا
ى اذا ما اتملوش من صفرهم .

واتسم المدير :

— يتعلموا فى المدارس .. وفى مراكز التدريب .

وهز الأسطى خليل كتفيه :

— ابقى قايلى ..

ولم يقتنع الأسطى خليل تماما ، بعدم تشغيل الأطفال .. ثم
يقنع بأن المدارس ومراكز التدريب يمكن أن تخرج عاملا نالجا ..
.. طما نشوف !
وعاد الى عمله ..

وشيء لم يفقده أبدا الأسطى خليل .. غيرته على العمل ..
العمل بالنسبة له هو كرامته ، وهو شره ، وهو متعته .. وهو
عد التأميم ، كما كان قبل التأميم لا يهدأ .. لا يضيع دقيقة واحدة
وقت العمل فى غير العمل .. وهو يريد من كل عامل معه ان
.. مثله .. ولكن العمال يتهاونون .. ويتكاسلون .. ويتحركون
.. يمشون فى شارع ٢٣ يونيو ..

ويصرخ الأسطى خليل :

— يا واد اتحرك .. ده انا لما كنت فى سنك كنت باخذ ثلاثة
ساع فى اليوم .. وانت دلوقت بتطلع بعشرين قرش .. اتحرك ..
ويسمح العمال صوته فيتحركون ، ثم لا يلبث كل منهم ان يعود
الى تهائه وتكاسله .. وفى مرة رفع الأسطى خليل كله ليصنع
احد العمال ، وأمسك العامل باليد التي تحاول أن تصنعه ، وقال
فى هدوء :

— بلائس الحاجات دى يا اسطى .. ما يصحش ..

وجن الاسطى .. وصرخ فى العايل :

— اطلع بره .. انت بالكش شغل معليا ..

هلكن ..

ممنوع الرفت .. وممنوع الضرب ايضا ..

وصرح الاسطى :

— امال هانشغلهم ازاي .. دول حراميه .. ببسرقوا مالى

الحكومه .. اللى ما يشتعلش ويقبص بوميته ، بيتى حرامى ..

يبقى ببسرق .. لازم يتربى .

وجاءه الرد :

— بالقانون !

وبدا الاسطى خليل يدرس القانون ..

ولم يقل على فهم القوانين ليعاقب بها العمال .. ولكن لانه

خشى على نفسه .. خشى ان يستمر تهاون العمال دون ان يكون

هناك رادع لنهاوهم فتكون النتيجة ان يياس من تشغيلهم .. ويياس

من العمل نفسه ، فيشاركهم فى مهاوهم .. يصح هو الآخر عاملا

متهاونا .. ويفقد شرعه وكرامته .. ويفقد ايضا متعته الكبرى .

منعته التى يعيش بها ولها .. ممعة العمل .. ووحده الاسطى خليل

فى القانون علاحا لكل حالة .. القانون يعالج العمل المهاون ..

يعالجه بالخصم من مرتبه .. وبالطرد .. و .. و .. و يمرر

الاسطى خليل ان يطبق القانون .. وطبقه معلا .. وعرف بقسوته

بين العمال ..

وقد كان دائما معروفا بقسوته ، ولكنه كان يحس بان العمال

يجبونه رغم قسوته .. ولكنه الآن لا يحس بحبهم .. انه يحس

كانهم يكرهونه .. ويدسون له عند المدير .. ويكثون ضده

التقارير .. و .. و .. لا يهم .

ليكرهه العمال .. المهم ..

هو الا يتستر على تهاونهم ، ولا يشاركهم فيه .. ولكن ..

القانون يبيع ايضا منحه المكافآت للعمال الجاد المنتج ..

وبدا الاسطى خليل يطلب مكافآت للعمال المجدين .. ولكنه

سنيئا .. وكان لا يترك لعاوطيه ان تنوده وهو يطلب مكافأة

العمال .. عواطفه ليس لها دخل فى عمله وليس لعاوطه ان

.. وهو يطلب مكافأة لأحد العمال عامل منتج وعامل غير منتج .

وهو لا يزال يحس ان العمال يكرهونه ..

وانتهى به هذا الاحساس الى ان يصبح انسانا كثيرا .. فقد

اسمايته .. وفقد ضحكته العالية .. وفقد مرحه .. أصبح وهو

العمل مضطرب الحاجبين دائما ، غاذا عاد الى بيته أحس انه

.. وحيد وصدره صيق .. واعماله متويرة .. يشحط في

.. ويشحط فى أولاده .. ثم يحس برغبة فى البكاء .. واحتس

.. هذا ..

وكل ما يعوضه ، هو ان انتاج القسم الذى يشرف عليه ، هو

.. اساح بين جميع الانقسام وان عماله معروفون فى جميع

المؤسسات بأنهم أكثر العمال نظاما ودقة فى الانتاج ..

ومر عام .. وجرت انتخابات داخل المصنع ، لانتخاب مندوب

.. فى مجلس الادارة . ولم يرشح الاسطى خليل نفسه .

انه يعرف ان العمال لا يحبونه ، ولا يريدون اسطى مثله يمثلهم

مجلس الادارة . انهم يريدون اسطى يتستر على تهاونهم .

خضع لئزولتهم ولا يحاسبهم على انتاجهم .

وجاءه بعض العمال يرجونه ان يرشح نفسه ..

لا .. هؤلاء المنافقون ، انهم يحاولون التقرب اليه حتى يتهاون

.. او لعلهم يريدون ان يخدعوه .. ان يكيهوا له .. يرجوه

إن يرشح نفسه حتى إذا قيل تخلوا عنه وتركوه يسقط ليفضحه
 أمام بقية الأسطوانات وإمام مديري الشركة .
 لا .. أنه أعقل وأكثر حذرا مما يظنون ..
 وجهت الانتخابات .. و ..
 فاز الأسطى خليل .. فاز رغم أنه لم يرشح نفسه .. ولم
 يصدق ..

والتف حولة العمال يهئون .. ويتسبون .. أنهم يحبونه .
 لم يكن يعلم أنهم يحبونه إلى هذا الحد .. وأغرورت حينها
 الأسطى خليل بالدموع .. وابتسم .. لقد أوحشته ابتسامته ..

النافقة

است تروح وتجيء في غرفتها بقميص النوم ، وشعرها
 .. موق جبينها ، وحاجباها معقدان فوق عينيها وشفتيها
 مر ومان ، وتضغط بأصابعها فوق ذراعيها ، كأنها تحاول أن
 يحق الدم في عروقها ..

ثم فجأة توقفت .. وبحثت في دولابها عن ورق وقلم ، وجالست
 فوق سريرها وأسندت ظهرها إلى الحائط ، ثم حذبت الكتاب
 الممسوح تحت الوسادة ، وأسندته إلى ركتيها ، ووضعت فوقه
 الرمحه ، وبدأت تكتب .. بلا تردد ، ودون أن تتوقف لاختار
 الكلمات تتدفق من تحت طرف القلم ، كأنها كانت
 بحبرها من زمن طويل .. تختزنها لهذه اللحظة ..

« عزيزي .. »

« مضى على أسبوع وأنا لا أخرج من غرفتي .. وأفكر .. وأفكر
 .. ولم أكن أفكر فيك ، إنما كنت أفكر في نفسي .. ربما لأنك لست
 بمشكلكي .. ولكن مشكلكي هي نفسي .. نفسي التي أحبك .. هل
 حشنة أحببتك ؟ .. كل هذه السفالة وأحبك ؟ ! كل هذا الخداع
 وأحبك ؟ ! كل هذه الأنانية والنذالة والكذب .. وأحبك ؟ ! »

« مستحيل .. مستحيل أن أحب إنسانا مثلك .. وقد أكون
 .. مدورة في حبى ، لو لم أكن أعرف أنك سافل ، كذاب ، مجرم ..
 لكني أعرف .. فما هي عذري .. كيف أبرر هذا الحب أمام

نفسى .. هل الوبك .. هل أعانتك .. لا .. انك لا تسحق لوما
ولا عتابا .. بل ليس من حقى أن الوبك .. انت حر .. حر فى
سفالئك .. انما من يستحق اللوم هو أنا .. نفسى .. نفسى التى
أحتك ..

« ولكنى لا أستطيع أن اصدق أنى أحببك .. انى دهشه ..
صدقنى .. ان كل ما أحس به هو الدهشة وقد قادنى الدهشة الى
أن أبحث فى أعماق نفسى عن سر هذا الحب .. حبنى لك ..
وأكتشفت فى نفسى اشياء زادنى دهشة ..

« لقد رايت نفسى وأنا فى الرابعة عشرة من عمرى طالبة فى
مدرسة البنسيه .. وقد بدأت فى هذا العمر أرسم أعلامى .. وكانت
أعلامى دائما تدور حول شاب طويل ، أسمر ، يركب سيارة
« ثندربيرد » بيضاء .. يقودها بسرعة مائة وعشرين كيلو فى
الساعة .. وأنا جالسة بجانبه ، وشعرى يطير فى الهواء ..
ويأخذنى الى قصر فى شارع الهم ، او فى المعادى ..

ويعرفنى بأبه .. سيدة رائعة ببضاء .. ولا أدري لماذا كنت اصر
على أن يكون انها أسمر .. وكنت أراها فى أعلامى ترتدى دائما
ثوبا أسود .. وحول عنقها عقد من اللؤلؤ خمسة أفرع ، وفى
اصبعها ثلاثة خواتم .. فى كل منها فص كبير من الماس .. وأقدم
اليها .. فتأخذنى فى أحضانها وتقبلنى ، ثم تخلع من ألبسها أحد
الخواتم الثلاثة ، وتضعه فى ألبسى .. ثم انسحب من أمامها ..
ويأخذنى الشاب الطويل فى سيارته « الثندربيرد » ، لنتناول
الشاي فى نادى الجزيرة .. وينظر بنات النادى الى الخاتم فى
أصبعى ، والى الشاب الذى يصحبنى ، ويشهقن .. لم أكن أحلم
بسلطات الرجال ، ولكنى كنت أحلم بنظرات البنسات .. وأرى
الشبهة والحسد فى عيونهن ، فأفرح بحلمى ..

« وقد عاش معى هذا الحلم حتى بلغت السادسة عشرة ،
أحبك .. أنت .. الشاب الطويل الذى يملك سيارة « ثندربيرد »
.. ! ..

« وأحببتك !!

« لم أتردد .. ولم يكلفنى حبك سوى نظرة واحدة اليك ، والى
سيارتك .. واندفعت بمك .. اندفعت لأرسم بقية حلمى ..
سيعرفنى بأبك حتى تضع فى ألبسى خاتمها الماسى .. ولكن أملك
أنت فى آخر طريق طويل .. طريق مزروع بسفالئك ، وبكذبك ،
خداعك .. طريق لا أستطيع أن أبشى فيه أكثر مما مشيت ..

« وبدأت أتعذب .. أتعذب بحبك .. ثم بدأت أسأل نفسى عن
هذا الحب .. وأبحث فى أعماقى عن جذوره ..

« وأخيرا عرفت .. عرفت أنى لا أحبك .. ولم أحبك أبدا ..

« لقد كنت أحب سيارتك .. وكنت أحب اسم عائلتك .. وكنت
أحب ثراكم .. وأحب المجتمع الذى تعيش فيه ..

« أنى لا أحبك أنت .. لو لم تكن تملك سيارة لما أحببتك ..
ولو كان اسمك أحمد محمد ، لا حسام شرف الدين ، لما أحببتك ..
لو لم تكن من أعضاء نادى الجزيرة لما أحببتك .. ولم يكن حبنى
لك إلا نفاقا ..

« لم أنافقك أنت .. ولكنى كنت أنافق نفسى .. فأنى لم أكن
سطيع أن أواجه نفسى بأنى أحب السيارات او أنى أحب الثراء ..
تعتت نفسى بأنى أحبك أنت .. أحب فيك الانسان .. لا السيارة
لا الثراء .. وصميت على هذه الكذبة الكبرى .. حتى صدقتها ..
اتمتعت بها .. وأمنت فعلا بأنى أحبك .. وتعذبت ..

« هل فهمتلى .. لقد أسميت طموحى ، حبا ..

« أسميت الجشع ، حبا .. أسميت الظاهر ، حبا ..

« وأنا الذى خدعتك .. خدعتك عندما خدعت نفسى .. أنا
السايلة ، المجرمة .. المانعة !

« أنى اعترف لك الآن بأنى لا احبك .. ولم احبك ..

« وهو اعتراف بريحتى .. اعتراف ليس لك فحسب ، ولكنه
أولا اعتراف أمام نفسى .. أنى أستطيع الآن أن أنام مطمئنة وأ
واثقة من أن نفسى لا يمكن أن تحب انسانا سافلا مثلك .. نفسى
ليست من الصف والمهانة الى هذا الحد .. كل ما هنالك أنى
ضدحت عليها .. ضدحت على نفسى ، وخدعتها ، يوم اقنعتها بأنى
أحك .. لا .. أنى أستطيع الآن أن احبك بالشلوت .. أن
أخرجك من حياتى بكل بساطة .. وإن كنت أريد سيارة ، فأصحاب
السيارات كثيرون .. على قفا من يشيل .. وإن كنت أريد اسما
كبيرا ، فأصحاب الأسماء الكبيرة أصبحوا يباعون فى سوق
الكاتبو .. وإن كنت أريد عضوا فى نادى الجزيرة ، فأعضاء
النادى متلوعون كثيرون كالأحذية فى مغرينات شارع قصر النيل .
لا يكلفنى الواحد منهم إلا أن أقدمه على قدمه ..

« وداعا .. وداعا أيها السافل .. والحمد لله ..

أنى قد أكون خسرت صفقة تجارية ولكنى لم أخسر قلبى ..
و ..

★★★

وتوقفت عن الكتابة ..

وأعادت ما قرأته ..

وتعقد حاجباها مرة ثانية ، ووزمت شفتيها ، واخذت تنثر
بالقلم والورق نقرات عصيبة ، وراحت فى تفكير عميق ..

وفجأة خرجت من تفكيرها ، ومزقت الخطاب الذى كتته ، ثم
مزت من فوق السرير ، واندفعت نحو التليفون ، وادارت رقبا .
ثم قالت فى صوت رقيق وهى ترسم ابتسامة فوق شفتيها :
— حسام موجود من فضلك !!

ص

رجل أعلن إسلامه

إن في القاهرة ثلاثة ملايين قصة .. وأكثر .. إن كل إنسان يمر بك هو قصة .. قصة تختفي خلف وجهه .. فإذا ما استطعت أن تطل خلف هذا الوجه ، رأيت حياة عجيبة .. حياة لا خطر بهاك .. حياة لم تكن تعتقد أنها تعيش في القاهرة .. وتذهل !
وأنا أذهل كلما سمعت قصة عجيبة تعيش في المدينة التي أعيش فيها .. ويبدو أني سأقضي عمري كله مذهولا .. فاني مهما عشت لن أستطيع أن استمع إلى خمسة ملايين قصة .. ستبقى دائما قصة لم اسمعها بعد ..

وهذه قصة جاعتني في خطاب من الدائمرك ..
صاحب الخطاب جندي من جنود البوليس الدولي .. والفقاة التي تشاركه قصته أعرفها .. ولكني لم أكن أعرف أبدا .. ولا أخيل .. أنها تخفي خلف وجهها هذه الحياة ..
واقراوا معي هذا الخطاب ..

أحببت القاهرة .. أنها مدينة تأخذ القلب .. وقد عشت فيها وقلبي مأخوذ ، أسير في أحيائه ، كاني أسير في مدينة مسحورة بنيت فوق المسحاب .. كل أيامي فيها كانت أشبه بالخيال .. ثم افقت من خيالي يوما لاكتشف أن قلبي سقط مني .. سقط في يد فتاة من القاهرة ..

ولم يكن حبى مجرد خيال انسقت فيه .. أحببتها .. لم أحبها

سائح .. لم أحبها كسائح .. لم اخضع للنزوة آثارها الجوى الشرقى المثير الذي احاطتنى به القاهرة .. لا لقد أحببتها بعقلنى .. كمثل وعيى .. أحببتها كائن عشت معها العمر كله ، كأنها سارة من الدائمرك ، أو كائن شاب من القاهرة ..

وتسلل الحب في بساطة .. دون أن أدري أنه الحب ..

التقينا في حفلة ، وقدمها لى زميلى في فرقتى ، كانت له سديته يعرفها .. وقصينا المساء كله نتحدث .. حديثا عاديا مبدئا .. ثم التقينا نحن الأربعة — زميلى وصديقتة ، وهى وأنا — في اليوم التالى .. وفي اليوم الذى يليه التقينا وحدنا ، ورحنا بطوف سعاليم القاهرة ، والحديث بيننا لا ينقطع .. حديث طويل يمكن أن يستمر العمر كله .. ولا أذكر عما كنا نتحدث ولكننا بنقطة .. أكثر ثقافة من أى بنت في الدائمرك .. وكان حديثا كله ثقافة ..

وقضينا بعد ذلك أسبوعا نلتقى فيه كل يوم .. وقدمتنى إلى عائلتها .. عائلة بسيطة طيبة .. كنت أشعر وأنا جالس بين مرادها كان الدنيا كلها حلوة آمنه ، لبس فيها مشاكل .. ولا حروب .. ثم ..

انتهت اجازتى وعدت إلى فرقتى المعسكرة في غزة .. وتركت حبيبتي .. تركتها دون أن نبادل كلمة حب .. بل دون أن انتبه لى انى أحبها ..

وهناك .. وسط الحنود ، ووسط الصحراء .. بدأت استعيد لىامى معها ، ثم وجدت نفسى أسير هذه الأيام .. لا أستطيع أن أحرر منها ، ولا أستطيع أن أفكر في غيرها .. لم يعد لى يوم أذكره وأعشى فيه الا يوم قضيت به معها ..

وحاولت أن أنسى .. حاولت أن أقنع نفسى انه لم يكن بينى

وبينها سوى صداقة دفعتني اليها غربتي عن بلدي وعن اهلي ...
حاولت كثيرا .. ولكني لم استطع .. وعرفت .. عرفت اني
احبها ..

وبلغت بي لهفة الحب الى حد ان مررت من فرقتي .. مررت
من واجبي كجندى .. وعدت الى القاهرة .. اليها ..

ولم احاول الاختفاء في القاهرة .. بل اني لم احس باحساس
الجندى الهارب حتى اختلف .. كل ما كنت احس به اني اريد ان
اراه ، وان ابقي معها ..

والتقينا .. وبدا حديثنا الطويل ينقطع ، وكل منا ينظر الى
الآخر ، كأنه حائر فيه .. حائر في عواطفه نحوه ..

وبدأت يدي تلبس يدها لمسات سريعة ، فتنفض يدها في
يدي ، ويكتسى وجهها بلون الورد ..

هل هي تحبني ؟

لا ادري .. لا ادري ولا استطيع ان اعيش معها العمر كله ،
وانا لا ادري .. فكان يجب ان اسألها .. ولكن أخاف ان أسألها ..
أخاف من جوابها ..

وبدأت أحدثها عن حياتي الخاصة ، التي لم اكن قد حدثتها بها
من قبل ..

قلت لها اني متزوج .. فلم يبد على وجهها الذعر ولا الهلع ،
وقلت لها اني اب لاربعة اولاد اكبرهم في العاشرة من عمره ..
فابتسمت في حنان ..

وقلت لها اني منفصل عن زوجتي رغم اننا لم نطلق ..
فدهشت .. ولكني شرحت لها حياتنا في الدانمرك .. ان كثيرين
من الأرواح منفصلون عن زوجاتهم دون طلاق .. كل منهم له حياته
الخاصة ..

وصدقني .. ثم قلت لها اني احبها ..

وترددت قليلا ، ثم ابتسمت وقالت :

— اني سعيدة بحبك لي ..

ولم انهم ما تعنيه .. ولم تحاول هي ان تعينني على المهم ..
واخيرا قلت لها :

— اني اريدك زوجة ..

وتعقد جنبها كأنها غضبت ، ثم قالت :

— انك لم تعلم مدى حاجتك الى الزواج بي ، الا بعد ان تطحن
على مصير اولادك من زوجك ..

وسكنت .. سكنت دون ان ادري اذا كانت موافقة على الزواج
ام ليست موافقة .. وكل هذا حدث خلال شهرين عشتها معها في
القاهرة ، هاربا من فرقتي .. ثم تروت ان اعود الى الفرقة لاسمي
الى العودة الى بلدي ، حتى اقرر مصير زوجتي واولادي ، ثم اعود
الى حبيبتي ..

وسافرت الى غزة ..

وهناك اكتشفت ان فرقتي قد غادرت غزة ورحلت الى
الدانمرك ..

واكتشفت اكثر من ذلك ..

اكتشفت ان القيادة العسكرية ، بعد ان عجز السويس الحرس
من العثور على ، اعتبرتني مفقودا .. كأنني قتلت .. مت ..

وعندما اكتشفت القيادة اني لا زلت على قيد الحياة قبضوا
علي .. ادخلوني السجن بامباري جنديا هاربا ، ثم ارسلوني
الى الدانمرك للاحكام هناك ..

وعندما وصلت الى بلدي ، عرفت ان زوجتي قد بدأت في اتخاذ

اجراءات الطلاق باعتبارى مفتود' ، وبدات تطالب باسم اولادى ..
بالمكافاة التى بصرفها الجيش للمفتودين من الجنود ..

وخاب امل زوجتى عندما رأتنى امامها .. لا زلت حيا ..
ولكنى طمانتها ورجوتها ان تعتبرنى ميتا وساعدتها على اجراءات
الطلاق وتعمدت لها بما يكفيها ، ويكنى اولادى المعركه ..

وقدمت الى المحاكمة .. وحكم على بالسجن سنة .. انا
الجندي الهارب ..

اتدرى ماذا قال المحامى دفاعا عنى وهو يلتمس الى البراءة
.. قال انى وقعت اسير سحر القاهرة ، الى حد انى نسيت
واجبى ..

المهم .. لقد قضيت العام فى السجن وانا احاول ان انسى
حيثى .. وانسى القاهرة .. لم ارسل لها اى خطاب خلال هذا
العام .. ولكن .. اتدرى ماذا كنت افعل ، وانا انتظر بمحاولة
النسيان ؟ كنت ادرس الدين الاسلامى !!

قرأت القرآن كله .. مترجما .. وقرأت كل ما وصل الى يدي
من شروح الاسلام .. وكنت احسن وانا ادرس الاسلام بانى اكتشف
دنيا جديدة .. احسست كئلى لم ابدأ حياتى بعد .. كئلى اولد من
حديث .. واحسست بقوة .. قوة الابتال على حياة لم اعشها بعد
.. حياة عريضة لامال كبار ..

وخرجت من السجن .. خرجت وانا اكثر لهمة على حبيبتى ..
اننى اريدها .. اريدها ليهذا تانى بعد هذا القلق الطويل الذى
عشت فيه .. اريدها لتلق بجانبى فى الدنيا الجديدة .. لتشاركنى
آمالى الكبير ..

وارسلت لها خطابا طويلا .. قلت لها انى مستعد ان اعتنق
الدين الاسلامى ، اذا وافقت على الزواج .. وقلت لها كل ما تريد
منا ان تعرفه عن الرجل الذى تتزوجه .. عائلتى .. وثروتى ..

رشهادتى .. ر .. و .. ثم قلت لها انى بعد ان اعتنق الاسلام
لن استطيع ان اعيش فى الدائمرى .. ان فى بلادى موجة من
العصب سىغلنى فى وجهى ابواب الرزق .. ولكنى مستعد ان اترك
بلدى واعيش معها مسلما فى اى مكان من الارض .. وانتظرت
ردها ..

اتدرى بماذا ردت على ؟ ..

قالت لى فى خطاب قصير : « الدين ايمان ، وليس مجرد اجراء
من اجراءات الزواج » ! هذا كل ما قلته لى ، ومسرته فى عدة
سطور ..

لم تقل انها قبلت الزواج فى .. ولم تقل انها ترفض الزواج
فى .. وجنت ..

انها دائما هكذا .. غامضة غموض البرق .. تضع رايها فى
حمل فلسفية مبتورة كانها تختبر ذكائى .. كانت تعذبى ..

وارسلت لها خطبا غاضبا ثائرا ، اطلبها فيه بان تعلن رايها
صراحة .. هل تريدنى زوجا ، ام لا تريدنى زوجا .. وجاء
ردها ..

رد نصير .. اكثر صراحة ، ولكنه لا يخلو من اسلوبها
الغامض ، وعقليتها المتفلسفة ..

قالت لى :

« ان اولادك الاربعة اولى بك منى ، واولى بك من نفسك » !!
وفهمت انها ترفض .. وتملكنى ثورة عليها .. لكن ، لماذا
تثور عليها ؟

انها لم تخدمنى .. وفى كل احاديثا الطويلة لم تقل لى مرة
انها تحبنى .. ولم تعطينى حقا تعطيه فتاة لحبيبها ..
ربما كان كل خطبها انها تركتنى احبها ..

لا .. ليس لها ذنب .. انها فتاة رائعة .. فاضلة .. انها
غير البنات ..

وكتبت ثوريس ، واغلقت قلبي على حبها ..
اتدرى ماذا فعلت بعد ذلك ؟

اعتنقت الاسلام .. اعتنقته بلا شين .. وبلا منفعة خاصة ..
اعتنقته لا كاجراء شكلي ، ولكن كايهان .. وهاجرت من بلدي ..
احبلت اسلامي واخرت في الارض .. ولكني لن اعود الى
القاهرة .

بنت تكتب الخطابات

جاءني هذا الاسبوع خطاب يحيل طوايع بريد هولنديه ..
وامسكت بالخطاب .. ونظرت الى الخط المكتوب به اسمي
وعنواني .. وابتسمت .. ثم القيته في درج مكنتي دون ان
منحه .

وفي ادراج مكنتي اكثر من مائة خطاب كلها تحمل نفس طوايع
لبريد .. وكلها تحمل نفس الخط .. كلها لم افتحها ..
اني اعلم من اين تجيء هذه الخطابات ..

انها من فتاة هولندية اسمها « مونجي » .. والاسم له نطق ..
يررب لا يحمله الحروف العربية ؛ واقرب الحروف اليه هي
« مونجي » !

وقد التقيت بها في باريس عام ١٩٤٦ ، اي منذ خمسة عشر
سما .. وكنت ازور متحف اللوفر الاول مرة ، واقف مشدوها امام
ل صورة وتمثال .. كانت المرة الاولى التي التقى فيها بهذه
الوحات والتماثيل العالمية التي عشت طويلا اسمع بها .. وكنت
بحني تهت كل لوحة احاول ان اقرا البيانات المكتوبة عنها ..
اكر لعي الفرنسية كانت تخذلني ، فلا استطع ان اقرا شيئا ..
ووقعت امام لوحة رائعة للرسم رمبراند .. ان لوحات
رمبراند تاخذني .. تاخذ كل اعصابي وتذيبها في هذه الظلال
لغامضة الداكنة التي اشتهر بها ..
وعرمت ان اللوحة للرسم رمبراند .. ولكني لم استطلع ان

اقرأ اسم اللوحة .. وفناة تقف بجانبى تتطلع الى لوحة اخرى ،
شعراء .. شعرا يبيل الى لون الفضة .. هذا اللون الذى تميز
به بذات الشمال .. وصغيرة .. لعلها فى الثامنة عشرة من
عمرها .. وليست جميلة .. وجهها اشبه بلوحة تنقصها بضعة
خطوط حتى تستكمل جمالها ..

التفت اليها وتلت بلهجة أمرة لم اتمدها ، انها دفعنى اليها
اعجابى بلوحة رمبراند :

— ما اسم هذه اللوحة يا آتسة ؟

وبسرعة اقتربت الفتاة منى ، واخذت تحدثنى عن اللوحة ومن
ومبراند ، بلهجة انجليزية سليمة ، تكلمت كثيرا كأنها تلقى محاضرة
حفظتها عن ظهر قلب .. وأسفحت من المحاضرة القى القتها ..
استعدت الى حد انى رجوتها ان تصحبنى فى الطواف ببقية
معروضات المتحف .. وتبلى ..

ثم دعوتها لتناول العشاء .. فرفضت الحقيبة التى تتناولها فى
يدها امام عينى ، وقالت :

— ان معى غدائى ..

وانتهت الى حقيبتها لأول مرة .. انها حقيبة غريبة من خيوط
الشباك ، تستطيع ان ترى ما بداخلها .. وفى داخلها اشاء غريبة
.. رفيف كبير من الخبز وحذاء اسود ، وكتاب ، ومعطف واى
للطير !

وقلت وانا اضحك واشير انى رفيف العيش :

— اذن .. ادعنى انت الى الغداء ..

ولم بضحك .. اما قالت محزم :

— آسفة .. ان ما معى يكفينى وحدى !

قلت :

— اذن دعيتى اشترى غدائى .. ثم تجلس سويا .. كل منا
بتناول ما معه ..

وقلت :

وجلسنا فى مقهى صغير ، وطلبت لنفسها فنجالا من القهوة .
خرجت رغبة العيش من حقيبتها واخذت تقصم فيه ..

ولم يكن فى باريس فى ذلك العام — بعد انتهاء الحرب مباشرة
سكر .. وكانت المقاهى تقدم مع فناجيل القهوة والشاي ، حبوب
اسكارين .. وكنت اقبل فى جيبى دائما قطعة من السكر احضرتها
من مصر .. فاخذت قطعة ، واسقطتها فى فنجالها ..
وسرحت فى دهشة :

— سكر !

ثم أسرعت والتفت باللمعة قطعة السكر التى اسقطتها فى
فنجالها ، وقالت :

— خسارة ان تذيبها مع القهوة ..

ثم رضيت قطعة السكر فى فمها ، واخذت نذيتها تحت
اذا ، وفى عينيها فرحة كفرحة الاطفال ، وعلى وجهها راحة
التقت بحبيب كانت فى شوق اليه ..

ثم قالت وهى تنظر الى مبهورة كاتى رجل عجيب :

— من اين جئت بهذا السكر ؟

قلت :

— من مصر ..

وسكنت قليلا ، ثم تعطب جبينها ، واكبرت عيناها وقالت كأنها
حدث نفسها :

— انكم لم تدخلوا الحرب !

قلت : لقد شاهدناها عن قرب ..

فالت كأنها لم تسمعنى :

— لقد كنتم تاكلون السكر كل هذه السنوات ؟ !

قلت : اننا نزرع القصب ، والسكر يصنع محليا ، ولذلك لم
تقطع عنا خلال الحرب ..

وسكنت ، وعيناهما شاردتان ، وجبينها لا يزال مقطعا ، كأنها
سرحت وراء ذكريات الية ..

وطال صمتها ، الى ان قلت لها فجأة :

— لماذا تحلين هذا الحذاء في حقيبتك ؟

وانسببت ابتسامة صغيرة ، وقالت :

— هذا حذاء للمسافرات القصيرة .. وهذا — ورنعت قدها —
للمسافرات الطويلة .

وقلت :

— فهمت .. انك غداً مديرة !

وهزت كتفيها وقالت بلا مبالاة :

— اى مضطرة ان اكون مديرة ..

وعندما هممتا بالتصريف ، أصرت على ان تدفع حسابها ..
أمن فنجال القهوة الذي شربته ..

وأصبحت أرى « مونجي » كل يوم .. نلتقى في الصباح
ودمترق قبل ان تغيب الشمس .. وكانت قليلة الكلام عن نفسها
كانت لا يحدث كثيراً الا عندما نسردها معلوماتها عن معالم باريس
ومناخها .. كأنها ترجمان يصحب سائحا .. وكانت معلوماتها
عزيزة .. كانت مثقفة فعلا .. وكانت تتحدث بخمس لغات وتجيء
لراعتها وكتابتها على الآلة الكاتبة ..

ولكنى كنت أريدها ان تتحدث عن نفسها .. كنت أريد ان
اعرفها .. وبصعوبة قالت لى انها تركت بلدها هولندا في طريقها
الى سويسرا لتلتحق هناك باحدى الجامعات المتخصصة في حرج
مربيات الأطفال ..

قلت في الحاح :

— لماذا تردين ان تكونى مربية أطفال ؟

قالت في اختصار :

— لأنى أريد ان اكون مربية أطفال .. أليس هذا كافيا ؟
وسكنت ..

وشرحت عينها ، ثم عادت تقول فجأة بعد فترة صمت طويلة :

— ان الأطفال يتعبون .. انهم يقتلونهم .. ما ذنب الأطفال .
.. نعم يا ربى .. لقد رايت طفلا فى شوارع امستردام تدوسه
دبابة .. وكان اخى الصغير .. و ..

وسكنت .. لم تتم حديثها .. وصحت فيها :

— ماذا عن أخيك الصغير .. ؟

قالت وهى سارحة :

— لا أريد ان اتحدث .. لا أريد ..

ولم الح عليها .. ولكنها عادت بعد قليل تتكلم ، كأنها تحدث
لنفسها :

— كان اخى الصغير بين دراعى ، عندما دخل الجندي النازى
والى من يمينى ما يفعله بى هذا النازى ، ولكن اخى الصغير وقع
على الارض .. وكان يصرخ .. وكنت أصرخ فى وجه الجندي :
امس .. اخى .. اخى .. ولكن الجندي لم يرحم صراخى ولا
صراخ اخى ..

والفت مونجي رأسها فوق كتفيها ، وقالت :

ربما لا يجب ان اكون مربية أطفال .. انى ساربيهم لاراهم
يعدون .. لا أدري .. لا ..

وقطعت حديثها فجأة ، والفتت الى وهى تنتفض واتفة ،
قالت :

— تعال نشاهد سجن الباستيل ..

و .. وبقيت الح على « مونجي » ان تحدثنى عن نفسها ..

من ابنيها وابنها ، عن حبيبها .. عن .. عن .. كنت أريد أن أكتب
«نفا قصة .. ولكنها كانت ترفض دائما أن تتحدث .. إلى أن
جاءت يوما والقت إلى خطاب ..

قلت :

— ما هذا ؟

قالت :

— لقد حدثت من نفسي في هذا الخطاب ..

قلت فرحا :

— هل اقراه الآن ؟

قالت في إهمال :

— إذا أردت ..

وفتحت الخطاب بأصابع ترتعش بلهنتي .. وحاولت أن
أقرأ ..

مستحيل .. أنه مكتوب باللغة الإنجليزية .. أنني أستطيع أن
أعرف ذلك من بضع كلمات .. ولكن الخط .. أنه هش شنيع لا يقرأ
.. مستحيل أن تقرأه .

وقلت لها :

— أنني لا أستطيع أن أقرأ خطك ..

قالت في إهمال :

— لا يهم ..

قلت كآتي أصرخ :

— كيف لا يهم .. أنك كتبت لي .. فعلى الأقل يجب أن تبين لي
على قرائته .

فقلت :

— لا .. لم أكتب لك .. كتبت لنفسى .. لقد كتبت متضايقة

أوله أمس ، فجمعت أكتب هذا الخطاب .. كآتي أهدت نفسي
واسرحت بعد أن كتبت .. اسرحت كثيرا ..

ملت :

— ولكني لست نفسك ! !

مالت :

— أنني أرتاح إليك كما أرتاح إلى نفسي .. أفدري لماذا ؟

لأنك قريب .. وقد اكتشفت أن الغرباء أقرب إلى من الأقرباء ..
أنك عندما تتحدث إلى غريب فكأنك تتحدث إلى نفسك ..

وعنا حاولت أن أقتنصها بأن تقرأ لي خطابها ، أو تعينني على
قراءته ..

وسافرت « مونجي » بعد ذلك إلى سويسرا .. وجاءني منها
خطاب .. نفس الخط الذي لا يقرأ .. وكانت أحيانا تكتب لي
خطابا كل أسبوع .. وأحيانا كل يوم .. وأحيانا يصلني منها
الألحاح خطابات في اليوم الواحد .. وكلها ، لا أستطيع أن أقرأها .
ولكني كتبت أحكم على حالتها النفسية والعصبية من عدد
هذه أنها ، وعدد صفحات كل خطاب إذا زاد عدد الخطابات وعدد
المدات ، فمعنى ذلك أنها في حالة نفسية سيئة ، وفي حاجة
إلى أن تكتب لي ، تكتب إلى نفسها .. لتستريح ..

وعدت إلى القاهرة ، وكتبت عن « مونجي » قصة خيالية نشرت
في مجموعة قصص « بائع الحب » .

ولم ينقطع خطاباتها عني .. وفدت بهذه الخطابات على كثير
من الأصدقاء ، لعل منهم من يستطيع قراءتها .. ولكن دون
هدوى ..

وارسلت إليها أرجوها واتوسل إليها أن تكتب بخط واضح ،

او تكتب على الآلة الكاتبة .. ولكن بلا جدوى .. خطاب واحد وصلنى منها عام ١٩٢٧ وفيه بضعة سطور مكتوبة بالآلة الكاتبة .. فقد قرأت فى الصحف أن ويدا الكوليرا منتشر فى مصر ، وتريد أن تهاجمنى الى أنى لم أصب بها ، وانى ما زلت حيا .. واجبتها .. طباعتها على نفسى ، وعدت اتوصل اليها أن تكتب لى خطابات استطيع أن اقراها .. ولكن .. لا أمل ..

وقد مرت خمسة عشر عاما ، ولا أعرف من « مونجى » شيئا ولكن خطاباتها لا تزال تصلنى .. دون أن اقراها .. دون أن افتحها .. أو أرد عليها .. ولكنى واثق انها سعيدة مرتاحة النفس ، هادئة الاعصاب ، لأن خطاباتها أصبحت قليلة .. متباعدة ...

بنت تحب أمها

عدت من الخارج لأجد فى انتظارى كومة كبيرة من الخطابات .. أحدت أقلب فيها دون أن أفتحها .. انى — من كثرة تجاربى — استطيع أن أخمن ما يحمله كل خطاب .. هذا الخطاب يضم قصيدة يطلب صاحبها نشرها .. وهذا الخطاب يحفل تطبيقا سياسيا ، وهذا يحفل مشكلة عاطفية .. وهذا يحفل شكوى مبالية .. و .. وكان بينها خطاب لونه فى لون الورد .. أحمر باهت .. وكان قد مضى على سنين طويلة لم أر خطابات بهذا اللون .. منذ كنت أتمكن فى حى العباسية ، وكانت لألوان الخطابات معان خاصة ..

واحسست أن الخطاب مرسل من العباسية فعلا .. ولكن مساحيه لا يقصد من اختيار لونه أى معنى ؛ انما يبدو انه وجد الطرف فى أحد ادراجيه صدفة .. فالطرف يبدو قديما .. الورق عليه بقع من الصدأ .. وعندما فتحته .. وجدت أن الخطاب مكتوب على ورق كراسة من كراسات الطلبة ..

وجرت عيناى الى الأمضاء قبل أن أبدأ فى قراءة الخطاب .. هدى .. « وبغية الاسم احتفظ به » ..

اننى أعرف هدى .. أعرفها منذ كنا نسير معا فى حى العباسية ..

كانت أيامها فى العاشرة من عمرها .. وكنا نسمى بيتهم :

بيت البنات .. فلم يكن في البيت كله رجل .. كان الاب قد توفي ..
وكن أربع أخوات بنات ترعاهن امهن .. وكانت هدى امغر
أخواتها وأجملهن .. ولكنها كانت منطوية .. كانت لا تشارك
الأولاد في اللعب ..

أنا دائما بجانب أمي .. ترى ماذا جرى لهدى ؟

وقرات الخطاب ..

عزيزي احسان ..

اسمح لي ان اضيع بعض وقتك في قراءة هذا الخطاب .. ناله
موجده يعلم ما كان يمكن ان يحدث لي لو لم اكتب لك .. اني احترق
.. كل يوم يمر بي ، احرق فيه .. ولعلك تشم رائحة الدخان في
مسطوري .. انه دخان روحي .. دخان اعصابي .. ولعلك تسميني
.. أنا هدى ..

هل تذكر هدى ؟ وشارع للجنزوري ..

لو تفكرت ، فلعلمك تذكر اننا كنا أربع بنات نعيش مع امنا ..
البس معنا رجل .. لا اب ، ولا أخ .. ولذلك فقد نشأت وأنا احب
كل الرجال .. الصبيان ، والشبان ، والطلبة ، والعمال ، والوزراء
.. و .. و .. كل الرجال .. اذا رايت أختي تهنئه أختي ..
وإذا رايت أبا تهنئه أبا لي .. وإذا رايت زوجا تهنئه زوجا لي
.. وإذا رايت رجلا تهنئه لنفسى حتى ولو لم يكن زوجا !

ولكن هذا الحب ظل منطويا في أعماقي ، لا افصح عنه .. ولا
أعبر عنه .. ولا يبدو في أى تصرف من تصرفاتي .. كان سر
الكمية حتى من أمي ..

هل تفكر أمي ؟ .. لقد كانت تدلني وتحبني أكثر من بقية
أخواتي .. ولكنه تدليل من نوع خاص .. تدليل يفسح بالاثنية
والقسوة .. والإرهاب .. لقد كانت تخص أخواتي الثلاث بارهابها

وتسوتها .. أما أنا فكانت تكنى مني بالخوف .. الخوف من ان
سببني منها ما يصيب أخواتي ..

وكنيت أحبها .. ما زلت أحبها .. واجتمع الحب والخوف
ملوئني تحت شخصيتها .. أصبحت أسيرة لها .. عبدة ..

وكان أخواتي يتحدثن أمي .. كانت احدهن تحب ابن الجيران
والأخت الثانية أحبت هي الأخرى ، ودام حبها ست سنوات ، ثم
أسفلت الى حب آخر .. وكنيت أعلم ان الاثنين تتحيلان للخروج
ولقاء الحب .. بل ان احدهن استغفلت مرة ثقة أمي بي ، وخرجت
معي ، وإذا بي اناجأ بها تاخذني للقاء حبيبها .. وكنيت انور ..
خمس .. كنت أحتقر هذه العلاقات لأن أمي تحتقرها .. ولأنني
لا أريد ان يفقد ثقته بي .. ولكنني كنت في قرارة نفسي أتأمل ..
كنت أتمنى أن اتحرر من هذه الثقة التي تضمها في أمي .. أريد
ان اذهب أنا الأخرى وأبحث عن حبيب .. ولكني لم أستطع ..

الحب والخوف يطوياني تحت جناح أمي .. واستغفلت أمي
هذا الانطواء .. و .. قومي يا هدى اعملي الشيء الفلاني ،
وروجي يا هدى .. تعالى يا هدى .. و .. و .. وكنيت أحيانا أهي
بالثورة وأقول لها :

— اسمعني أنا ؟ .. ما تشغف أختي شوبه .. !

وتقول أمي :

— لا .. ما حدثش لي الا انتي .. انتي الكويسه .. انتي
المالحة .. ربنا يخليكي لي ..

ويضعف قلبي أمام هذا اللثام اللثيم ، وأخضع لأمي ..
وأطلقت كبتي في استذكار دروسي .. فكانت الأولى دائما ..
وحصلت على مجانية التوقيق .. وأردت أن استمر في الدراسة حتى

التحق بالجامعة .. ولكن أمي أصرت على أن التحق بالتعليم
الفنى ..

وحاولت أن أعارض .. فلم أستطع .. ودخلت التعليم الفنى
والثورة هى تلبى تشدد .. ولا أدري كيف أطلقها ، ولا أين أطلقها ،
فأطلقتها فى رجة مدرسة الفرنساوى .. لا أدري لماذا ؟ ولكنى كنت
أرتاح عندما أثور عليها .. وعندما أمارض حتى لا أحضر دروسها
.. كانت ثورتي على مدرسة الفرنساوى ، تعبيرا عن ثورتي
على أمي ..

وكنْتُ أغنى ..

كنت أقتضى الساعات استمع الى أم كلثوم ، وأغنى أغانيها ..
ولكن ليس أمام أمي .. لا أستطيع .. أن صوتي ينجس أدا
فأجأني أغنى .. بل أنها طلبت مني مرة أن أغنى لها .. فرفضت
.. خفت أن مخرج مني « آه » أرق من اللازم ، تفصح عما في
نفسى .. فأفقد ثقة أمي ..

وتخرجت ..

وأردت أن أشتغل .. ولكن مستحيل .. أمي ترفض ..
بكيت .. وتوسلت .. وفكرت في الهرب .. ولكن أمي ترفض ..
وجلست عابا بأكله في البيت .. ثم غيرت أمي رأيها .. لا أدري
لماذا .. ربما أشفقت على .. وسبحت لي بالاستغفال ..

ولم أكن أستطيع أن أحصل إلا على وظيفة مدرسة في إحدى
مدارس الأقليم .. ولكن ، لا .. أمي ترفض أن أسافر الى الأقليم
.. فاضطرت أن أشتغل في إحدى المدارس الحرة بالقاهرة ..
و .. من البيت للمدرسة .. ومن المدرسة للبيت ..

والرجال ؟ .. الرجال الذين أحبهم ؟

لقد كان يخيل إلي أني يجب أن أختار بين الرجال ، وبين
الاحتفاظ بثقة أمي .. وأخترت .. ثقة أمي !!

وأنا الآن في الثانية والثلاثين ، من عمري ، وليس لي رجل ..
أحتوى الثلاث تزوجن ، وكل منهن لها بيت وأولاد .. لأنهن لم
يحاولن يوما الاحتفاظ بثقة أمي .. وأنا .. أنا وحدي بجانب
أمي ، محتفظة بثقتها !!

هل أحكى لك عن الرجال في حياتي ..

عندما كنت في السادسة عشرة من عمري .. كان يتردد علينا
في فترات بعيدة .. قريب لنا .. كان يكرمني بأكثر من اثني عشر
عاما .. ولم يكن جميلا .. ليس فيه ما يعجب بنتا في مثل عمري
.. ورغم ذلك أحببته .. وأقيمت له في قلبي نمائلا أعيده وأصلحه
له .. ربما لأنه كان مجرد رجل .. وربما لأنه كان ذكيا ، حلو
الحديث ، وكان يبدى اهتماما كبيرا بي ..

وأخفيت هذا الحب الكبير في قلبي .. لم يحس به أحد حتى
ولا هو .. كنت لاحظ في تودده معاني تخربش قلبي ، ولكني لم
أكن أجيب على معانيه .. كنت أخاف .. أخاف أن أفقد ثقة أمي ..
وعجأة تحطم التمثال .. تزوج الرجل ..

وبكيت وحدي .. لم ير أحد دموعي .. لا أخواني ، ولا أمي ..
ورجل آخر ..

قريب لزوج أختي .. كنت ألقاه عندما أزورها .. وكان مرهبا
مضحكا .. زكان لا يخفي إعجابه بي .. وأحببته وأخفيت حبي ..
أخيبته حتى عنه .. خوفا من أن تعلم أمي ، فتمنعه عن زيارتنا ..
وسمعتني من زيارة أختي .. وكذت أسمع كلمات إعجابه وأحفظها
في ظهر قلبي .. وللمات عينيه .. ولكني لا ألتقي معه في نظرة ..
ولا أشرکه معي في ابتسامة تخفصا وحدا ، لا .. يجب أن أحتفظ
بثقة أمي .. وعجأة أختني .. نقل الى بلد آخر ..

وبكيت .. لقد كنت أنتظره ليتقدم إلي ويخطبني .. ولكنه
ساع .. وبقيت ثقة أمي بي ..

وبعد أن اشتغلت بالتدريس .. دخل حياتى رجلان .. زميلان ..
 أحدهما ثقيل ، لحوح .. يقضى ولو مجرد ابتسامة أو حتى
 « سلام صباحى » .. ولم أحبه .. ولكنه رجل .. وكفى أنه رجل ..
 ورغم ذلك لم أرد على الحاجة .. ولم أمنحه « السلام الصباحى » ..
 أنى لا أستطيع أن أمضى بثقة أمى من أجله ..

والثانى ، رائع .. انه بسيط ، ظريف ، يضحك ويلقى بالنكات
 التى نضحك لها .. وكلها نكات مهذبة .. وأحبته .. أحبته
 مليسلى ونهارى .. ولكنه جسر .. جرى جدا .. وأخافتنى
 جراته .. لم تخفى منه .. أخافتنى من أمى .. صدقنى كنت كلما
 لمست تودده الجرى لى ، خفت من أمى ، فأصبحت أتمد اهباله
 .. وصده .. حتى ينس منى .. وأنصرف عني .. وبقيت لى ثقة
 بأمى ! ..

هؤلاء هم كل الرجال فى حياتى ..

ولم أستطع أن أتحرك من « ثقة أمى » لأذهب الى واحد منهم ..
 بل انى لم أستطع أن أتحرك من ثقة أمى لأذهب الى السينما ..
 صدقنى .. لقد طلبت منها مرة أن تسمح لى بالذهاب الى السينما
 مع زميلاتى ، مرفضت .. وشمرت يومها بالفترة على الثورة ..
 غثرت .. وخرجت من البيت رغم ارادتها .. ولكى لم اكذب أبتعد
 خطوات حتى بدا حبنى لها وخوفى منها ، يقلبانى .. ورغم ذلك
 استمررت فى طريقى الى السينما ، وخطوة تشدنى ، وخطوة
 تدفعنى .. والتفتت بزميلاتى ودهشت عندما لحت وجوههن صائفة
 ليس عليها أثر من المعركة التى تدور فى نفسى ..

ان الذهاب الى السينما ليس شيئا بالنسبة لهن .. ولكنه شيء
 كبير جدا بالنسبة لى ، ويجب أن يكون كذلك بالنسبة لهن ايضا ..
 وأحسست كائى اثمهم كل زميلاتى بالفجور لأنهن يذهبن الى السينما
 .. وفحاة وجدت نفسى أعجز لهن ثم أبتعد .. انتعد عن السينما

وأعود الى البيت .. وأدخل حجرتى ، وأغلق بابها ورائى ..
 وأكى !

والآن .. انى فى الثانية والثلاثين وليس لى رجل !
 انى كمود الحطب الجاف .. ولكن نفسى لا تزال شابة ..
 ما رلت احن الى الحب .. حب الاولاد .. وحب الأزواج .. وحب
 الآباء .. وحب كل شيء ..

لقد تزوجت .. بكل ما فى الزواج من معان كثيرة ، وأعمال
 شيرة ، ولكن فى الحلم .. لقد أحببت .. وزلت قدمى .. ولكن
 فى الحلم .. لقد ركبت سيارات الكاديلاك .. ورقصت التانجو ..
 وسرت مع حبيبى على شاطئ النيل .. فى الحلم .. انى سيدة
 فى الحلم .. وأنسة فى الحقيقة .. !

وأنا أنتعجب .. أنتعجب بحرمانى .. وثقة أمى ..

وجه امرأة تمر أمامهما صدمة ، يتنطلق الرصاصة .. ويخسر
أحد لبناء البلدة ثلاثة قروشي !

واخذنى زملائى الى الحاج خليفة البقال ، لاستأجر منه شقة
أقرب فيها ..

واحتاج خليفة رجل منتليخ .. كل شيء فيه منتليخ .. وجفناه
.. مناه .. شفتاه .. أصابع يديه .. وكرشه الذى ينسدل عليه
هناك ملوث ببقع الزيت .. وحتى عيابه التى تميزه عن أهالى
.. الدس ليسوا بقاتلين .. تبدو منمنخة .. وكان الحاج خليفة يملك
بدا فى حارة ضيقة يقيم فيه ، ويقع فيه مكانه .. ويملك فى
مواحهبه متا آخر .. من الطين البنية ، مطليا بالجير ، بيت
صغير .. حقير ، مكون من فناء صغير مرتب ، تقع فوقه غرفتان ..

واستأجرت هذا البيت الصغير ، بثلاثة جنيهات فى الشهر ..
وفرحت به لأنه « بيت من بابة » لا يشاركنى فيه أحد !

ومرت الأيام .. والوحدة تزداد ضغطا على أنفاسى ..
وتسببى المحروم يزدحم فى صحرى ، ويشغل أعصابى .. وأنا
.. م ..

أسير فى الشارع مطاطىء الرس حتى لا تلتقى عيناى —
.. وجه امرأة .. وأنفج البائدة لأتففس هواء الصعيد ..
مراء النار .. ثم لا أكاد أرى نافذة أخرى مفتوحة فى البيوت
المواجهة حتى أغلق نافذتى .. وكفى لله المؤمنين شر البهيصة !

ثم .. ذات مساء .. عند الغروب .. كنت رائدا فى فراشى
أمر أنفاسى المختنقة .. وسمعت صوت الماء ينهر من الحنيفة الى
.. مع فى الفناء الصغير ..

من يا ترى يأخذ الماء من حنيفة بينى ؟

وشردت قليلا ..

موظف فى الصعيد

٩

كنت موظبا فى طنطا ..

والحياة فى طنطا ليست عسيرة على موظف أعزب فى الثلاثين
من عمره .. الحياة هناك واسعة ليها كل ما يرضى شبابى وما
يخفف من رحتى .. وكل رجل بلا امرأة ، وحيد !!

ونجاة .. نقلت الى الصعيد .. ولئن أصرح باسم البلدة التى
نقلت اليها ، حتى أكون أكثر صراحة فى سرد قصتى .. وقد جزعت
عندما بلغنى أمر النقل ..

جزعت على شبابى ، وجزعت من وحدتى ..

هناك — فى الصعيد — كل الأبواب مغلقة فى وجه موظف أعزب
مثلى فى الثلاثين من عمره .. وخلف كل باب فوهة بندقية .. وفى
السدقية رصاصة ثمنها ثلاثة قرووش .. تنطلق دفاعا عن الشرف
الرفيع ، وتشرف بعدها بنشر اسمى على صفحات الصحف فى
أعمدة الوثفيات ..

مجرد أسماء .. بلا شباب .. بلا امرأة ..

بلا شيء من نعم الحياة الواسعة !!

وحملت حقيبى وذهبت الى الصعيد .. والدموع فى عيني ..
والخوف يقتلع قللى ..

وسرت فى شوارع البلدة وأنا مطاطىء الرأس .. مسدلا
« الجفون .. أنظر الى قدمى » .. أخاف أن أرفع عيني ، حتى لا تلتقيا

ثم سبت من الفراش ، وخرجت من الغرفة وانحنيت فوق حاجر
السلم اطل على الفناء .. وكان صوت انهيار الماء من الحنفية قد
سكت .

ولمحت ذيل ثوب نسائي يخرج من باب البيت .

هاتها امرأة .. امرأة فى بيتى ..

بعد هذا العصر الطويل .. تدخل امرأة بيتى .. ثم لا أراها !

كان كل ما أريده ان أراها ..

ارى أى امرأة !

ومصممت شفتى حسرة على شبابى المحروم .. شبابى الذى
تواضع الى حد أن أصبح كل أحلامه تنحصر فى مجرد رؤية وجه
امرأة !

وعدت الى غرفتى كسيرا وأنا أفكر : من تكون ؟

لعلها ابنة أحد الجيران جاءت تملأ زلفتها .. لعلها زوجة ..

لعلها خادمة .. لعلها عجوز .. لعلها صغيرة ..

ونمت والاهوام تلبأ رأسى ، ومئات الوجوه تقفز أمام عيني ..

وجوه نساء من مختلف الأشكال والاحجام والأعمار .. كلهن

صعديات .. ويتقزز بينهن وجه مارلين مونرو ، ووجه شيرلى

ماككلين ، ووجه شادية ..

وبعد يومين ، وفى نفس الموعد ، سمعت صوت الماء ينهمر

مرة أخرى من الحنفية .. وخفت ..

صديقى ، لقد خفت .. خفت من أوهامى ..

خيل الى أنى لو حاولت أن اطل على الفناء مرة أخرى ..

فستطلق رصاصة تغرق عيني ..

وتجمدت فى غرفتى .. وعلى أذان تلفظ صوت انهيار الماء

من الحنفية ، كأنها تلفظ همسات امرأة ..

وعندما سكنت صوت انهيار الماء ، نظرت من خلف ضلفة
مانذتى .. لعلى أراها .. ولكنى لم أرى شيئا .. سوى الحمار
المسقة الساكنة التى تتداعى بيوتها بعضها فوق بعض ، كان كلا
مها يبنى على كتف الآخر ..

وزفرت فى حدة .. وبدأت أعد لنفسى طعام العشاء .. لم أكن
حائما .. انى لم أجمع أبدا فى هذه البلدة .. معدتى منقبضة
على .. ولكنى فقط أريد أن أنمل شيئا .. وقد عملت لنفسى أربع
بيضات .. بالزبد والبسطرمة .. انى أحب البسطرمة !

وبعد أن تناولت العشاء ، وقفت أمام الصحون التى اكلت
فيها ، أتساءل : هل أغسلها ؟ لا .. سأتركها للصباح !

كنت ثقيلًا بعد أن عشوت معدتى بالبيض والبسطرمة ..
وأريد أن استلخى ! وفى الصباح عدت أتساءل : هل أغسل
الصحون ؟

لا .. دعها الى أن تعود من عمك !

ان أشد ما أكرهه ، بعد زميلى عباس أفندى ، هو غسل
الصحون ! ..

وزهدت الى على .. وعدت مطاطىء الرأس مسدل الجفون ..

ودخلت بيتى .. دخلت المطبخ .. ويحطقت فى دهشة .. ان
الصحون مفسولة .. تضوى كالمرآة .. ومرصوعة فى نظام !!
وكدت أصرخ .. من غسلها ؟ ومن دخل بيتى فى غيبتى ؟

وخرجت الى غرفة نومي .. مثنى معقول .. ان فراشى مرتب ،
منظم ، وهو لم يكن مرتبا ولا منظما أبدا .. وبدأ رأسى يدور ..
هل اكون أنا الذى غسلت الصحون ، ورتبت الفراش .. ثم
سيت ؟ ..

مستحيل .. لابد أن هذا البيت « مسكون » !

إنها « جنية » .. أو عفريتة .. ولكن .. لعلها امرأة .. بش
معتول !!

« امرأة في الصعيد » تدخل بيت موظف أعزب وغمسسل له
صحنونه ، وترتب فراشه .. هذا لا يمكن ..

ثم أتى أغلق البيت بالمفتاح قبل أن اذهب الى عملى .. فمن أين
تأتى المرأة — أى امرأة — بالمفتاح ؟

لا يمكن أن تكون امرأة .. أنها جنية .. قطعاً ..

ودرت كالجنون أبحث فى أرجاء البيت عن آثار هذه « الحنية »
تحت الفراش .. وغوى الدولاب .. وفى جيوب ثيابى ..

ولم أخرج يومها من البيت .. جهدت فيه .. وأنا أنتظر فى
كل لحظة ، أن ينشق الحائط ويبرز لى منه الجنية .. ببيضاء فى
رداء أبيض .. وشعرها أسود طويل .. يصل الى ركبتيها ..
ولكن .. لم ينشق الحائط ..

وقمت أعد عشاءى .. استعملت كل الاوانى التى املكها ..
ثم تركتها دون أن اغسلها .. وحاولت أن انام .. ولم اتم ..

فى كل دقيقة افتح عيني وأبقلب فى الحائط لمعه ينشق ..
ثم انظر الى السقف لعل الجنية تهبط منه ! ..

حاولت نفسى كثيراً حتى انام ، فقد كان يخيلى الى .. أتى لى
نبت ، فستأتى الجنية وتنام بين درامى .. وتتم جميلها ..

ولكنى لم اتم .. ولم تات الجنية .. ولم تتم جميلها ..

وذهبت الى عملى محطماً من الأرق .. والحيرة .. حيرة تكاد
تصل بى الى الجنون .. ولم استطع أن أروى لرملائى ما حدث
لى .. ماذا أقول لهم .. أتى لا استطيع أن أقول لهم أن « جنية »

أربنى .. ولا استطيع أن أقول أن امرأة زارتنى ! وانتظرت موعد
انتهاء عملى فى تلقى ..

كانى على موعد .. موعد نسائى !

وساعة الانصراف كدت أحرى الى البيت .. ودخلت ..
وسعنت ..

الاوانى كلها مفسولة .. دمع .. والبيت كله مكتوس ..
وعرائى مربب منظم !

وكدت أبكى من الغيظ .. لا يمكن أن تفعل هذا الا امرأة ..
أريد أن أراها .. حتى ولو كانت جنية .. والجبرون يضع لى

راسى ..

واستمر هذا الجنون أسبوعاً .. ربما أكثر .. وأنا لا أخرج
من البيت لأجلس مع زملائى فى مقهى المحطة .. ولا أسيير
بعادتى على شاطئ النيل .. أتى منجم فى بيتى أنتظر أن ينشق
الحائط لتخرج لى الجنية ..

ثم .. كنت قد عدت من عملى .. وبدأت أطوف بالبيت اتلمس
بأيدى الرقيقة التى تغسل الصحون وترتب البيت .. وإذا لى
أسمع طرقه خفيفة على الباب .. والتفت فى حدة .. شعرت أنها
حاءت .. الجنية جاءت .. أو المرأة ..

وقلت فى صوت مرتعش :

— مين ؟

وسمعت خلف الباب صوتاً خفيضاً يهمس كأنه يتنهد :

— أنا ..

وفتحت الباب فى لهفة كأنى سألتنى بوجه أعرفه منذ زمن
طويل .. وجه أعرفه جيداً .. وجه يغسل لى الصحون ، ويرتب
لى مرأشى ..

ورأيتها .. وقد رغمت طرف شالها وغطت به شفتيها وأنفها ،

ولم يعد يدينونها سوى عيني .. عيني كبيرتين .. سوادهما
عميق .. مثير ..

وأرخت جفنيها كأنها تحمي من سحر عينيها ، وقالت في
صوت متهدد :

— العواف يا سي كمال أفندي ..

قلت واللغة مقتل قلبى :

— اتفضلى .. اتفضلى ..

قالت ، وهى تضم شالها أكثر فوق أنفها وشفتيها :

— مش عايز حاجه يا سي كمال ؟

قلت ، وكنتى لم أعد أطيق ..

— أنت مين ؟

ونظرت الى كأنها تلومنى ، وقالت :

— أنا مرات الحاج خليفة صاحب البيت ..

وابتسمت فى راحة .. وعدت انظر اليها ..

انها صغيرة .. حلوة .. قوامها مثير .. كعينيها .. كيف

يحتل كل هذا الجمال رجلا كالحاج خليفة ..

واستطردت قائلة :

— اصلك صعبت على يا سي كمال .. هابش لوجدك لاحد

بيختمك ولا يشوفك .. كنت باخذ المفتاح اللى عندنا وأجى انصف

لك البيت : الجيران لبعضهم يا سي كمال ..

قلت :

— هو انتى ؟

قالت :

— ما انت ما تافخش بالك يا سي كمال .. عمرك ما تبص

لحد !

و .. ولم يطل حديثنا ..

تركنتى سرىعا .. تركنتى وهى تملأ كل راسى وكل اعصابى .
ونهاديت فى احلامى .. احسست كأنى لم أعد وحيدا .. ولا
محروما .. ثم نجاة شعرت بالخوف .. خوف كبير .. وموهة
البندقية تطل على .. ان الحاج خليفة لن يتردد لحظة واحدة من
اطلاق الرصاصة .. لن يبخل بثلاثة قروش ثمننا لشرفه ..

هل تستحق فكيف كل هذه المجازفة .. هل تستحق حياتى ..
ولكنى لم أكن أميش قبل أن تطرق فكيف الباب .. لم تكن لى
حياة .. انى لن أجازف بحياتى .. ولكنى سأجازف بلا شيء ..
وجاءت فكيف فى اليوم التالى ..

ووقفت عند الباب .. لم تدخل ..

ولم تدخل فى اليوم الثالث .. ولا الرابع .. ولا الخامس ..
فقط تقف على باب غرفتى .. وتحدث .. وطرف الشال ينزاح
عن انفها وشفتيها .. وينزاح أكثر حتى أرى ذننها وعنقها .. انها
بيضاء ! ..

وفى صباح يوم الجمعة .. قررت ألا أخرج من البيت ، فى
نظرات فكيف .. نتحدث .. وسمعت الباب الخارجى يفتح :

وقفرت لاستقبال فكيف ..

و .. وانطلق صوت الحاج خليفة من أسفل السلم بصيح :

— يا سي كمال أفندي ..

انها ليست فكيف .. انه زوج فكيف ..

وارتعدت .. لقد جاء ليقتلنى .. لابد ان البندقية فى يده .
ولكنه يجب أن يعلم انى لم أقعد على شرفه .. لابد ان يعلم انى
لا استحق القتل .. لابد ان اذافع عن نفسى ..

وعاد الحاج خليفة بصيح :

— يا سي كمال أفندي .. انت لسه نائم والا ايه ؟

وثقت بصوت يرتعش :

— ايوه يا حاج .. انتفضل !

وخطوت على اطراف اصابعى لاطل عليه .. كنت اريد ان اتأكد من انه جاء يحمل البنديفة .. لاهرب ..

انى استطيت ان اتقن من الشباك على الاقل ..

ولكن الحاج خليفة لم يكن يحمل البنديفة .. وهو يتنسم .. واخذ يصعد السلم في خطوات هادئة .. ثم صالحنى في حرارة .. ودخل الى الغرفة ووضع جسده المنفوخ فوق الأريكة . واخذ يتكلم .. لا يتوقف عن الكلام .. ثم قال :

— ما نقوم بينا نصلى الجمعة ..

ولم تكن من عادتى ان اضلى الجمعة ولا الاحد .. ولكنى اجبت :

— بس لما اتوضأ يا حاج !

— ودخلت الى الحمام وانا انوى الوضوء فعلا ، وانوى الصلاة . لاكسب ثقة الله .. وثقة الحاج خليفة ..

واستمر الحاج يحدثنى وانا اتوضأ :

— والله يا سى كمال انت راجل طيب وابن حلال ومي حالك .. ده حتى التسوان بتوع الحاره كلهم يقولوا عليك انك مؤدب وما بزمعش عنك لا كده ولا كده ..

وابقيت .. لو علم ماذا كنت افعل فى طنطا .. وماذا كانت تفعل عيناى .. ولكن لاند ان فكيفه هي التي اقتعته باس مؤدب ..

وانتسبت .. حتى نساء الصعيد — وليس نساء طنطا فحسب — يستلمن ان يقنصن ازواجهن ، باس مؤدب !!

وصليت مع الحاج .. وفى المساء .. ساعة الغروب جاءت فكيفه ..

وفى هذه المرة .. دخلت !!

وعشت فى الصعيد سنتين .. ولم اعد وحيدا ولم اعد محروما .. فكيفه معى ..

فبسل لى الصحون ، وتفسل ثيابى ، وترتب فراشى ، بعد ان اخرج الى على .. ثم تزورنى فى الاسبوع مرتين .. كل يوم سبت .. وكل يوم ثلاثاء .. فاذا رجل منظم ، خصوصا فى هذه المسائل !

ثم نقلت فجأة الى الاسكندرية ..

وفرحت بالنقل .. ان الحياة هناك اوسع ..

ولم بحزن فكيفه عندما سمعت خبر نقلى .. لم ذك .. ولم مسرح .. بل جاءت تساعدنى فى ترتيب حقائى دون ان يدور عليها اى تائر .. كانها ستنتقل معى .. او كانى كنت مجرد مهمة .. وانتهت ..

وتركت بعض منقولات بيتى لدى الحاج خليفة ، لاني لم استطع ان اشحنها فى القطار ، ثم سافرت ..

ونسيت فكيفه قبل ان يصل بى القطار الى الاسكندرية .. واصفرت فى الحياة الجديدة .. عام كامل وانا اعيش فى الدنيا ادواسمة ..

ثم .. اختلفت مع رئيسى ..

وتقرر نقلى مرة ثانية الى نفس البلدة التى كنت فيها .. فى الصعيد ..

وما كاد القطار يفادر محطة الاسكندرية حتى تذكرت فكيفه ..

وبمجرد وصولى الى البلدة ، جريت الى بيت الحاج خليفة ..

لم يكن فى مكانه .. وطرقت باب البيت فى لهفة .. وفتحت لى .. فكيفه ! ..

ولكن مكينة تنظر الى بعين جامدتين كأنها لا تعرفنى ..
وقلت وأنا أمد لها يدي :
— أريك يا مكينة ؟ ..

وردت فى برود وهى ترفض أن تمد لى يدها ، وتضغط بطريقة
الशल فوق أنفها وشفتيها :
— الله يسلمك ..

إنها لم تقل « الحمد لله على السلامة » ، وعدت أقول لها فى
دهشة :

— أنت مش فاكرائى .. أنا كمال ؟

قالت فى صوت جامد :

— فاكراك ..

وصحت :

— جرى أيه يا مكينة .. ده أنا رجعت مخصوص علشانك ..
فضلت أسعى لما رجعونى لك !

قالت وهى تتأخر خطوة :

— عايز أيه يا أفندى ؟

قلت :

— عايزك ..

ومسكتت قليلا ، ثم قالت :

— اسمع يا مسي كمال .. اللى مات راح لحاله .. احنا كده ..
اللى يروح ما يرجعش !

وأحسست كأنها سبكت فوق راسي زلعة ماء بارد ، وقلت :

— طيب عايز أاجر البيت !

قالت :

— لا .. ما بنأجروش ..

قلت :

— هو مش فاضى ؟

قالت :

— فاضى .. يس ما بنأجروش !!

ثم أغلقت الباب فى وجهي ..

وخرجت وأنا أتمتر فى دهشتي .. ماذا حدث .. هل ندمت
فكينة على ما كان بيننا وقررت ألا تعود الى .. هل أثرت شفتيها
فى المرة السابقة ، فقدمت لى نفسها ، لتتخذنى من وحدتى
وحرمانى ، ثم اعتبرت أنها أدت لى الكفاية ، ولم يعد من حقى
المزيد .. أم أنها جاءت الى تحت ضغط « مقدة الأفندي والجلباب »
اللى يتحدثس عنها كثيرا مجتمع موظفى الأرياف .. فنحن الموظفين
نعتمد أن « البدلة » تبهر ثساء الريف ، وتجذبهم .. تماما كما
يحذب السيارة الكاديلاك بنات القاهرة .. أنها تريد أن تجرب
« البدلة » عد أن عرفت الجلباب طويلا ..
ربما كان هذا هو السبب ! ..

وجريت مكينة البدلة .. وانتهت وحلت عقدتها !!

ولكننى لن أسكت .. اتى فى حاجة اليها ..

وذهبت فى اليوم التالى الى الحاج خليفة ، ودهشت أكثر
سبما استقبلنى ببرود ، وهو ينظر الى بعينين حادتين ينطلق منهما
النشر .. وبلغت بروده وشره وقلت له اتى أريد أن استأجر البيت
.. وصاح الحاج فى وجهي فجأة :

— وهو اللى عايز يأجر بيت يروح عند النسوان .. انفضس

يا أفندى ..

قلت :

— يا حاج ما يصحش .. و ..

وقاطعنى الحاج :

— اقصر الشر يا افندى وانتضل .. وحتتين العفش بتوعك
الى عندي حابعتهم لك على المصلحة ..
قلت :

— بس افهمنى يا حاج .. و ..

وقاطعنى صارخا وهو يرفع سكينه فى وجهى :

— يا اقول لك انجر من هنا .. ما تنكلش .. والله لو شفك
فى الحارة تانى لاجز رقبتك ..

وجريت .. وأنا ادمو على فكبة .. عيلتها فكبة .. واقنعت
زوجها انى لست مؤديا !! وظللت أجرى ..
أجرى الى وحدتى وجرماتى .. والخوف .. الخوف من
انطلاق رصاصة فى عينى !! ..

بنت تجرى وراء الشمس

قابلتها فى روما ..

فتاة من النرويج ، فى العاشرة والعشرين من عمرها ..
حبيلة .. جمالها هادى مريح .. وعيناها خضراوان تطلان على
الناس فى حنان .. وابتناسمتها متزنة ، وكأنها ام صغيرة ..
وعندما علمت انى عربى بدأت تحدثنى بلغتى .. كلمات عربية
مبسطة تتسلط من بين شفتيها كتقطع السكر ..

وقلت لها :

— كيف تعلمت لغتنا .. ؟

قالت :

— لقد عشت فى القاهرة ..

قلت فى لفظة :

— كيف .. متى ؟

قالت :

— هذه قصة طويلة ، اتبنى يوما ان اكتبها .. قصة حياتى ..

قلت ولهمنى تشدد :

— وموضوع القصة ؟ !

قالت :

— فتاة بكت الشمس ..

وسرحت عيناها فى الفضاء كأنها تشد بها خيوطا من
الذكريات .. واستطردت تروى قصتها كأنها تتحدث عن انسانة
اخرى .. انسانة بعيدة عنها :

— كنت أحب الشمس .. لا أكاد أرى شمساً منها حتى أجزى
الى صخور الشاطئ وأخلع ثيابي .. واستلقي عارية كاني استحم
في الشعاع .. ولكن الشمس في التروبيج شمس بحيلة .. صنيعة
.. لا تكاد تلمس أرضاً حتى تخفى .. وكنت أحس بالضيق كلما
اختفت .. أحس كأن الحياة تنسحب مني .. وأنطلق الى السماء
أبحث عنها بين الغيوم السوداء ، وأكاد أبكي ..

وكنت وأنا في الثامنة عشرة أرسل بنات وشباناً من بلاد بعيدة
.. كل البنات في مثل سني كن من هواة المراسلة .. واستطعت أن
أحصل على عنوان شاب من مصر .. أن مصر فيها شمس .. كلها
شمس .. وكنت اليه كاني أكتب الى الشمس .. ورد عليّ ..
وأحسست وأنا أفزع خطابه أني سألتقي بالشمس .. بل أحسست
كأن الورق الذي يكتب عليه أكثر بياضاً وسخونة من الورق الذي
أكتب أنا عليه .. لأن في بلده شمساً ..

واستمرت المراسلات بيننا أكثر من عام .. لم أعد أرسل أحداً
غيره .. وأرسلت له صورتي .. وأرسل لي صورته .. أنه أسمر
في لون السمك المقلّي !

ثم .. ثم لم أعد أطيق أن أعيش في بلدي .. لم أعد أطيق أن
أقضي يومي كله أنطلق الى السماء باحثة عن الشمس بين الغيوم ..
وقررت أن أقوم برحلة الى فرنسا .. أن شمس فرنسا أكرم من
شمس التروبيج .. ولم أكن أستطيع أن أسافر الى مصر ..

ان المسافة بعيدة والنقود معي قليلة .. ولكن صديقي بالمراسلة
عندما علم أني مسافرة الى فرنسا بدأ يلح عليّ في السفر الى
مصر .. أنه يدعوني .. سأقيم في بيته مع عائلته ..
لماذا لا أسافر الى بلاد الشمس ؟ ..

وقلت لأمي :

— اني مسافرة الى مصر ..

وقالت لي أمي :

— أنت مجنونه ..

وأفكر في تلك الأثناء ان التفتيت باثنين من المصريين كانا في
زيارة التروبيج .. وقلت لهما اني مسافرة الى مصر ، وذكرت لهما
اسم صديقي بالمراسلة وعنوانه .. وسماها الاسم والعنوان ، ثم
عمر أحدهما الى الآخر ، ثم اذا بهما يصحاني الا أعتد على هذا
الصديق ، وأعطيتني عنوانهما في مصر ، لعلني أحتاج اليهما ..

ولم أفهم ما يقصدانه .. هل يفارغان من صديقي ؟ ..
وسافرت الى مصر .. الى الشمس .. وسافرت بالبخارة ، لأنها
أرخص .. ووجدته في استقبالي ..

الشباب الأسمر .. أنه كصورته ، وكما تخيلته .. كل ما هنالك
أنه أقل أناقة مما كنت أعتقد ..

وركبنا سيارة أجرة من محطة القاهرة .. الى شارع شبرا ..
ثم الى شارع أقل اتساعاً .. ثم الى شارع ضيق .. ثم شارع أقل
مخاً .. وحارة .. وحارة أخرى .. ثم وقفت السيارة لأنها لم
بعد تستطيع أن تتقدم .. ونزلنا منها وحمل لي حقائبى ، وسرنا
الى رفاق ، ودخلنا في بيت قديم مظلم .. ثم نزلنا الى حجرتين في
المدورم .. هذا هو بيته ..

وعائلته كلها مكومة في هاتين الحجرتين ..

ولم تهمني كل مظاهر الحياة التي مررت بها .. ولم يهمني
أرسته في بزم .. بل ربما أثارت هذه المظاهر صورة أسطورة
الشرق الذي جئت اليه .. كل ما هنى أني سأنام في حجرة بها
أربعة أشخاص .. أمه وأبوه وأخته وأخوه ! ..

لا .. لا أستطيع ! ولا أستطيع أيضاً أن أخرج أحساس
صديقي ، وأهرب من فقره .. لقد تبادلنا كلمات جلوة في
مقابلتنا ، ولا يمكن أن أنسى هذه الكلمات لأنه فقير ..

ورغم ذلك مكان على فى اليوم التالى ان اهرب .. وهربت ..
ذهبت الى العنوان الذى تركه لى الصديقان اللذان التقيت بهما
فى الهروب .. ودبرا لى حياتى فى القاهرة ..

ولا تسألنى أسئلة صغيرة تافهة .. فقد نعمت بحياتى فى
القاهرة .. لقد كنت اشرب الشمس طول النهار ، حتى يكفى
ما شربته لاقضى طول الليل ..

ثم احببت .. احببت مصر ..

كان اول حب لى .. وهو الى الآن ، آخر حب .. وعاش خبي
سعة شهور .. تنطلقا مرحا ساخنا كالشمس .. وكاد ينتهى
بالزواج .. ولكنه كان ضابطا فى الجيش .. والقانون عندكم يحرم
على الضباط ان يتزوجوا من اجنبيات .. وجاء من ابلغنى انى
يجب ان اغادر القاهرة .. ومصر كلها .. اذا كنت احرص على
مصلحة حبيبى ..

واضطرت ان اترك مصر .. والدموع فى عيني !

ولم استطع ان اعود الى بلدى .. ولم استطع ان ابتعد عن
الشمس ..

ذهبت الى لبنان .. ولا تسألنى من اين جئت بالمال الذى عشت
به فى لبنان ..

دعك من هذه الاسئلة الصغيرة التافهة .. لقد عشت هناك
حياة سعيدة .. فى الشمس ، استطعت خلالها ان اعيد تلقى
الذى جرح فى القاهرة .. ثم اشتغلت مضيئة فى احدى شركات
الطيران اللبنانية .. والتقيت نساء عملى بامير عربى كبير عرض
على ان اكون مضيئة خاصة لطائرته التى يملكها .. وقلت ..
وسافرت الى بلده .. الى الصحراء .. ان الشمس هناك اكثر مما
اريد .. والحياة تسير بطيئة جدا .. وطائرة الامير لا تطير الا

بادرا .. واكتشفت ان عملى هو ان اكون مضيئة للامير لا لطائرة
الامير .. اقضى اليوم كله فى بيت يطل على الصحراء .. وفى
المساء اذهب الى مجلسه ليشاهد جمالى .. فقط ليشاهد جمالى ..
وزهقت .. زهقت من الامير .. ومن شمس الامير ..
واستقلت .. وكان كريها بى .. اعطاني مكانة سخية ..
ولكنى لم اعد الى بلدى .. انى لا أستطيع ان ابتعد كثيرا عن
الشمس .. خلاص .. لقد اصبحت الشمس فى دمي ، وعلى
جلدي .. معدت الى روما ..

انى اعمل الآن فى احد بيوت الازياء .. ولكن عملى ليس هو
كل شيء .. ان كل شيء هو شعاع من الشمس يتسلل من نافذتى
كل صباح .. انك لا تعلم ما يفعله فى هذا الشعاع .. انه يبعث
فى الحياة .. يهوك دمي .. يفرينى بان استعد لمغامرة جديدة ..
ولى فى كل ليلة مغامرة .. مغامرة مع مجهول .. رلا تسألنى ..
عن تفاصيل مغامراتى .. دعك من هذه الاسئلة التافهة ..

وسحبت عينيها من ذكرياتها ، وعادت بها الى .. وبين
شغفيها ابدساتها الممزقة كأنها انساهة ام صغيرة .. وقلت لها :
— ألا تسمعين بالحنين الى الاستقرار .. الى بيت وأولاد ..

قالت كأنها تنتهد :

— الشمس هناك أكثر دفئا .. ومن يدري .. ربما اجد هناك
زوجها .. وبقي ..
وتركتنى ..

هكذا قتلت زوجتى

لكم ستقولون انى مخطئ .. واغلكم سيقول انى مجرم ..
سائل .. انانى .. منقط .. الى آخر هذه النعوت التى تعود كل
وأجد أن يلصقها بغيره ، رغم أنه لو تمن قليلا لاكتشف أنه يستطيع
ايضا أن ينعته بها نفسه ..

وكل ما أرجوه أن تسمعوا قصتى قبل أن تحكموا على ..
لا لآنى اطمع فى اتصافكم ، فليس لى ثقة فى عدالتكم .. ولكن فقط
لنتشعروا انتم بانكم أصدرتم حكمكم الظالم بعد أن استمعتم الى
أقوال المتهمين ، استكمالا للشكليات ، وللإجراءات وللإظهار ..
لا تحريا للمدالة ..

اسمعوا ايها الظالمون ..

لقد حدث كل شيء فجأة .. وبسرعة عجيبة .. وبدأت الجريمة
وانتهت فى يوم واحد .. وفى أقل من يوم .. ودافعها الحقيقى ،
هو كلية واحدة قتلت فى التليفون .. كلية واحدة .. ربما قتلت
علوا .. ولكنها كانت السبب .. سبب الجريمة .. كنت أيامها
قد سافرت الى الفيوم للتفتيش ، وأنا كما تعلمون مفتش فى وزارة
التربية والتعليم .. وقصيت هناك يومين .. والجو حار ، يزهق
انفاسى .. والهواء رطب ثقيل ، يجثم على صدرى .. ووجوه
الطلبة والمدرسين الذين أمر عليهم تترأى لى كقطع من الحجر
تنفت النار فى وجهى وأعصابى .. كانت أعصابى تالفة ..
لا أنكر أن أعصابى كانت تالفة .. وزادها الحر والهواء الراكد

الثقل تلقا .. ولكن ، كل موظفى وزارة التربية والتعليم مصابون
بتلف الأعصاب .. اكتشفوا على أعصابهم جميعا ، وستجدوننى
رغم كل ما حدث ، أقواهم أعصابا ..

وفى اليوم الثالث من سفرى الى الفيوم ، اتصلت بزواجتى
بالقاهرة بالتليفون .. كنت أريد أن أجد فى حديثها ما يخفف
وحديثى ، وما يرطب النار المشتعلة فى أعصابى .. ولكن وجدت
حديثها راكدا كالهواء الذى يحيط بى .. وقلت لها :

— مالك ؟ ..

قالت وهى تزفر :

— ما ليش ! ..

قلت :

— مالك يا سعاد .. قولى يا حبيبتى !

قالت :

— زهقانه .. زهقانه موت ! ..

قلت :

— زهقانه من ايه ؟ ..

ومجأة صرخت فى وجهى :

— زهقانه من عيشتى .. من دنيتى .. خلاص مش طايقة

نفسى ..

وسيطرت على أعصابى .. انها تشكو « الزهق » وهى لى
القاهرة ، وحزلها أقاربها وصديقاتها .. وفى البيت فريجدير ،
وبطبخ منلج .. وأنا .. أنا المبعد وسط العرق والذباب والناموس
.. لا أشكو .. وليس من حتى أن أشكو .. بل على أن أخلف من
شعورها بالزهق ..

وقلت فى نهجة مسكينة :

— ما تروحي تعمدي عند مامتك شويه ..

وصرخت :

— ما ما .. ما ما .. أيه الذى كل شويته تقول لى روحى عدد
مايتك ؟ أمال أنا كنت أتجوزت ليه ؟

وقلت فى نوحى :

— طيب روحى زورى حد من صاحبك ..

قالت وهى تصرخ :

— وهم صاحباتى حايستوى لغاية ما ازورهم .. زمان كل
واحدة خدت جوزها ، وخرجوا يتفلسحوا ..

قلت :

— أمال حاتملى أيه ؟ ..

قالت :

— حا اعمل اللى حا اعمله .. خلاص ما لكش دعوه بى ..

وألت سماعة الطينون فى وجهى ..

وحاولت أن أنسى .. حاولت أن أشغل نفسى بأى شىء ..

ولكنى لم أسطع وكلمة « زهقانة » نطن فى أذنى .. زهقانة ..

زهقانة .. زهقانة .. ماذا تعمل المرأة عندما تكون زهقانة ..

لأبد أنها الآن تطوف بحجرات البيت وهى مرتدية قميص النوم ..

القميص الوردى الشفاف .. وذراعاها البضتان مكشوفتان ..

ونهداها بظلال من فوق فتحة الثوب .. وعنقها الطويل منتصب

كشماع النور يشقه خط رفيع من العرق .. وشعرها الحريري

مهمل فوق جـمـئـها ووجنيها .. وعيناها مسترخيتان ملولتان ..

وشفتاها المكتنرتان مكسورتان كوردة تهم بالفتح .. أنها مثيرة

مغرية عندما تكون فى قميص النوم فى يوم من أيام الصيف .. أتر

أعرف كم هى مثيرة وسغرية ..

ثم لأبد أنها تعبت من الطواف بحجرات البيت .. وتعبت من

.. أيتها ابنتا الوحيد الصغير .. أنها تريد شيئا آخر .. شيئا

أخر .. شيئا يبدد من حولها الملل والزهق .. شيئا يملأ هذا

الكبير .. ولأبد أنها خرجت الى الشرفة ، وهى بقميص

واطلت على ابن الجيران .. أتر أعرفه .. هذا الشاب

الذي واقفا فى نافذته .. ومنعتها ، وعلى الأخص ، من الخروج

منعت زوجتى مرارا من الوقوف فى الشرفة كلما كان هذا

الرتبع واقفا فى نافذته .. ومنعتها ، على الأخص ، من الخروج

الى الشرفة وهى بقميص النوم ..

وليس معنى ذلك أنى لا أثق فى شرف زوجتى .. ولكنى أعلم

بها مدالة ، خفيفة العقل أن ترى جمالها المثير فى أعين الرجال ..

وأخذت فى وحدى وأنا فى اليوم أتصورها واقفة فى الشرفة

محصى النوم ، وهذا الشاب الرقيق أمامها ..

لأبد أنها ابتسبت له لتسلى نفسها .. واتسعت ابتسامتها ..

سعت أكثر .. وذراعاها البضتان المكشوفتان .. ونهداها ..

رعقتا .. كلها أصبحت بهيا للعينين الجاحظتين .. !

وتبادلت فى خيالى ..

★★★

لنهما يتبادلان التحية .. ثم هو يلح عليها أن تخرج من البيت

لتلقاه .. وهى تتبجح كعادتها .. ولكنها تقبل أخيرا تحت ضغط

وحدنها والملل الذى تعانيه .. ثم أنها تعلم أن أمها ليللا طويلا

ستفضيه وحيدة بلا زوج .. لهذا لا تلهو فى جزء من هذا الليل ..

وحاولت أن أنزع من رأسى هذا الحيال الشرير .. فأتى أثق فى

ن روحى امرأة شريفة .. ولكنها قالت لى أنها زهقانة .. والمرأة

الزهقانة تستطيع أن تفعل أى شىء ..

ووجدت نفسى أنساق فى خيالى .. تصورتها وقد قلت

ووصلت الى بيتي ، وصعدت الدرجات تفرأ .. وفتح الباب
غناحي الخاص .. وبحث عنها بعينين مجنونتين ..
انها ليست في البيت .. والساعة التاسعة مساء ..
لا بد انها معه .. في بيته .. في حجرة نومه ..

وخرجت الى الشرفة ، وسلطت عيني على بيت الشاب الرقيق
.. ان النوافذ مغلقة .. والنور مطفا .. طبعاً .. لا بد ان تكون
النوافذ مغلقة ، والنور مطفاً .. وعدت من الشرفة وأنا اتخبط في
ملح الاثاث .. وما كنت أخرج الى الصالة حتى رأيتها داخلية من
الباب .. وصرخت فيها :

— كنتي فين ؟

— تالت في هدوء :

— كنت عند ماها !!

وصرخت :

— عند ماها ، يا مجرمة ؟

ورفعت يدي وهويت على صدغها بكل قواي .. وصرخت
مسخة حادة .. ووقعت حقيبة يدها .. ورفعت يدي مرة ثانية ،
وكشمت صرختها بصفعة أخرى أقوى من الأولى .. وعادت
سرخ :

— يادهورتي .. الحقوني .. حابوت .. حابوت ..

ثم استدارت وجرت من أمامي .. وخرجت من باب الشقة ..
وأنا أجري خلفها .. ونزلت السلالم تفرأ .. وأنا أقفز خلفها ..
.. وقعت فوق السلم ..

وارتطم رأسها بحافة السلم .. فشبكت .. وسال دمها ..
وماتت ..

وهكذا تثلثها .. وبرائتي المحكة .. ولكن الناس لم يترننى ..

★★★

مقابلته .. ودخلت من الشرفة لترتدى ثوب الخروج .. والتاير
الاصفر الذي يضيق حول جسدها ويبرز كل قطعة منه ..
ونصورتها وقد التقيا في مكان ما .. في الجزيرة .. على باب
السينما .. في أي مكان ..

ثم .. لقد أمسك يدها .. انه يقول كلاماً جميلاً يشبع
غرورها .. والليل يزحف عليها .. وهو يقبل يدها .. ثم خراها
.. ثم يقبل عنقها ..

ان زوجتي زهقانة .. والمراه الزهقانة نستطيع ان تفعل أي
شيء ..

و .. قاما من مجلسهما .. وصعدا الى البيت .. والدنيا
ظلام .. صاحبها الى بيقه وهي تقف عند الباب مخردة .. هل
تدخل .. ان أمامها ليلاً طويلاً مستقصيه وحيدة في ملل وسأم ..
فلماذا لا تدخل لتستزيد من الكلمات الحلوة ، والقبلات التي تتدد
وحذتها وسابها ..

انها شريفة .. ولكنها زهقانة ..

وحطت داخل بيته ..

وانتفضت أنا من خيالي كالمجنون .. ولم ادر بنمسي الا وأنا
أجري في الشارع نحو موقف سيارات الأجرة ، ووضعت نفسي في
أحداها وأنا أصرخ في السائق :

— اطلع على مصر .. بسرعه ..

★★★

وطارت السيارة في الطريق الصحراوي .. وأنا مجنون ..
انصور زوجتي بين ذراعي هذا الشاب الرقيق .. في بيته .. في
حجرة نومه .. والصحراء من حولي لونها اسود .. والليل اسود
.. وبسغلت الطريق اسود ..

أيها الناس الظلمة .. قبل أن تحكموا على .. عليحاول كل منكم
 أن يجرب ما حدث لي .. ليجرب أن يغيب عن بيته أياما ، ثم يسمع
 روجته أن تقول له بالتليفون « أنا زهقته » .. بقولها في ليلة من
 ليالي الصيف .. وليرى بعد ذلك ما يمكن أن يحدثه هذه الكلمة
 الصغوية في حياته .. إنها تتودع إلى الجنون .. إلى الجريمة .
 ولعلكم بعد ذلك تعذروني .. وبرونوني .. لكن لا أمل فأنتم
 ظالمون .

فينى

كنت لا أزال في التاسعة عشرة من عمري .. وكنت مندمعا ..
 حريدا .. طالبا في كلية البوليس .. والحياة ضحكة كبيرة ..
 يشد شيء أريده أصل إليه .. بالنوق .. بالعافية .. لأبد أن أصل
 إليه ..

وفي إحدى أمسيات الصيف .. كنت أسير مع شلة من
 أصدقائي نجرب شوارع هينا .. الدقى .. نضحك .. ونعكس
 السات ، وندخض السجائر .. كل اثنين منا سبجارة .. ثم وقفنا
 تحت مائوس النور .. وضحكائنا لا تنتهر .. ورفعت عيني
 بالصدفة إلى إحدى النوافذ ، فلمحت فتاة عيناها مسطرتان على .
 وتبتسم .. وما كادت تلحظ أنى لمحتها حتى أختلت بعد أن قذفت
 لي بأكبر ابتساماتها .. وكذبت عيني ، وعدت إلى ضحكات
 الشلة .. وبعد قليل رفعت عيني مرة ثانية إلى النافذة .. ورايتها
 واقفة فيها .. عيناها مسطرتان على .. وتبتسم .. وما كادت
 يلتقى بعيني حتى اختفت ..

وفي هذه المرة لم أكذب نفسي .. وبكل بساطة ، تركت الشلة
 دون أن أقول لهم شيئا . ودخلت العبارة التي تطل منها الفتاة
 وصعدت إلى الدور الذى أطلت منه .. ووقفت أمام باب الشقة التي
 تدرت أنها تسكنها ، ورايت بجانب الباب لوحة مكتوب عليها
 « الدكتور » راهية المرجوشى » .. ولم أتردد .. ضغطت جرس

الباب ، وقررت اذا فتح لى رجل أو سيده كبيرة أن أسأل عن محمد
أفندى .. ثم اعتذر بأنى أخطأت فى الشقة ..

وفتح الباب .. ففتحته هى ..

أنها أجهل مما تصورتها ، وأصغر .. سمراء لا يزيد عمرها
عن الخامسة عشرة .. فوق وجهها ابتسامة كبيرة ، وعلى خديها
غمازتان ترتعشان ، وفى عينيها لمحة جريئة .. ترتدى ثوبا أزرق
منقطا بنقط كبيرة ببضء .. وفى قدميها شبشب بلا كعب ..
ووقفت برهة أنظر الى ثوبها .. أنه ثوب لا يبدو أنيقا ، ولا يبدو
مهلهلا .. ولكن خيل الى أنه ليس ثوبها ..

وظلت تنظر الى صامته ، والغمازتان فوق خديها ترتعشان ..
ونلت فى لهجة جادة دون أن أضحك لها :

— عندكم تلفون ؟

قالت واللحة الجريئة فى عينيها :

— إيوه ..

وأخرجت من جيبى البطاقة التى تحمل اسمى ورقم تلفون
بىتى ، وثاولتها لها ، قائلا بنفس اللهجة الجادة :

— ابقى اضربى لى تلفون فى الممره دى ..

ثم نزلت السلم قبل أن أسمع ردها .. وقضيت ليلتى أحلم
بها .. نكد خلعت قلبي ..

وفى اليوم التالى اتصلت بى بالتليفون .. وانقضت أيام كثيرة
وهى تتصل بى كل يوم .. أحيانا ثلاث مرات فى اليوم .. وفى كل
مرة أحاول أن أقنعها بأن تتحدد .. وعدا للقائنا .. ولكنها ترفض ..
ما أقدرش .. أختى الدكتوراه نموتى .. و .. وبدأت أجن ..
لأنه أن أصل إليها .. وأصبحت أصرخ فى وجهها .. وصعدت
الى شقتها أكثر من مرة .. ولكنها لم تكن تفتح لى الباب أبدا ..
كانت تفتح لى الدكتوراه .. أو رجل لا أعرفه .. واضطر أن أسأل
عن محمد أفندى !

ويعود تحدثنى فى التليفون .. ونصارحنى بحبيب ..
يسطيع دائما أن تجد حجة حتى لا نقابلنى .. وكانت بينى
حائلا ..

ومرة واحدة كنت عن حديث التليفون .. لم بعد تحدثنى ..
ومررت أمام سبعا عشرات المرات .. مئات المرات .. فلم أرها
لأنافذة .. وصعدت الى شقتها فلم تفتح لى الباب ..

فانصلت بيتها بالتليفون ، برد على صوت أجش ، سألته :

— معنى موجوده ؟

ورد على الصوت الأجش :

— يا عندناش حد اسمه ميفى ..

ثم القى سماعة التليفون فى وجهى ..

سحرت ثلاثة شهور وأنا حائر .. وبدأت حيرتى تنقلب الى يأس
.. ثم ذهبت مرة لزيارة صديقتى عصام بمناسبة مرضه بالأنفلوانزا
.. وقضيت على جرسى الباب ..

مضحت لى .. هى ..

فمففى .. وكانت ترتدى ثوبا أقل أناقة من الثوب الذى رأيته
به أول مرة ..

ووقفت أنظر إليها ولمى مفتوح كنى عيبل .. والغمازتان فوق
وحنيني ترتعشان أمامى ..

وقالت فى لهجة بريئة :

— اتفضل ..

وفرت من أمامى قبل أن تتقدمنى داخل الشقة ..

وجلست مع صديقتى نتحدث .. ثم سألتها بصراحة :

— من اللى فتحت لى الباب ؟

وقال صديقتى محدث :

— عايجاك ..

قلت :

— أبدا .. أصلى ما شئت بهنى عندكم قبل كده ..

قال :

— دى بنت خداه ، جات لنا من يومين ..

وذملت .. أحسست أنى طاعت فى كرامتى .. لقد خدعتنى .. أحببت خادمة ..

وبعد يومين من الزيارة ، حادثتنى فىفى فى التلفون ، وصرخت فيها :

— عايزة ايه يا بت يا خداه ..

وصرخت فى وجهى بكل وقاحة :

— أنا مش خداه ..

واشدت النقاش بيننا . وعادت تحادثنى فى التلفون فى اليوم التالى .. والذى يليه .. وأصبحت أنسى كثيرا أنها خادمة .. ولكنى كنت أجد من الصعب على أن اطلب لقاءها .. وهى لم تطلب أبدا لئالى ..

ونجاة انقطعت عن الحديث للتليفونى ..

وسألت عنها صديقتى عصام ، فقال ببساطة :

— سرقت مستأين من مستأين أختى .. وهربت !

قلت مذعورا :

— ولغتم عنها البوليس ..

قال :

— أبدا .. الحكايه ما تستاهلش .. وأهى زى ما انت

عارف مست طيبه !

وانقضى عامان .. نسيت فيها فىفى ، أو كنت .. ثم عدت مرة من الكلية ، فقلت لى أختى إن فتاة اسمها فىفى سألت عنى

.. سمون .. وتذكرتها .. الفمازتان اللتان ترتعشان فوق وجنتيهما .. وثوبها الذى لا يبدو أنه ثوبها ..

وفى نفس اليوم دق جرس التلفون .. وكانت فىفى .. وقلت لها ساخرا :

— ازيك يا بت .. انت لسه بتشتغلى خداه ؟

ورمت السماعة فى وجهى دون أن ترد على .. ثم عادت بعد سمعة واحدة ، وحادثتنى مرة ثانية ، وقالت ساخرا بمجرد أن سمعت صوتى :

— اسمع يا مددوح .. أنا مش خداه .. وعبرى ما كنت رايه .. مش عايزك تجيب السيره دى تانى ..

قلت وأنا لا أزال اتهكم :

— اميل كتنى بتعملى ايه فى بيت عصام ..

قالت محتدة :

— أنا أيامها هربت من بيت أختى الدكتور .. واضطربت أن أسفل .. كنت عايزنى أعمل ايه يعنى .. أروح أبيع نفسى فى سلك ..

وأحسست أنى اميل الى تصديقها .. وارفع أمام خيالى وجهها للأسمر المبتسم .. والفمازتان .. والعينان .. أحسست لى لا أزال أحبها ..

قلت :

— يمكن ..

قالت :

— إذا ما كنتش مصدقنى ، أنا مستعده أشوفك ..

وانفقنا على أن نلتقى مساء يوم الجمعة ، قبل موعد عودتى الى كلية البوليس ، أمام سينما ريفولى .. وقلت لها فى لهجة السيد :

— الساعة ستة .. ستة وقيقه حامشي ..

وفى الساعة السادسة الا خمسة وقفت امام سينما ويقولى :
وانا مرتدى مذلتى العسكرية وجاء بعض زملائى ووقفوا معى ..
محاولت ان اتخلص منهم .. حتى لا يروا فيفى عندما نأتى للقائى
.. كنت اخاف أن يروها وهى فى ثوبها الذى لا يبدو انه ثوبها ،
فيعابرونى بها . ولكنهم ظلوا واقفين حولى ، وقد عرفوا بحاستهم
السادسة اتى على موعد مع فتاة ..

وفى الساعة السادسة بالضبط ، وقفت سيارة اجرة امام دار
السينما وفى داخلها فتاة انيقة .. اثيقة جدا .. شعرها ..
والروج فوق شففتها .. وثوبها كانه مصنوع فى باريس .. و ..
و .. فتاة من الطبقة الراقية .. تشير لى .. وارتبكت .. من
هذه التى تشير لى .. واذا بها تنادىنى بصوت خافت .. ممدوح
.. تعال يا ممدوح .. واقتربت منها .. انها فيفى ، فيفى بعينها
.. وقد كبرت .. ونضجت .. وكتبت .. كل ما فيها شهى ..
لذيذ .. لذيذ جدا ..

لقد كتبت واحبا .. انها لم تكن خادمة ابدا ..

والثقت الى زملائى الطلبة ، وانا مرفوع الراس . وحينهم
بطرف اصبعى ، ثم ركبت السيارة بجانب فيفى .. وتركتم اثبه
المصعوتين ..

وتحادثنا طويلا .. حديثا حلوا .. رقيقا .. وطاقت نيت
السيارة الاجرة طويلا .. ونزلنا معها عند كورنيش النيل . وحاولت
ان ادفع الحساب .. ثمانية وخمسين قرشا .. فأسرعت وفتحت
حقيبتها وأخرجت ورقة من ذات الخمسة الجنيهات .. معها خمسة
جنيهات ، وكل ما معى لا يكمل جنيهم ..

وقالت لى فيفى انها تقيم مع امها واختها نادية فى مصر

الحديدة .. وقالت لى انى حبها الاول والاخير .. وانها اخلصت
.. طول عمرها .. و .. و .. واعطتنى رقم تليفونها وطلدت منى
ان احادثها فى التليفون .. كل يوم .. وفى اى ساعة .. الاؤكد
انها دائما فى البيت .. ودائما فى انتظارى .. الى ان نقابل يوم
الخميس عندما اخرج من الكلية ..

وكانت لى طرقتى الخاصة فى استعمال تليفون كلية البوليس
.. تكنت احادثها فى التليفون كل يوم .. ودائما اجدتها فى انتظار
حديثى .. الى ان كان يوم الاربعاء .. قبل يوم الخميس الذى
سالتها فيه ، واتصلت بها بالتليفون .. نفس الرقم الذى استعمله
كل يوم .. وردت على امرأة يبدو انها عجوز : وسالناها :

— فيفى موجوده ؟

وقالت :

— ما عندناش حد اسمه فيفى ..

وذهلت .. وعدت اتصل بها مرة ثانية .. وثالثة .. ورابعة
.. ودائما .. ب عندناش حد اسمه فيفى .. وفى مرة سالت من
حبها نادية .. فرد الصوت العجوز :

— ست نادمه خرجت ..

واذن فان لها اختا اسمها نادية وهى تقيم معها .. انها تكذب
لى .. ولكن أين ذهبت .. فيفى ..

وكنت أجن .. وانقضى اسبوعان وانا مجنون .. ثم فجأة ..
فى يوم خميس .. اتصلت لى بالتليفون فى بيتى .. وقالت لى ان
لها قد غيرت نمرة التليفون تخلصا من المعاكسات .. فسالناها عن
النمرة الجديدة .. فقالت ان امها تخفيها عنها وعن اختها لانها
بهنمهما ياتهما يشجعان الشبان على معاكساتهما .. وقالت انها
ستتصل بى دائما ..

وتركتنى وأنا لا أستطيع تصديقها .. كيف تقول ان لها قد
غيرت الرقم ، نى حين اتى لما سألت عن اختها ، فى هذا الرقم ،
قالوا لى انها خرجت ..

وعشت حائرا .. من هى فبنى .. هل هى خادمة .. هل هى
من بنات العائلات .. هل هى مساطلة .. ومن أين تأتى بهذه
الثياب اللغالية التى ترتديها ، بعد ان كانت ترتدى ثوبا لا يبدو انه
ثوبها .. ثم هذه النقود التى تملأ حقبتها ؟ ..

وكانت تتصل بى دائما .. وتتقابل كل خميس وجمعة ..
وعرضت عليها يوما ان نتقابل فى شقة أحد أصدقائى .. نعتصبت ..
واحتدت .. انها فتاة .. فتاة شريفة .. واعتذرت لها .. وبعد
بضعة اسابيع قبلت ان تأتى معى الى شقة صديقى ، فقط حتى
لا يراها الناس وأنا اسير بجانبها ببدلى العسكرية .. وهناك
عاملتها على أنها فتاة .. فتاة شريفة !

واصبحت احبها .. احبها فعلا .. ولكنى لا زلت حائرا فيها
.. من هى .. ما هى .. حتى اسمها لا تريد ان تقوله لى ، وكلما
سألتها اجابت ضاحكة :

— كفايه عليك دلوقت .. فبنى .. وبمدين حاتمرف كل حاجة .
وهرمت الى صديقى عصام ، فقال لى ان اسمها عنديا كانت
تشتغل عندهم .. كان « نعتبت » .. لا بد انه اسم مستعار ..
وفى يوم كنت اسير معها فى الجزيرة ، ومررنا بنادى الجزيرة
فقالته :

— تيجى نقعد فى النادى ..

قلت :

— انا مش عضو ..

قالت :

— انا عضو ..

قلت :

— مش معقول ..

وابتسمت .. واخرجت من حقبتها بطاقة مضموية النادى ،
بليها صورتها ، وختم النادى .. وقبل ان انقطع منها البطاقة
نرا اسمها ، اخفتها داخل حقبتها ، وهى تقول : ضاحكة :

— ممنوع ..

لا يمكن ان تكون خادمة .. ولكن لماذا لا تكون خادمة .. ربما
سطة .. ان الساقطات اللانى يبعن اجسادهن هذه الايام ..
يدو عليهن المسقوط .. و .. انا احبها .. احبها .. احبها بعدد
عاسى ..

ثم .. ثم اخفقت .. وعدت مجنوننا .. ابحث عنها .. ولا
انام ..

ثم .. ثم بعد شهرين ، ظهرت من جديد ، وعليها بقايا هزال
.. وثوبها .. ليس انيقا كما تعودت ان ارى ثيابها .. وتصرفاتها
ست مرحلة ولا مبلية .. كأنها فقدت شيئا ..
والت لها وأنا اكاد اصغفها من غيظى :

— كنت فين ؟

تالت فى ضعف :

— كنت عيانة ..

وهذات من غضبى ، وقلت :

— اسمعى يا غيى .. انا باحبك ..

وقاطعتنى وعلى شففتها ابتسامة خيل الى انها ابتسامة
ساخرة :

— عارفه ..

— انا عايز اتجوزك .. ولازم اعرف منك كل حاجة قبل

ان تجوزك .. انت مين .. وابوكى مين .. وعلايشه ازى .. و ..

وقالت وقد اتسمت ابتسامتها الساخرة :

— صحيح عايز تتجوزنى يا مدحوح ؟

قلت :

— أنا بانكلم جد ..

قالت :

— أبنى .. امتى تتجوزنى ؟

قلت :

— بكره .. النهارده .. دلوقت .. زى ما انتى عايزه !

قالت لى تهكم :

— تتجوز خدله يا ممدوح ؟

قلت كاتنى ادافع عنها :

— انتى مش خدابه .. عمبرك ما كنت خدابه .. ازاي خدابه

وانت مضوه لى نادى الجزيرة ! ..

وسكنت قليلا ، ثم قالت :

— سيبنى أفكر .. بكره حاقولك رايبى ..

ولم ارها فى الغد ..

اختفت ..

لم تعد ابدا الى حياتى ..

ولا زلت احبها ..

لا زلت حائرا .. من هى ؟ !

لم اعد طفلا

شاهدت فانت حامية لأول مرة ، عندما مثلت اول دور لها فى فيلم « يوم سعيد » .. كانت فانت حامية أيامها فى السابعة من عمرها ، وكنت أنا فى العاشرة من عمرى ..

واحبيبها .. صدق او لا تصدق .. لقد احببتها .. احببتها بكل ما يستطيع الحب ان يحمل الى طفل فى العاشرة من نقاء واوهام .. أصبحت اذهب الى المدرسة وأجلس فى الفصل مسارحا وراء صورتيها .. وقد ضربنى المدرسون أكثر من مرة لعدم انتباهى الى الحرس .. ولكنى كنت ألقى العلقة ، وأعود واسرح وراء صورة فانت .. وفى الطريق الى البيت .. وفى البيت .. والى ان نام .. دائما فانت معى ..

وأصبحت احرص على ان أشاهد كل فيلم تظهر فيه فانت .. وأصبحت احفظ بكل صورة لها تنشرها الصحف والمجلات .. وكل هلى يضحكون على ويسموننى « مجنون فانت » ، ولكنهم لم يحاولوا ان يشوموا هذا الحب .. بل كانوا يأخذوننى الى الأفلام التى تظهر فيها فانت .. ويهددوننى اذا أخطأت بحرماتى من مشاهدة أفلام فانت ..

وكبرت .. ولم افق من حب فانت .. كبر حبنى معى ..

وأصبحت أشاهد أفلام فانت أكثر من مرة .. بعضها شاهدته عشر مرات .. وأصبحت صورته فانت تملأ جدران حجرتى فى البيت .. واضعها بين صفحات كتبى ، والصقها فى داخل الدرج الخاص

بى فى المدرسة .. وصورة كبيرة لها فى اطار جميل بجانب فرلثى .. وزدت على ذلك ، فاصبحت احتفظ بكل قصاصات الورق التى تكتب من فائن .. وخصصت لهذه القصاصات البوبا خلاصا ، الصتها فيه بعناية .. واصبح عندي بدل الالبوم ، اثنان .. ثم ثلاثة .. ثم خمسة ..

وكبرت اكثر .. وتبينت حذقة هذا الحب ..

انى لست مجنوننا .. انى اعرف بالضبط حقيقة هواطلى .. انى احب فائى التى اراها فى الافلام .. احب فائى الفتاة .. ولكنه حب .. حب بكل ما فى الحب من معنى .. ولم احاول أن اقاوم هذا الحب .. بالعكس .. ازددت استسلاما له .. اصبحت وانا فى العشرين من عمري لا ازال اجمع صور فائن ، والصقها فوق جدران غرفتى .. ثم اجلس كل مساء الى الصورة التى بجانب فراشى ، واحذنها .. احذنها عن كل ما يجرى لى فى يومى .. وعن كل مشاكلى ثم استمع الى رايتها .. واحس بها تنبسم لى او تغضب منى .. ولم يكن هذا ايضا جنونا .. فكل انسان محتاج الى مناقشة نفسه .. وفائن هى نفسى .. هى للشخص الآخر الذى يعيش فى صدر كل انسان .. وابتناسمة فائن لى هى ابتناسمتى لنفسى عندما اكون راضيا عنها .. عن نفسى .. وغضبها منى .. هو غضبى على نفسى عندما يكون ضميرى ثائرا على شىء فعلته .. كانت فائن هى نفسى اناقشها .. واروى لها اخبارى .. وعندما انجح فى الامتحان ، اجرى الى غرفتى ، وامسك صورتها واصيح :

— أنا نجحت يا فائن ..

ثم ادور ارقص فى الغرفة ..

وكان هذا هو حبى الوحيد ..

لم يكن لى حب آخر ..

ظلت حتى وصلت الى الثلاثين من عمري ، وليس فى حياتى اة .. لاح ، ولا شبهة حب .. لقد حتمتى فائن من كل النساء او حرمتهن ..

وقد تزوجت فائن خلال ذلك .. تزوجت عز الدين ذو الفقار ، تزوجت عمر الشريف .. ولكن زواجها لم يكن له اثر فى حبى .. لم يثر غيرتى .. ولم يجعلنى انبئى .. لقد كنت انظر الى زواجها كآنى اسير الى احد افلامها .. واحتفظ بصورتها لى زواجها سمن الصور الاخرى التى تصورها فى ادوارها .. لم يكن لفائن فى نظرى حياة خاصة ، حتى يكون لزواجها نفس المعنى الذى يحمله زواج اية فتاة اخرى .. كانت فائن فتاة .. فتاة .. فقط .. لم تست مجرد انسانية ، ولكنها فتاة .. ولو رايتها بعينى راسى تاكل لا اعتقدت انها لا تاكل كبقية الناس .. او لحاجتها الى الاكل .. ولكنها تقوم باحد ادوارها كفتاة ..

واصبحت لى للواحدة والثلاثين من عمري ..

واصرت لى على ان اتزوج ..

وانت لا تعرف لى .. انها دكتاتورة .. اذا اصرت على شىء ملايد ان ينفذ .. وعبثا حاولت ان اقنعها باننى لست فى حاجة الى 'زواج' ، وانى اسعد مخلوق فى الدنيا ولست فى حاجة الى مزيد من السعادة ..

ولكن الديكتاتورة اصرت ..

وزوجتنى من فتاة جميلة ، مثقفة ، ذكية ، طيبة .. ولكنى ما زلت احب فائن .. ونقلت معى الى بيتى الجديد كل صورها ، وكل الالبومات التى احتفظ فيها بقصاصات الصحف .. شىء واحد تميز .. وهو انى لم اعد استطيع ان احتفظ بصورة فائن الكبيرة

بجانب فراشي فاحتفظت بها في غرفة مكنتي ، وكنت اخلو بها كل مساء وأحدثها كمعتني .. ثم اذهب الى زوجتي .. ولم تكن زوجتي بالنسبة لي سوى عمل طلبت مني ان اؤديه ..

ولاحظت زوجتي منذ الايام الاولى لزوجنا حبى لفاتن .. ولاحظت عليها انها ربما كانت عاصبة .. او حائرة .. ربما بدأت سغار من فاتن .. ولكنها سكنت .. لم تطلب مني ان اتخلص من صور فاتن .. ولم تسألني عن الساعات التي اقضيها في عزمه المكتب وحيدا مع صورة فاتن .. لم نحدثني عن فاتن اطلاقا .. وكنت كلما دعوتها الى مشاهدة فيلم من افلام فاتن .. ذهبت معي دون اعتراض .. بل انها ذهبت معي لمشاهدة فيلم « لا ايام » ثلاث مرات ..

الى ان كان يوم .. ودخلت مرة فوجدت زوجتي واقفة في غرفة النوم تنظر داخل دولابها الخاص الذي تحتفظ بمفتاحه .. وبكادت تحس بي ، حتى اتعدت عن الدولاب في ارتباك ، واعلقت به المفتاح ، ثم نزعته المفتاح من القفل ودسسته في جيبيها ، ووعمت امامي مرتبكة ، ووجهها محترق ..

واثارت هذه الواقعة انتباهي .. ولكنني ظفيت عنها .. ولم احادثها بشأنها .. الى ان مر اسبوع ، وضبطتها مرة ثانية في نفس الموقف ، تنظر داخل دولابها .. وتكرر منها نفس الارتباك الذي اعتراها اول مرة .. وسكنت ..

ولكنني لم اهدأ ..

كنت حائرا .. تملؤني شكوك لا استطيع ان اسدتها ولا استطيع ان اتخلص منها ..

ثم حدث يوما ان كنا في غرفة النوم ، وتركتني زوجتي ودخلت الحمام .. وسقطت عيني على دولابها .. فرايت المفتاح في القفل ،

وكما يفعل اللصوص ، كتبت على اطراف اصابعي ، وفنحت للدولاب ..

ووافلت بيهوتا .. لقد وجدت ..

اتدري ماذا وجدت داخل الدولاب ؟

لقد وجدت صورة عمر الشريف .. !!

واغلقت الدولاب ، ولم ادر ماذا افعل .. لم استطع ساعيتها .. اسين حقبة عواطفى .. وعادت زوجتي .. ونظرت في وجهي وقالت :

— مالك ؟ ..

قلت :

حبيبي فيشى .. عندي شوية مخص بسيط !

وقضيت بعد ذلك اياما قلدا حائرا .. ان زوجتي تحب عمر الشريف .. وحاولت ان اتنع نفسي بانها تحبه كما احب فاتن .. تحبه كفتان .. ويدأت اذكر انها تحرص دائما على مشاهدة كل افلامه .. وانها في مناسبات كثيرة كانت تبدي اعجابها به كفتان ، وحاولت ان اعطيها الحق في حبه ، ما دمت اعطى نفسي الحق في حب مان .. ولكنني لم استطع ، وكان علي ان اواجه نفسي بالحقيقة .. اني اغار من عمر الشريف .. نعم .. اني اغار منه ..

والهم اتي لي خلال هذه الايام بدأت اعمل حبى لفاتن .. ثم اعد قلب في صورها التي احتفظ بها .. واصبحت كلما خلوت الى صورتها في غرفة مكنتي .. تبعد عني الصورة .. تخفيها عني عواطفى نحو زوجتي وغيرتي عليها من عمر الشريف .. بل اني اصبحت اختصر اوقات هذه الخلوة ، واجرى لاجلس مع زوجتي حتى لا اتركها تخلو مع صورة عمر الشريف ..

ودخلت يوما الى زوجتي ، وكانت جالسة فوق السرير بقميص

النوم وما كادت تلمحنى حتى اخفت تحت الوسادة شيئاً كان فى
يديها .

انى احرق هذا الشيء ..
انه صورة مهر الشريف ..
ولم اتكلم ..

ولم استطع النوم ، وصورة مهر نحت وساندى .. اننى مهما
سأديت فى حبى لفاتن ، فلم أضع صورتها أبداً تحت وساندى .
لا قبل الزواج ولا بعده .. ان زوجتى مجنونة .. ومن يدري لعلها
سحب فى عمر الانسان لا الفنان .. حتى لو لم تكن تتصل به ..
ربما تظنناه .. ربما تفضله — كرجل — عفى ..
وكدت أجن ..

احسست بالنار تشتعل فى فرائى .. وزوجتى بجانبى نائمة فى
هدوء لا تحس بنارى .. وفى الصباح — ولم أكن قد أعجمت عسى
طول الليل لحظة واحدة — لم استطع ان أسيطر على اعصابى ..
وقابت المفدة ، ثم أمسكت بصورة مهر ، وقتلت وأنا افعل الهدوء :
— اننى بتحبنى مهر الشريف ؟
وقالت زوجتى فى حياء :

— أيوه ..
واخذت أروح واغدو فى الغرفة ، وصورة مهر فى يدي وثورس
يخلق صوتى ..

وقالت زوجتى فى براءة :
— انت زعلت ؟ ودى فيها حاجة دى ؟
وقلت صارخاً :

— ده لعب عيال .. اننى كبرتى خلاص يا ست هاتم ..
وقالت كأنها تتحدثنى :

— طيب ما انت كبير ، وبحب فاتن حمامه ..
وكنت قد نسيت فى تلك الليلة حبى لفاتن : صدق ولا تصدق .
لقد نسيت حبى .. هبطت من السماء التى عشت فيها طول حياتى ،
ورقفت على الأرض تعذبى الغيرة على زوجتى ..
وصرخت :

— انا باحب فاتن كفنانة .. و ..
وقالت تقاطعنى وهى تصرخ مثلى :
— وانا باحب مهر كفنان ..
وعدت أسرخ :

— فنان واللامش فنان .. دى مرقعة بنات .. دى قلة احترام
لبنك وجوزك .. اذا كان على فاتن أنا مستعد أقطع كل صورها .
سواندعت الى غرفة مكتبى كالمجنون .. وأمسكت بصورة فاتن
وهيمت ان إمزقها .. ولكن زوجتى لحقت بى ، وأمسكت بيدي
.. وقالت وهى تبسم :

— ما تقطعش صور فاتن .. هذ صورة مهر قطعها لو كنت
تأيز .. أصلى باحب فاتن أكثر من مهر ..
ووقفت انظر اليها مشدوها ، وهى تبسم لى .. ابتسامة حلوة
حانية . واحسست انى افقت .. افقت من خيرتى من مهر ، ومن
حبى لفاتن .. واحتضنتها ..

واحسست انى اريد ان أبكى على صدرها ..
وانتقلت الى مرحلة اخرى من عمرى .. اجعل ايام عمرى ..

وكانت جلستى امام دكان النقاله هى نزهتى الوحيدة .. ارقب
حلالها الناس المارين فى الشارع ، وأرقب صديقى السيد نظمى .
وهو يغازل البنات المترددات على دكانه .. ان السيد نظمى قاموس
فى كلمات الغزل ..

ولم أكن اعترض على غزل السيد نظمى للبنات .. ولم أحاول
مرة ان اشاركه فيه .. فله ديه ولى دينى .. وعلى العكس كنت احدث
فيه كثيرا من التسلية ، توغر على الذهاب الى سينما شبرا ..

ولكننى لاحظت ان السيد نظمى يتجرا على مغازلة كل البنات
الا واحدة .. فتاة فى التاسعة عشرة من عمرها .. بيضاء ..
شعرها أصفر .. وعيناها فى لون البرسيم ، ممثلة القوام قليلا ..
وكانت تاتى الى الدكان وتشتري ما تحتاج اليه وهى جادة ..
أكثر من جادة .. كأنها غاضبة .. ثم تصرف دون أن تتكلم أى
تسمح لأحد بأن يكلمها ..

وسألت السيد نظمى مرة ، لماذا لا يتجرا على مغازلتها رغم انه
أجمل زبوناتى ، فأجاب سيادته :

— لا يا فوزى أفندى .. ما لناشى دعوه بيها .. دى أصعب
تركبه ورأسها ناشف ..

وضحكت بينى وبين نفسى .. وحدثت الله ان قاموس السيد
نظمى لا يستطيع ان يصل الى كل البنات ..

وكان السيد نظمى يفتب عادة من دكانه فى الساعة السابعة
مساء ، ريثما يذهب الى بيته ويعود بعد قليل ، وكان فى هذه الفترة
يروح الى الدكان لثقتة بى .. وهى ثقة لا زلت أعتز بها .. وهذه
الفترة هى عادة فترة ركود تجارى ، ينقطع خلالها تكثر الزبائن .
ورغم ذلك فلو صادف وجاء زبون ، فأتى لا اتردد فى ان أبيع له

بنت السلطان

اسمى : فوزى فهمى .. واذا أردت أن تكون دقيقا ، فان اسمى
بالضبط هو : فوزى المندى فهمى !!

عمر الا ٢٥ سنة ..

وانا انسان جاد .. طول حياتى حاولت أن اكون انسانا جادا .
وبنذ تسع سنوات نلت شهادة الثقافة العامة ، وعيبت موظفا فى
مصلحة السكك الحديدية .. درجة تاسعة .. المرتب عشرة جنيهات
.. ولم يكن يهمنى أبدا أنى لم أتم تعليمى .. أو أن مرتبى ضئيل
.. كان كل ما يهمنى أن اكون انسانا جادا .. وكنت قد وضعت
نفسى مجموعة من المقاييس والموازن ، أحرص عليها فى دقة ..
وكل تصرفاتى ، وكل تصرفات الناس نحوى تدور حول هذه المقاييس
والموازن ..

انى أختار ثيابى بحساب ، وأسوى شعرى وشنبى بحساب ،
واذهب الى المصلحة بالدقيقة ، وفى الساعة الثانية والربع تمأما
تجدنى أتناول غدائى فى بيتى مع والدتى .. واستطيع ان احدد لك
بالضبط ماذا سيكون غدائى فى يوم الاثنين الأول من شهر يناير
عام ١٩٦١ ..

وفى الساعة السادسة مساء أخرج من بيتى ، واتوجه الى
شارع جلوصى — بشبرا — واجلس امام دكان صديقى السيد نظمى
هلال البقال وولده .. وولده لا يهكم فى قصتى ، لانه لا يتجاوز
العام الثالث من عمره ..

ما يريد ، اذا كان ما يريده لا يحتاج الى مهارة خاصة : اسبرين ؛
ساكو شاي ، ابرة وابور جاز .. الخ ..

وحدث يوما ، بينما كنت في الدكان مكان السيد نظمي ان جاءت
الفتاة التركية ، وطلبت في لهجة حازمة :

— اسبرين من فضلك !

واربكت .. ولا أدري لماذا اربكت .. ربما لان السيد نظمي
كان قد رسم لها في مخيلتي صورة قاسية .. وربما لأنني كنت
امتبرها اجمل بنات الحي .. وناولتها الاسبرين ، واخذت منها
الثمن ، وأنا لا أستطيع أن ارفع عيني الى وجهها ..

وبعد يومين .. وفي نفس الوقت .. جاءت مرة ثانية :

— اديني ربع اقة حلواه طحينيه !

واعذرت .. طلبت منها ان تنتظر حتى يعود السيد نظمي
وولده .. لأنني لا أستطيع أن اتحمل مسئولية وزن الربع اقة .. ف
فقط ابيع الأشياء التي لا نحتاج اني وزن او مساومة .. ولكنها لم
يقبل اعتذاري .. أنها تريد الحلوة حالا .. ثم دخلت الدكان ،
وبحتي قاتلة :

— اوعى انت ..

وامسكت بالسكين الكبير ، وقطعت في لوح الحلوة الطحينية .
ووزنت لنفسها ربع اقة .. ودفعت الثمن .. وانصرفت .. وأنا
اربعى .. ورجي متعج .. لا أدري ماذا اتول ولا كيف اتصرف .
وله يغضب مني السيد نظمي عندما عاد ، بل ضحك قائلا :

— أنا عارفها .. عقل تركي ..

وتكرر حفيور قديرة — وكنت قد عرفت اسمها — في الموايد
انني يتغيب فيها السيد نظمي من دكانه .. ولم تعادني مرة .
او تبسم لي .. فقط تطلب ما تريد وتشي .. الى ان كان يوم جاءت

طالب شراء اسبرين ، وناولها قرصين ، وأنا صامت ، لا ارفع
عيني اليها .. ودفعت الثمن .. ولكنها ظلت واقفة وهي تنظر الى
من ثبات ، ثم قالت :

— نفكر الاسبرين يبيع انبرد ؟

ونظرت اليها ، وارندت نظرتي سريعا .. كأنني خفت من
حمايتها وخفت من عقلها التركي .. خفت من نظرتي اليها .. وقلت
في قلبي كأنني مخاطب بنت السلطان :

— والله يا افنديم .. بذر الكتان احسن ..

قالت في لهجة آمرة :

— طيب اديني بخر كتان ..

قلت لبنت السلطان :

— مايفش عندنا .. أنا أسف .. أنها موجود في الاجزخانه
ادبي حينا .

وقالت الآمرة :

— طيب تعالى ..

وروقت مشدوها لا انهم ماذا تريد .. تشخبطت في وجهي :

— تعال اشتره من الاجزخانه ..

وخرجت من الدكان صافرا ، وسرت وهي بجاني ، وركتاي
درنشان حتى وصلتا الى الاجزخانه .. واشتريت لها بذر الكتان .
ودفعت لي الثمن .. ثم ادارت ظهرها .. وانصرفت ..

وعادت مرات أخرى .. والموقف لا يتغير .. ارتجف كلها
رايتها .. وانظر اليها كأنها نجم في السماء ، يتنازل احيانا ويطل
على الأرض .. ولا أخفي عنك أن اهتمامي قد زاد بها .. وجبعت
عنها بعض المعلومات .. أنها تسكن في نفس الشارع .. شارع
خلوصي .. وهي طالبة في مدرسة الفنون الطرزية .. وجميع شئان
الحي يربوونها ، ولا يجري أحد على مفازاتها ..

وفى يوم جاءت الى الدكان .. فى نفس الموعد الذى يتقرب منه
السيد نظى وولده .. وطلبت شراء « كمون » .. وارتيكت ..
ففى لا اعرف مكان الكمون فى الدكان .. فاذا بها تدخل الى
الدكان ونهائى لقلنى على مكانه : ثم تدس فى يدي ورقة ، دون ان
تتكلم .. وارتمست يدي فوق الورقة .. وخرجت ..

وانطرت الى ان غابت عن عيني ، وفتحت الورقة ، وقرأت فيها
« انتظر غدا ، على محطة ترام النوفيقية ، الساعة السادسة » .

وارتكت مقاييس حياتى .. فلم يكن من بينها مقياس لمثل هذا
الموعد .. وارتيك يومى كله .. وارتيك تفكيرى ، وقلبي .. ولكنى
قررت ان احتمل كل هذا ، وأن اجازف بكل المقاييس والموازن فى
سبل بنت السلطان .. والواقع انى خفت .. خفت من كل هذه
الضجة التى بدأت تزحف على حياتى .. وذهبت الى الموعد ، وانا
ايضا خائف .. خائف منها ..

وانظرت .. ربما انتظرت طويلا .. ولكنى لم انظر الى
بعد الساعة الثامنة .. ليس اكثر من ساعتين .. ولم تحضر .
وعدت الى البيت ، وقد ضاعت منى — لأول مرة — جلستى امام
دكان السيد نظى وولده ..
ولا اكتمل انى لم اتم ليلتها ..

وفى اليوم التالى ذهبت الى دكان السيد نظى .. ومعنى
مرتضى .. واخذت اتطلع الى الطريق ، فى نظرات مختلفة .. ثم
مام السيد نظى وذهب الى بيته ، وبقيت وحدى فى الدكان ،
ومجأة ، رايتها امامى .. قدريه .. بنت السلطان .. ولم يتبسم .
ولم تتكلم .. لم تطلب حتى شيئا تشتره كعادتها : انما دنت
بدي ورقة .. وانصرفت ..

لها تعذر .. لم يستطع ان يعادر البيت .. وهى تحدد اليوم
الى .. نفس الموعد .. ونفس المكان .. وذهبت ..

وانظرت .. وبعد نصف ساعة جاءت .. ولكنها لم تقف ،
بل تحدثنى .. اشارت الى بطرف عينيها وبهزة خفيفة من يدها
ان اتبعها .. ونبعثها .. اسير وراءها ، الى ان وصلنا الى اول
شارع شبرا .. فتبعنا حتى اذتربت منها .. وقفزت فى احدى
سيارات التاكسى ، وهى تهمس :

— تعال ..

ثم استطردت :

— قول له يطلع قوام ..

قلت :

— على من ؟

قالت :

— اى حته ..

قلت وقد بدا العرق يتصبب من يدي :

— يعنى .. بس قولى حضرتك .. اصل ..

ونظرت الى فى حدة ، ثم قالت للسائق :

— كازينو الحمام ..

وذهبت الى كازينو الحمام ، وقافتنى الى خيلة بعيدة تظللها
مروع تحفها عن اعين الناس .. وجلست بجانبها وانا لا استطيع
ان اتكلم .. كانى انتظر منها ان تطلب قرص اسبرين .. او ياكى
شاي .. وربما تعبدت ان تكشف عن ساقها قليلا ، او تميل
على اكثر من اللام .. ولكنى كنت فى حالة من الارباك والرهبة
بحيث لم استطع ان اقول شيئا ، او امد يدي اليها ..

وانصرفنا بعد ساعتين ، وهى تبدو جادة كما هى ، قاسية ..
وانا اسير بجانبها كالدنول ..

وبعد يومين قابلتها مرة ثانية ، وركبنا سيارة تاكسى ، وقلت
كانى اعرف الطريق :

— كازينو الحمام ..

مقاتل في حدة :

— لا ..

ثم استطردت تخاطب السائق :

— اطلع على الدقي !!

وغاص قلبي في صدري .. خفت .. فلم أكن أدري إلى أين
أأخذني .. ولم تكن لي من التجارب ما يؤمنني لأن احتمال هذه
التجربة ..

وبقيت ساكنا .. وكل شيء في داخلي يرتعش .. إلى أن
دخلنا فيلدا في الدقي .. كان الجو الذي يحيط بالفيلدا يوحى إليك
أنها أعدت خصيصا لاستقبال هذا النوع من النساء والرجال ..
وفتحت لنا الباب سيدة في حوالى الأربعين من عمرها ترتدى
الملابس الفاخرة وتضع على وجهها أصباغا فاتحة ، وتطل من عينيها
نظرات حازمة .. وقادتنا إلى غرفة .. غرفة نوم .. واغلقت
الباب علينا .. ثم انصرفت ..

وقالت بنت السلطان :

— معاك جنينه ؟

وكنت مستعدا لمثل هذه الاحتمالات .. أحمل في جيبى كل ما
أدخرته .. فأعطيتها الجنية ، وخرجت به .. وربما أعطته المرأة
التي فتحت الباب .. ثم عادت .. وجلست بجانبى .. ولاحظت
أنها التفتت بى أكثر من اللازم .. وأنها كشفت ثوبها عن سابقها
.. ثم قالت :

— أيا .. الدنيا حر !

ثم جلعت جاكيت التابير ، وظهر لحم كتفها وصدرها في لون
الشفرة .. ورغم ذلك فلم أكن أستطيع أن أنبل شيئا .. كانت

رهبة تهزنى .. والخوف يملأ صدري .. لم أكن أستطيع أن أتحرك
أحساسى بأنى جالس فى حصرة بنت السلطان .

وبعد فترة قامت من جانبى ، وارتدت الجاكيت ، ثم خرجت وهي
قول :

— دقيقة واحدة من فضلك !

وبقيت جالسا في انتظارها .. كم انتظرت ؟

وربما أكثر من ساعتين .. إلى أن فتح الباب ، ودخلت المرأة
في فتحت لنا الباب والتي عرفت فيما بعد أن اسمها عزيزة .
حبست صدرها قائلة :

— أنت لسه قاعد .. دى ست قدرية خرجت من زمان .

وازداد ارتباكى ، دون أن أحيّر جوابا .

وعادت عزيزة تقول :

— ده انت باين عليك خام خاص .. ويرينى كده ..

ثم اقتربت منى ، وأخذت وجهى بين يديها ، ثم انقضت على
مضى تقبلها .. ولم أكن أشعر نحو عزيزة بنفس الرهبة التي
أشعر بها نحو قدرية .. فبادلتها القبلات .. وانسقت معها إلى
خز الطريق ..

لقد قلت لك أنى رجل جاد .. حياتى كلها تدور حول مجموعته
من المقاييس والموازين .. وقد أصبحت عزيزة ضمن هذه المقاييس
المواريث ، أذهب إليها كل مساء في الساعة الثامنة .. وقبل ذلك
أذهب لأجلس أمام دكان صديقى السيد نظمي هلال وولده ..
وأستظر إلى أن تأتى قدرية ، وتقول لى في لهجة بنت السلطان :

— أدينى أسبرين من فضلك !

فأعطيتها الأسبرين وقلبي وأجف .. لا أستطيع النظر إلى
عينيها .. !!

بلاك كرامة

كنت أجلس في مقهى «الدونيه» بروما ، وأثار اتملونزا ،
مضى عليها عشرة أيام ، لا تزال تهش في رأسي ، وتكوى أنفي ،
وتثقل جفوني ..

وعندما تجلس في مقهى «الدونيه» لا ترى إيطاليا وحدها ،
ولذلك نرى العالم كله .. أنه مقهى يقع في شارع « فيلفنتو » أحد
الشوارع المشهورة في أوروبا كلها .. ورواده كلهم من الأجانب
أمريكان ، وألمان ، وإنجليز ، وعرب ، وسنغاليين .. و .. و ..
وكلهم من الثراء ، أو من النجوم .. نجوم السينما ، أو السياسة
.. أو نجوم المال !

وهي متعة كبيرة أن تجلس في مقعد ، ترتب العالم وهو يمر
من أمامك .. وكنت استمعين بهذه المتعة على مقاضاة آثار
التملونزا ، عندما سقطت عيناى على فتاتين تجلسان إلى مائدة
قريبة .. جيلتان .. لا تزيد عمر كبراهما عن الخامسة والعشرين
.. وكل منهما ترتدى ثوبا أبيض .. كل شيء فيهما أبيض .. الحذاء
.. السوار .. الانسامة .. وفتات العيين .. اناقة ليس فيها
.. والصغرى منهما لها وجه لا يستطيع أن ترفع عينك
عنه .. ولبتسامها تطل من تحت سنتين بارزتين بروزاً خفيفاً ..
وتسلسل إلى قلبك ، وتكاد تأخذ .. والاثنان منهكتان في حديث
طويل .. لا ينتهى .. ولا تنظران إلى أحد كان كلا منهما قد اكتنت
من العالم ، بالأخرى ..

واحدث أحاول أن أرسم لكل منهما قصة من خيالي .. من أين
.. لعلها من ألمانيا .. لعلها من إنجلترا .. لعلها من
.. ومن يدري ربما كانت صغراهما ابنة الملونير العالمى
.. أسيس .. وعندما أحترت في تحديد جنسيتها ، قررت - بنى
.. نفسى انها من أمريكا .. فإن الشخص الذى لا يبدو على
به خطوط واضحة تحدد جنسيتها ، غالباً ما يكون أمريكياً ..

وبخلت الصغرى ابنة مليونير أمريكى .. عاشت حياتها في
.. وكبر ، وتلقت علومها في مدرسة داخلية للبنات ، وقضت عاماً
أحداً في الجامعة .. ثم خطبت .. وتزوجت منذ أسبوع واحد ،
جاءت إلى إيطاليا مع عريسها لقضاء شهر العسل .. لإيد أن
عريسها ذهب الآن ليحدث عن تذاكر لباريات الأولياد ، بينما هي
حالسة في انتظاره مع صديقتها .. و ..

وقطع خيالي صديق عربى جاء وجلس بجانبى يتحدث إلى ..
ولاحظ خلال الحديث أنى ما زلت أنظر من تحت جفونى الثقيلة إلى
.. وتنتع عيني .. ثم ابتسم ابتسامة ساخرة ، وقال :

— هل معك عشرون ألفاً ؟

واعتقدت أنه يريد أن يقتضى ، فقلت على الفور :

— معى ..

ووضعت يدي في جيبي لأخرج العشرين ألفه ليرة .. وهو
.. يساوى .. بالسعر الرسمى - حوالى خمسة عشر جنها ..

ولكن صديقى لم ينتظر حتى يأخذ منى النود .. بل قام على
لحور واجه إلى الفتاتين ورايته يصافحهما ببساطة ، ثم انحنى
.. حاطب الماة الصغرى .. ورايتها بعد لحظه تقوم واقفة ، ثم
.. إلى معى ..

ووقعت استقبلها ، وقد رمعت الدهشة جفونى الثقيلة من فوق
.. واطارت آثار التملونزا من رأسى ..

لقد فهمت ماذا كان يقصد صديقى عندها طلب متى العشرين
الف ليلة ..

وقدمها الى ياسنا :

— روسانا ..

واختصر اسمى وهو يقدمنى اليها :

— حسن ..

وجلسنا .. وأنا بحرج ، مرتبك ، لا استطيع ان انقط طرف
حديث ابداه معها .. وبعد قليل ، غمز لى صديقى بميمه ، ثم قام
فورا ، واستاذن ، وابعد .. وأنا الهك وراءه بعينى ، كئى
اسنفث به الا يتركى وحدى .. !

ولكنه تركنى .. معها .. جالسين على رصيف مقهى اللدنيه
والعالم يمر من امامنا !

وازددت ارباكا .. مررت لحظات طويلة واما احث فى راسى
عن كلمات اقولها لها .. والذين يعرفوننى ، يعرفون ابنى استطيع
ان اثرثر بطلهى ، ولا استطيع ان اثرثر بلمساتى ..
وسمعتها تقول :

— هل تريد ان تنصرف من هنا ؟

وانتفت اليها وقلت فى ارباك :

— لا .. ولكن صديقى سيعود الآن .. حالا !

وقالت وابسامتها الانيقه الرقيقه تطل من تحت منبتها
البارزتين :

— هل يجب ان تنتظره ؟

قلت بسرعة :

— نعم .. نعم ..

وسكتت وهى تهز كتفها بلا مبالاة ، وابسامتها تزداد رقة
واناقة ..

وكان على بعد ذلك ان ابداه اى حديث ، والا اعتقدت انى
اتعمد اهلها .

وقلت ومسخونة الخجل — لا مسخونة الانفلونزا — تشعل
حتى :

— لقد كنت اتخيل الآن قصه انت بطلنها ..

قالت فى صوت رقيق :

— انا ؟

قلت :

— نعم .. انت .. لقد تخلصك ابنة مليونير امريكى ، تربيت
فى قصر .. وتزوجت فى الاسبوع الماصى ابن مليونير امريكى آخر ،
وجئت الى روما لقضاء شهر العسل .. و ..

وبينت ضحكها رنينا رقيقا ، وقالت :

— يا ريت ..

قلت :

— هل كذب خيالى ؟

قالت وهى لا تزال تضحك :

— جدا .. انك على الاقل عرفت من اسمى انى ايطالية ..

ومر بنا جرسون المتهى : داستوقفته وسألتها ، وقد بدا
الارتباك يزايلنى :

— ماذا تطلبن ؟

قالت :

— الا تريد ان تذهب الى مكان آخر ؟

قلت وقد بدأت ارتبك من جديد :

— ان صديقى على وشك ان يعود .. لقد قال لى بالعربية انه
سيعود ..

وهزت كتفها بلا مبالاة ، ونظرت الى الجرسون ، وقالت :

— برتو ..

وجاء لها بكأس من البرتو الأحمر .. وقالت وهي تلمس
بافتئها حافة الكأس :

— هل تتخيل دائما قصصا عن الناس ؟
قلت :

— أحيانا .. وأحيانا يصدق خيالي ..
قالت :

— ولكنه كذب معي ..
قلت :

— دعيني أسمع الحقيقة .. حقيقة قصتك ؟
قالت :

— ليس لي قصة ..
قلت :

— كل انسان له قصة ..
قالت :

— ولكن قصتي بسيطة .. لا شيء فيها .. لا تصلح حتى
لمجرد الحديث عنها ..

قلت :

— لنسمعها .. على الأقل لتفارق بينها وبين خيالها ..
ونظرت الى في حمة ، وقد بدا وجهها يكسوه الغضب %
وقالت :

— لماذا تريد ان تسمع قصتي .. ؟
قلت ببساطة :

— لأنى كاتب قصة ..
وانتمت ، وقالت :

— ظننتك مجرد ثرثار .. هل تعرف انى من هواة القصص ..
انى ذوب فى قصص البرتو مورافيا ..

واخذنا نتحدث عن قصص مورافيا .. تكاد تحفظها كلها عن
ظمر قلب .. ثم عدت أقول لها :

— دعينا نسمع قصتك ..

وانتمت كانها تشفق على من لهنتى .. ثم قالت :

— حسنا .. أسمع ..

وبدأت تروى قصتها .. بسرعة .. واختصار .. كأنها تقرأ
علانا فى صفحة الإعلانات المبلوبة ..

كنت فى السابعة عشرة .. موظفة فى بنك ، وأدرس فى المؤقت
معه لفيل بلوم من مدرسة التجارة .. وقابلت برونو .. أنه طبيب
شاب ، تخرج فى نفس العام الذى التقينا فيه .. مهذب .. هادى ..
.. رائع .. لم يكن فيه عيب الا أنه أضعف من أمه ..
واحبته ..

لا تتصور كم احبته .. أصبحت حياتى كلها هى برونو ..

ولم يكن ينوب حينا الا خونه وخوفى من أمه .. ثم .. ثم
اخفى برونو اليها .. الى أمه .. وكان قد مضى عام على لقائنا ..
وتبدد حوى ..

انها ليست كما كنت أعتقد ..

انها حلوة .. رفيعة .. طيبة .. مريحة ..

وابتمت لى كانها تبارك حبنى ..

واصبحت صديقتها .. أسأل عنها بالتليفون ، وشال عفى ..
وازورها لأجلس بجانبها اذا مرضت .. وارسل اليها هدايا
صغيرة ، ويرسل لى هدايا كبيرة ..

وجعلتني صدائتي لام برونو ، اعتبر نفسي خطيئة .. أنا ام
تحدث عز الزواج .. ولكنه كان شيئاً مفروضاً بيننا نحن الاثنين
.. وكنت امنحه كل حقوق الخطيب .. اسمع كلامه .. وانهضت عنه
امام امي واخوتي ..

ومضت اربع سنوات على حبنا !

وفي كل شهر ، سبب يؤجل زواجنا .. بسبب اصدقه بسهولة ،
ولا مناقشة ..

ثم .. اتصلت بي احدى صديقاتي صباح أحد الايام ، وصاحت
تأنيها تنعي الى قلبي :

— هل تعلمين ماذا حدث ؟

قلت واثنا انشاعبي :

— ماذا ؟

قالت :

— لقد تزوج برونو !

وقفزت فوق فراشي والهلح يمزقني :

— متى . وكيف ؟

قالت :

— امس .. الم يقل لك ؟

ولم اصدقها .. مستحيل ان اصدقها .. لقد كان برونو معي
حتى اول امس .

وانصت به بالهاتفون ، وما كاد يسمع صوتي ، حتى قال قبل
ان اسأله شيئاً :

— يستحسن ان نقابل ..

ولا ادري كيف ارتديت ثيابي .. ولا كيف ركبت الانوبيس ..
اني البت .. وامام عيني ضباب كثيف ، لا اكاد اري من خلاله

شيئاً ..

ووقف امامي برونو .. ورأسه منكس على صدره ..
.. استطاع ان يطر الى .. ومهيت ..

صدقت صديقتي ..

ورفع برونو رأسه ، وقال :

— ان امي كانت .. و ..

ولم ادعه يتم .. تركته وجريت عائدة الى بيتي .. ودموعي
دني وتكاد تغطي بي على الارض ..

والالام .. انك لا تتصور مدى هذا الالام .. اربع وعشرون
ساعة في اليوم ، وكل شيء في متقلص .. وجفوني لا تتسدل ..

شئى بلا جفون .. ودموعي لا تكف عن عيني .. دموع هستيرية
تب من قدر بطني في داخلي ..

وكنت اعلم ان مبعث هذا الالام ليس حبي ، ولكنه كرامتي ..
كرامتي التي مزقها برونو وامه ..

وكان على ان احتمل الالام .. او انسى كرامتي ..

ولم احتمل الالام ..

ونسيت كرامتي ..

وعدت الى برونو .. عدت اليه .. وهو متزوج ..

ولم اكن اعتقد اني عندما تنازلت عن كرامتي ، تنازلت ايضا
عن اراقتي .. لقد منحته بعد عودتي اكثر مما تمنحه زوجته ..

وكنت اسأل ان ارفع نفسي بانى اسعى لان يطلق برونو زوجته
ويعود الى وحدى .. لقد تزوجها لانها غنية ولانها ابنة عمه ..

انكى مساجله بزهدي غناها .. وينسى انها ابنة عمه .. وكنت
راك اضحك على نفسي .. كنت اخدع كرامتي .. وكنت اعلم انه

دام قد تزوجها فلن يطلقها ..

ولكن برونو تغير .. لم تعد بيننا هذه الامسيات الجميلة التي
.. فيها على رصيف النهر .. ولم تعد بيننا هذه الاحاديث

الرميقة ، لم يعد بيننا أمل .. لم يعد ملكي .. اصبحنا كلنا التقينا

مختبئىء فى شقة .. وياخذنى متعجلا .. ثم يتركنى مريعا قبل ان
يسال عنه زوجته ..

وكرامتى تغوب ..

واهساسى باللامبالاة يسرى فى كيانى ..

وفى يوم عرفنى برونو بصديقه فيلبو .. شاب رائع هو الآخر
.. وتركنى معه .. وكان فيلبو رقيقا ، عاطفيا ، استطاع بحديثه
ان يشغلنى عن نفسى وعن برونو .. ذهبت معه .. مع فيلبو ! ..

ذهبت معه فى اول لقاء .. ولم احس بانى اخون برونو ..
ولا بانى انتقم منه .. كل ما احساسيت به اتى لا اريد ان اعود الى
بيتى ، الى وحدتى .. وكرامتى الممزقة ..

وببساطة اصبح لى رجلا اذهب معهما .. برونو ، وفيلبو ..
ثم سافر فيلبو .. وحل محله غيره ..

ثم اصبح لى كثير من الاصدقاء .. اصحاء اذهب معهم ..
وكل ما احس به وانا معهم ، ثم بعد ان اتركهم ، هو .. اللامبالاة ؛
وفى وسط هذا الزحام ضاع برونو .. ضاع بلا تعمد منه
او تعمد منى .. فقط ، ضاع ، وضعت ..

وانسقت فى طريق اللامبالاة ..

ان الخطيئة كالرمال المتحركة ، عندها تقف على ارجلها تفوص
فيها شيئا فشيئا ، حتى تختفى ..

وقد قصت فى ارض الخطيئة .. واهملت دراستى فى كلية
التجارة ، واكتفيت بوظيفتى فى البنك ..

واصبحت ابيع الخطيئة ..

ايهمها للسواح الاغنياء الذين ياتون الى روما .. انهم يدفعون
كثيرا وياخذون قليلا .. انهم خير من الرجال الايطاليين ..

وابتسمت رومانا ، ابتسامتها الرقيقة المهذبة ، وقالت :

— الا تريد ان تذهب الى مكان آخر ؟

قلت :

— لا .. ان صديقى سيعود ..

قالت :

— لا اظن انه سيعود ..

ثم قامت لتصرف .. ووضعت يدي فى جيبى واخرجت العشرين
البا .. وقلت فى تردد وارتنك :

— هل أستطيع .. لقد اخذت من وقتك كثيرا .. واخذت قصة ؛

وكتبت اعتقد انها مسترغض ..

ولكنها اخذت النقود بحركة رشيقة ، لم يلحظها احد من
الجالسين .. وهمست :

— جزائيسيا ..

أى متشكرة ..

ثم تركتنى ، وعادت تجلس الى المائدة المجاورة مع صديقتهما
انقة .. وشيقة .. ارسقراطية ، كانتا لبنة مليونير ..

— أنت مالك يا بايخ .. أنت حائستعبدنى .. انت فاكرك نفسك ..
سجورنى ! ..

لماذا لا اتزوجها ! ! ..

انى استطيع لو تزوجتها ان استريح .. استريح من كل
الرجال .. واحتكرها .. تصبح لى وحدى ..
وفقدت نصف عقلى .. وتزوجتها ..

ومنذ تزوجها ازداد عدد الرجال الآخرين امام عيني .. اصبح
كل رجل يمر امامى عشيقا لزوجتى .. او كان عشيقا لها .. اصبحت
اضر الى رملانى المحابين كلها ذهبت الى المحكمة .. كاسى ابحث فى
وجوههم عن آثار شفقتى لزوجتى .. واتسائل باستمرار .. من منهم
ربا .. ومن منهم استضافها ذات ليلة .. ؟

وجلسنى فى المعت ..

كنت اخرج فى الصباح الى عملى ، واغلق الباب عليها
المفتاح ، مفتاح واحد للبيت ، احتفظ به فى جيبى ..
واستسلمت هى .. لم تحاول ان تعترض ..

ولم تكن ترى الطريق الا فى شخصى .. فاذا نظر اليها رجل ،
اعتقدت انه كان أحد المفرددين على جسدها ، وكنت ثورتى الى ان
تعود الى البيت ، وضربتها .. ايا اذا التفتت هى الى رجل ، فلا
امهلها .. اصفعها ونحن داخل السيارة او امام الناس ..

وهى دائما مستسلمة ..

ومرست .. مرست بالاسل .. فجلست بجانبها اعالجه ..
له اكن اتمام .. دائها بجانبها .. وكنت اشمع بالراحة وانا اراها
مريضة ، هزيلة ، صفراء .. كانت غيرتى تكف عني .. كائى
ضمنت انها لى وحدى ، ما دامت مريضة .. انه يهور خبيث
قلس ، واكنى كنت ارتاح له ..

لست مفلا

لا ادرى بالضبط متى قررت ان اتزوجها .. والواقع انه لم يكن
هناك اى داع لاتزوجها .. كانت قد مضت ثلاث سنوات وهى معى
.. ثأتى الى وتقتضى الليل بين درامى .. وكنت اعلم انى لست
الوحيد الذى تطرق بابه فى الليل .. كان فى حياتها كثير من الرجال ..
وكنت اعلم .. ولم تكن تخفى عني .. وكان يجب ان ارضى بها
على حالها .. ولكنى احببتها .. صدق او لا تصدق .. لقد احببتها
.. احببت واحدة من هذا الصنف من النساء ..

وعندما احببتها فقدت ربع عقلى .. فبدأت اغار عليها ..
وكنت اكنب غيرتى عليها .. كنت احاول ان اقنع نفسى بأن هذه
الغيرة ليست سوى مجرد ادعاءات وحركات تهيئية اقوم بها
لاكتسب قلبها ، لعلها تعطينى شيئا آخر غير ما تعطيه لبقبة
الرجال .. ولكنى كنت اغار عليها .. والانى اغار عليها بدأت
اتعمد ان التقي بها كل ليلة حتى لا تذهب الى احد غيرى من الرجال
.. كل ليالىها يجب ان تكون لى .. لى أنا وحدى .. وللهنار ؟
لعلها تذهب الى الرجال الآخرين فى النهار .. فبدأت ادعوها الى
الفداء معى .. وبعد الفداء نذهب الى السينما .. وبعد السينما
.. الى البيت ! ..

وبدأت غيرتى تشتد .. كنت افرصها فى ذراعها اذا حدثت
رجلا آخر .. واضربها اذا اعترفت لى ان احدا لمس جسدها ،
وكنت تصرخ فى وجبى :

وشفيت .. وبعد شفائها حملت .. وأنجبت لى ولدا ..

وانا لا أكف عن حبها ..

ولا أكف عن غيرتى عليها .. غيرة صفراء مدمرة ..

وهى دائما مستسلمة .. مستسلمة وهى حبيسة البيت
والباب مغلق عليها بالمفتاح .. مستسلمة وانا اضربها .. مستسلمة
وانا أصرخ فى وجهها ..

ومرت سنوات ..

مرت خمسة عشر عاما ، أنجبنا خلالها ولدا آخر ، وبناتا ..

ولم يهنئ حبنى يوما ..

ولا هفتت غيرتى ..

وهى دائما حبيسة البيت .. والمفتاح فى جيبى .. وعندما كبر
أولادنا أصبحت انا الذى أخذهم الى المدرسة ، وانا الذى أعود
بهم ، حتى لا يفتح الباب غيرى ..

وفى يوم أخذتها لزيارة عمى ، وتركتها هناك وبثا اذهب
لاداء عملى .. وعدت وأخذتها للبيت .. وقالت لى ونحن فى
الطريق ، انها سمعت عمى تقول ان فى الحى « نيللا » معروضه
للإيجار .. واسعة .. ست غرف .. وأبجارها خمسة عشر جنيها
.. وكنت أياها أفكر فى الانتقال من مسكنى .. فذهبت لأشاهد
« النيللا » التى قالت لى عنها .. فاعجبنى واستأجرتها واستلنا
اليها ..

انها نصف نيللا .. الدور الأول سكتافيه .. والنور العلوى
بسكنه ناسى لا أعرفهم .. من هم ؟ .. ورفعت رأسى يوما ورايت
شاما وسيميا يقف فى شرفة الدور العلوى .. وفجأة تنبهت ..
اكتشفت المأساة .. ان زوجتى أرادت ان تسكن فى هذا البيت
لتكون قريبة من هذا الشاب .. من عشيقها .. ان خمسة عشر

سنة لم تطهر جسدها من الدنس .. ان اولادها لم يشيروا فيها
إلى أمة الأمومة ، وعرتها .. انه الآن فى الأربعين من عمرها ،
ولا تزال كما كانت .. امرأة بيل .. ودخلت البيت كالمجنون ..
.. وانهلت عليها صفعا .. وركلا .. اعترفى .. اعترفى .. اعترفى ابنتها
الخاطنة يا مجرمة !

ولكنها لم تعترف ..

انها تصرخ فى وجهى :

— يا مجنون .. يا مجنون !

قد أكون مجنونا .. لكننى لست معفلا .. وظللت اضربها
ثلاثة أيام متوالية .. وأولادى يصرخون .. وهى تصرخ .. ثم ..
ثم غيرت قفل الباب .. فلأبد أنها صنعت مفتاحا للقفل القديم ..

وانا اضربها .. واصفعاها .. وصرخت ذات يوم :

— طلقنى ..

وبهت ، انها أول مرة تطلب فيها الطلاق .. من أجل هذا
الشاب الرقيق .. لا .. لا .. لن أطلقك .. وانهلت عليها ضربا
وصفعا ..

ولكن .. لعلى مغفل .. لى أغلق الباب عليها بالمفتاح .. فى
.. اننا نمسكن فى الدور الأول ، والنافذة قريبة من الأرض .. كم
انا مغفل .. انى أخرج الى عملى ، وهو — بكل بساطة — ينسل
اليها من النافذة .. ويأخذ جسدها :: يأخذها فى ينى .. سامجرة ..
وانهلت عليها ركلا وصفعا .. وهى تصرخ :

— طلقنى .. طلقنى ..

لا .. لن أطلقك .. وجئت بنجار سد نوافذ البيت بالواح
خشبية ، مثبتة بالمسامير .. واصبحنا نعيش فى ظلام .. ولكن
هذا أرحم من ان أعيش انا وأولادى فى اللخينة ..

ولكن .. ان هذا الصنف من النساء لا يعجز أبدا عن الخطيئة ..
 .. ان الجسد الملوث يستطيع دائما ان يجد طريقا الى الخطيئة ..
 وقد تعودت كل مساء قبل ان انام ان اشرب غنجالا من الشاي ..
 وقد لاحظت ان النوم يعلني مجرد ان انتهى من قدح الشاي ..
 ثم انام هوما عويما كالموت .. واسحو مسحا وصداع عنيف يضج من
 راسي .. لنها يصع لي مخدرا من الشاي .. حتى اذا نمت .. او
 على الاصح مت .. مرقت مفنح الباب من جيبي .. وفتحته ..
 وسلمت الى عشيبتها .. يا مجرمة .. اني لست مغفلا الى هذا
 الحد .. وانهلت عليها ركلا وصفعا .. وامتنعت عن تناول الشاي
 قبل النوم .. لم اعد اشرب ماء .. الا من الحنفية .. ولم اعد اكل
 الا طعاما اشتريه من احد المطاعم واحيله معي الى البيت .. واكثر
 من ذلك .. لقد استدعيت مهندس كهربائيا .. فوضع في باب البيت
 جهازا .. من شأنه اذا فتح الباب ان تنطلق في كل انحاء البيت رنات
 اجراس صاخبة .. فوظفني من النوم .. اذا كنت نائما ..

ورغم ذلك .. من يدري ما تستطيع ان تفعله هذه المرأة .. قلت
 لك ان الجسد المسموم يستطيع ان يجد طريقه دائما الى الخطيئة ..
 وكبت عائدا الى البيت .. اقود سيارتي .. والفيرة تعينني ..
 وغفلة .. وقبل ان اصل الى البيت ببضعة امتار .. لمحت هذا الشاب
 الرقيق يسير في الطريق .. لماذا لا اقتله واستريح .. ولم افكر
 طويلا .. برهة واحدة مرت بي .. ثم انحرقت بالسيارة ناحية
 الشاب .. وانا اقودها بالقصى سرعة .. سادمه .. ساقطة .. ولكن
 اللعين تنبه قبل ان اصل اليه .. قفز الى الرميح .. واختمني خلف
 سور احد البيوت .. واوقفت السيارة ونزلت اصرخ في وجهه ..
 .. جبان .. يا نذل .. انتظن انك تستطيع ان تنعم بزواجي .. اطلب
 انك دون جوان ؟ انا دون جوان اكثر منك ومن ابيك .. وسأنتك ..
 سأنتك يوما ما ..

وهجم على الملعون .. وامسك بي .. واخذ بصرح .. وكان
 الناس قد التفتوا حولنا على صوت فرملة السيارة .. وصوت
 صراخنا .. وصمم الشاب الرقيق على ان اذهب الى القسم ..
 وهناك اتهمني بالشروع في قتله .. لاني اتهمه بانه على علاقة
 .. زوجي ..

لماذا لا ساح قبل مثل هذا الشاب .. حتى يستريح المصمم ..
 ولكن طمعا انكرت التهمة امام البوابس .. ثم اخلنا الى النيابة
 وعاد اتهمه لي .. واسمعت كل لئلي كبحام من صد الاتهام
 .. واستدعت الشابة زوجتي لاحذ اقوالها .. وقلت لوكيل النيابة
 .. واحد .. ان زوجي لا تستطع ان تاني .. لماذا ؟ لانها حبيسة
 البيت والمفتاح في جيبي .. واقنعني وكيل النيابة بان افرج عن
 زوجتي ريثما تدلي باقوالها .. وبها اني محصام واعرف هذه
 الاحراطين .. فقد ذهبت مع الضابط .. وفتحت الباب .. وعدت الى
 البناية بصحبة زوجتي ..

لدي ماذا قالت زوجتي امام النيابة ؟
 ايدت الانعام .. قالت انها سمعتني عدة مرات اهدد بقتل هذا
 الشاب .. وانا راتني من خلال النافذة وانا اهاجم علمه بالسيارة ..
 الكاذبة .. المحرمة ..
 لولا النيابة لانهلت عليها ركلا وصفعا ..
 انها تريد ان تسجنني حتى يخلو لها الحز ولعشيتها .. حتى
 تتحد من بيتي وكرا لجسدها الذنس المشرب بالخطيئة .. وسمعت
 .. سوداء ..

وانتهت زوجتي من الادلاء باقوالها .. وسمح لها بالانصراف ..
 رطب متى وكيل النيابة ان اعطها المفتاح لتعود الى البيت ..
 وكنت في موقف حرج .. كنت مهددا بالسجن بتهمة الشروع
 في قتل .. علم ارد ان اجادل وكيل النيابة .. واعطينها المفتاح ..

وذهبت زوجتى ، وهى مطمئنة الى انها تخلصت منى .. انها
من ترانى بعد اليوم .. ولكن وكل النباه امرح عنى بكفالة حمسى
جنبها .. وشكرا للباقتى كمحلم .. وعدت الى البيت وأنا اغلى
.. ودماغى تغلى ، ورأسى يغلى ، وقلبى يغلى .. وانهلث عليها
ردلا .. وهى تصرخ :

— طلقنى .. طلقنى .. انت مجنون .. والله لاجننك .. والله
لأوديك فى داهيه ..

— لا .. لن اطلقك .. الآن وقد ثبتت جريمتك لن اطلقك .
سأكون أنا تضامك .. أنا عتابك ..

وفى ثانى يوم جمعت اثاث البيت ، وحبلتها هى واولادى
وافمننا مى حجرة بمكتى ، حتى يكون دانا بجانبى .. فى مشاويل
بدى لأصغعها ، وفى متناول يدى لأركلها ..

ولكنى لم أستطع أن أعمل ..

بدا زبائنى ينصرفون عنى ..

وجلست يوما أفكر فى هدوء .. ماذا أعمل ؟ انى لا اسطيع ان
اطلقها .. فأنا الآن متهم فى حباية شروع فى قتل .. وهى شاهد
الانبت ميبها ، ولو طلقتها فمستكون شهادتها أقوى تأثيرا على
القضاء .. ماذا أعمل ؟ هل أقبل نفسى واستريح ؟ اسى لو قتلت
معى .. لو انتحرت .. فكأنى أؤدم لها ولعشبتها مراشا على جشى
.. هل أقتله هو ؟ انى سأشقى أو قتلته .. او على الأقل سأسجن ..
بؤيد .. واتركها هى تهرح بجسدها ، وتشين به اولادى ..
وذكرائى ..

لم يبق الا حل واحد ..

أن أقتلها ..

وفى هدوء قمت اليها والمسدس فى يدى ..

وانطلقت الرصاصة ..

ورأيتها تحت قدمى ، والدم ينزف من رأسها ..
ونجاة .. احسست كأنى خرجت الى النور .. انزاحت غمابة
من أمام عيني .. وسقطت فوقها ، أقبلها .. وابكى ..
انى لا زلت أحبها ..

ولم أعد أغار عليها ..

وعندما ساقونى الى المحكمة اعترفت .. ولكنى لم اقل انها
خانتنى ..

وحكم على بالسجن المؤبد ..

وأنا الآن فى السجن .. وكل يوم يمر ، تفزاح غمابة أخرى عن
عقلى .. لأزداد تكلدا من أن زوجتى لم تخنى ..

كانت أشرف الزوجات ..

يوصيها الله .. ويرحمنى ..

.. سوى ثيابا مخمة من الحرير الخالى .. وريشى بحلى كثيره من
.. الفات والناس واللؤلؤ .. ثم طافوا بى شوارع المدينة .. وعلى
.. بكرائها .. هو احتفال يسمونه « الزفة » كانت تقضى ..
.. عندنا .. تماما كزفة العروس ..

وعدت الى البيت الكبير .. وكان مقصدا على ان ابقى بين
.. ابيه الى ان انتقل الى بيت روجى ، لولا ان فجر الله البترول فى
.. نفطنا العزيزة .. وانغاض نفسه .. ففتحت المدارس الابتدائية
.. فى نوبة ..



والتحقت بالمدارس الثانوية ..
ولم ارسب ابدأ فى امتحان .. كنت افس على العلم كنى افس
.. الهباء .. كانت السطور تسيل الى عتلى كأنها اشعة
.. شمس .. نفسيته ، وتشعرنى بالدفء .. دماء الشخصيه
.. الحده التي يمنحها العلم لى ..

وخفيت .. اى انتهيت من دراسى الثانوية ، وكنت اطمح فى
الحق بجامعة القاهرة .. ولكن والدى رفض .. ولا نقاش ..
.. من الآباء جريمة عندنا .. وودعت المدرسة .. والشارع والنور ..
.. علقت حلى ابواب السجن ، واننا لا زلت فى السابعة عشرة من
.. رى ..

وبدا الفراغ يزحف على ..

ولم اكن اخرج من البيت الا مع بقية سيدات وبنات العائلة
.. لما ترتدى عباؤها .. ولا نذهب الا الى زيارة مجلة لبعض
.. صلات ..

وحاولت ان ابدد فراغ حياتى بالمساهمة فى اعمال الديب ..
.. فى اى بيت هذا الذى استطيع ان اساهم فى اعماله .. ارج

خلف العباءة

عزيزى احسان ..

اكتب اليك من بعيد .. من الصحراء .. وحياة المهر الواسع
تفسل الرمال .. والسنة الذهب المبعث من آمار البترول تغرد فى
الليل .. وبيتنا فى المدينة بيت كسر ، على الطرز الشرقى القديم ..
جدرانها عالية .. وكل نوافذه تطل على الداخل .. على فناء
متوسط الدار .. وليس فيه شباك ولا ثقب يطل على الشارع ..
وبله ضخ .. كباب السجن .. كتلة من الحشب .. وله فتحة
« صغيرة نسميها « خوخة » ..

والى رجل محوز شرى .. لعله تجاوز السنين .. وله اربع
زوجات .. ابنى وثلاث اخريات .. اثنتان منهم لا تتجاوزان العشرين
من المهر .. واخوتى عددهم اربعة عشر بين بنات وصبيان ..
وكلنا نقيم معا فى البيت الكبير ..

وعندما كنت صغيرة .. فى السادسة من عمري .. اخفونى
الى « المعلمية » اى الى المدرسة .. بمدرسة على الطراز القديم
خاصة بالبنات ، ولا يدرس فيها سوى القرآن ومبادئ الدين ..

وحفظت جزءا من القرآن من ظهر قلب .. وقرائه كله .. ثم
.. « جودت » اى اعنت قراءته .. وعند هذا الحد .. خفيت ..
اى انتهت دراسى .. كاتى نلت الميسانس ، او الدبلوم ..

وعندما « خفيت » ، اخذتنى زميلاتى الى بيت واحدة منهم

زوجات .. وجيش من الصبيان والنات .. انه ليس بيتنا ، انه
تسلاق .. سجن !!

ولم أجد ما افعله الا ان اقرأ المجلات والقصص .. كثير من
القصص .. واستمع الى اغاني عبد الحليم حافظ ، ومريد الأطرش ،
والكامل الحلوى والشيكولاتة .. وأنفَس الفراغ الذى يطبق على
صدري ..

ثم .. سكن فى حيننا ، وفى البيت المقابل لبيتنا ، شباب من
مهاجرى البلاد العربية الأخرى ، الذين ازدحمتم بهم بلادنا بعد
اكتشاف البترول ..

وتحت الحاح الفراغ ، والكنت ، بدأت اطلع اليهم من ثقب
الباب الكبير .. وبدأ كل منهم يثير فى راسى ذكرى قصة قرائنها ،
او اغنية سمعتها .. وانحيل كلا منهم وقد اختطفنى وتزوجنى ،
وعشنا العبر كله فى قصة حب ..

الى ان التقت عيناى بعينى واحد منهم .. ولا ادرى كيف
اعتقدت انه ينظر الى .. وعساه الصارختان بالرجولة ، تأمر
عينى ، مع انى لم اكن انظر اليه الا من ثقب الباب !!
وأحببته .. نعم .. أحببته .. من وراء ثقب الباب !! ..

وكان من عادة أبى أن يخرج بعد صلاة الفجر ، ولا يعود الا
فى الظهر لتناول غدائه .. فكنت أقضى كل هذه الفترة ، وعيناى
ثابتان على ثقب الباب .. فاذا عاد أبى أخذت فى حجرى استمع
الى اغاني عبد الحليم حافظ ومريد الأطرش .. وابكى !
ومفاجأة اكتشفت ان اختى التى تكبرنى - وهى من زوجة أخرى
تحب هى الأخرى واحداً من الشباب الذين سكنوا قبالتنا ، وانها
استطاعت أن تصل اليه ..
وسألناها فى لهفة :

— كيف ؟

— سألت لى :

— أمى ساعدتنى !!

— قلت :

— كيف تساعدك أمك ؟

— قلت :

— لعلها أرادت الا تحرمنى مما حرمت منه !!

واتا .. اتا .. هل أقضى عمري محرومة كما حرمت أمى ..

فى عمري فى هذا الفراغ الى ان أتزوج رجلاً عجوزاً كلبى ؟ !

وساعدتنى اختى ..

أصبحت اندسل معها الى البيت المقابل .. هى الى حبيبها ..

أتا الى حبيبى .. وكنت أحاف .. ارتعد .. ولكن ما لذت الخوف

.. مدد ، يلطم بعد إلا الحب ..

ثم أضلح حبيبى مع حبيب اختى .. وكان الخلاف بسببنا ..

ترك حبيبى البيت الذى يقع قبالتنا ، وسكن فى بيت ملاصق ..

لنا .. الحائط فى الحائط ..

وبدأت حياة جديدة ..

كنت بعد أن يخرج أبى ، أصعد الى سطح بيتنا ، واقفز الى

سطح بيته ، وأتسل اليه هائلة له فطوره وغداه .. وأنظف له

.. وسكبه .. ونقضى لحظات هنية .. ثم أعود عن طريق السطح الى

.. ما قبل أن يأتى أبى ..

وفى الليل .. بعد أن ينام كل من فى السجن الكبير ، أصعد

.. غداة القدمين الى السطح ، واقفز الى مسكن حبيبى .. حتى فى

.. الى الشتاء ، والبرد ، والمطر .. لم يكن شئ يحول بينى وبين

حبيبى .. وعشت .. لم يعد فى حياتى فراغ ! ..

و ذات ليلة .. بينما كنت حائدة من عند حبيبى .. وبعد أن
قفزت الى سطح بيتنا ، وبدأت أنزل السلم المبنى من الطين ..
زلت قدمى .. وتدرجت حتى وصلت الى فناء البيت .. وأنا
أصرخ ..

واستيقظ والدى .. وخرج الى مهرولا .. لم يسأل ماذا جرى
لى .. ولكنه صرخ :

— ماذا تصنعين فى الليل ؟ أين انت ذاهبة ؟ أين كنت ؟
وتمالكت نفسى ، وقلت :

— كنت فى طريقى الى الحمام .. ومر بين قدمى فار ..
فذهبت ، واستطعت !

وصدق والدى .. وشكرا لظلام الليل الذى أخفى آثار سقوطى
من فوق السلم ..

وقضيت يومى .. وأنا أجبن على أن أذهب الى حبيبى .. ولكن
حتى ما لذ أن أصر على جيبى .. وعدت أنسلل وأقفز سطح
البيت اليه ..

وقامت امى ذات ليلة من نومها فلم تجدنى فى فراشى ..
وأعتقدت انى فى الحمام الذى يتبع فى الناحية الشرقية من البيت
بعيدا عن الغرف .. وانتظرت .. وانتظرت طويلا .. ولم أجد
.. فقامت تبحث عنى .. ثم بدأت تنادى بصوت عالى .. واستيقظ
والدى .. ماذا جرى ؟ ..

— أنتك ليست فى فراشها ، ولا فى البيت كله ..

وقامت الضجة .. وبدأوا يبحثون عنى .. وينظرون ..
وتنبهت زوجة أبى الثانية الى انى قد اكون فى بيت حبيبى ..
فدخلت بقية العائلة ، وألقت حجرا على النافذة .. فمذة العرمه
التي تضمنى معه .. وأفتت من نشوتى .. وشعرت بالكأرة ..
والنتظت اثنى مدى الضجة التى تدور فى بيتنا ..

ماذا افعل ؟ .. يا ربى ..
سيقطونى !! ..

وحبيبى بجائى يرتعش .. ولونه باهت .. انه خائف .. وبنا
على منى خرجت .. خرجت من الباب الرئيسى الى الشارع .. امى
بد ان اكون فى أى مكان الا هذا المكان .. مكان فضيحتى ..

وما كنت اصل الى باب بيتى .. حتى خرجت الى زوجة أبى ،
رحبتنى بسرعة الى الداخل ، وهست فى اذنى بكلمات سريعة ..
تسمى بها ما يجب أن افعله .. ثم وضعت على عبايتها السوداء
وتسللت كالشبح الى الحمام الخارجى الذى يقع فى فناء الدار ..

وانتظرت قليلا فى الحمام ، وأنا أرتجف ، وأسبغيد الدرس
.. لى لفتته لى زوجة أبى .. ثم خلعت العباة وخرجت فجأة ..
وأجهت الجميع ، وصرخت فى وجوههم .. وفى وجه أبى بالذات :

— سمعت صياحكم .. ماذا تظنون بى ؟ لابد انكم تظنون بى
سواء ، والا لما أقيم كل هذه الضجة .. هل حرام أن أذهب الى
الحمام ؟ هل من العار أن اضطر الى الذهاب الى الحمام ؟

وظللت أصرخ فى وجوههم .. واستعمل الفاظ بذيلة .. دون أن
أراى احترام أبى ، وهيبته .. والجميع ساكنون .. وأبى ينظر
الى بعين حائرة بين الشك واليقين ..

وانصرفوا عنى .. وحاولت أن اعود الى غرفتى .. ولكن امى
جذتنى من يدي ، وقالت فى همس غاضب :

— لا .. من اليوم ستنامين معى .. وفى فراشى ! ..

وذعرت :

— ولكن يا امى أن ..

وقاطعتنى :

— لقد بحثت عنك فى الحمام الخارجى .. ولم تكونى فيه !!
ومن يومها ، وأنا انام بجانب أمى .. ناحية الحائط .. وأعيش
تحت عينيها .. لا تتركى لحظة املت من رقابتها .. وحسبى خاف
.. هرب .. انتقل من الحى كله .. لا أدرى الى أين ذهب ؟ ..
والبيت سجن كبير .. والعباءة السوداء تغطىنى من رأسى الى
أطراف قدمى ..

لم امد يدى

أنا تعيسة .. أنا سيئة الحظ ..

لا .. لا .. أنا ضعيفة .. أنا غبية ..

لا .. لا أدرى .. لا أدرى ما هو الفرق بين التعاسة والضعف ؟
— لا ما هى العلاقة بين سوء الحظ والغباء ..
ربما كان هناك ناس يولدون تعساء بلا حظ فى الحياة ، وناس
يولدون مستعدين محظوظين ..

وربما لم يكن هذا صحيحا ، إنما الناس يولدون جميعا
سواسية ، ثم يجر كل منهم على نفسه الشقاء أو السعادة ، والحظ
'أو' اللا حظ ، يتصرفاته .. التصرفات التى تعتمد على مدى ذكائه ،
وبمدى قوته .. أو على الأصح مدى قوة إرادته ..

وهذه هى قصتى :

أنا لست جميلة .. ولكنى أستطيع أن أجتذب الرجال ..
لا أدرى كيف .. ربما كان فى شئ يجذبهم الى ، دون تعبد منى
فلم أشك يوما من الحرمان .. لم أشك يوما من حاجتى الى رجل .
وقد خطبت وأنا فى السابعة عشرة من عمرى ..
وكان خطيبى شابا رائعا ، وسيما ، ذكيا ، مرحا ، تفيض كل
فقائق عمره بالحياة .. أن كل دقيقة من عمره تحمل حياة سامة
.. لا .. حياة يوم كامل ..
وكان طيارا .. وأصبته ..

لم يعد يهمنى أنه خطيبى .. لم يعد يهمنى الزواج .. كل ما

يهمنى أنه حبيبى ، كل ما يهمنى اللحظة التى أجلس فيها إليه ..
الأمسة التى نجمع أيدنا .. القلة التى نبادلها .. ولم يحتل حبي
ر يسطر حتى يتم إجراءات الزواج .. كانت ليمة أهدنا على
الآخر جارية .. عارمة .. لا تعليق الانتظار .. فأسلمته نفسى ..
أسلمته نفسى قبل أن تكتب الكتاب ..

ولم نشعر أننا ارتكبنا اثما .. أنه خطيبى .. أنه زوجى ..
به أمه حبيبى .. ورغم ذلك .. رغم اقتناعنا أننا لم نرتكب اثما ..
متد أحمينا الخسر من أهلنا .. لم اقل شيئا لأمى .. بل أتى لم
اتعجل كتب الكتاب !!

ثم .. مات .. سقطت به الطائرة .. هل أنا سيئة الحظ لأنه
مات ؟

أم هل أنا غبية ضعيفة لأتى أسلمته نفسى قبل كتب الكتاب ؟
لا أدرى ..

كل ما أدريه أتى تعذبت كثيرا .. واختلط عذابى بموته مع
عذابى بحالى .. وطال عذابى .. شهور طويلة قضيتها منطوية
أبكى .. أذكره فأبكى .. وأذكر حالى فأبكى ..

ثم بدأت أخرج إلى الحياة من جديد لعلى أنسى .. وبدأ هذا
لشئ العامص الذى أمتاز به بحذب إلى الرجال .. تقدم الكثيرون
إلى .. بعضهم يطلب قلبى .. وبعضهم يطلب يدى .. وكنت
أستطيع أن أختار واحدا منهم ، وأمه تلى .. أو على الأقل أمه
تدنى ..

ولم يكن ما جرى لى يشغلنى .. لم تكن حقيقة أتى لست
بدراء تخيفنى .. أتى أستطيع أن أعترف للرجل الذى يتزوجنى
أى .. على أسوأ الفروض — أستطيع أن أجرى هذه العملية
الحرارية التى بعيدنى مرة ثانية .. عذراء .. عذراء مؤمنة ؟ ..

ولكن .. لم تكن هذه مصيبتى ..
كانت مصيبتى أتى اخترت من بين كل هؤلاء الرجال المزارعين
أدلى ، واحدا ..

اسمه رمزى .. ورمزى تبطى .. وأحبته ..
أحبته بهوس وجنون .. أحبته أكثر مما أحببت خطيبى ..
" .. ليس أكثر .. ولكنه نوع آخر من الحب .. حب أكثر نضوجا ،
وأكثر قوة .. وأكثر عنفا .. حب غناء ليست عذراء ..
هل أنا سيئة الحظ أن حبيبى تبطى ، وبنى وبينه حائط عال
بحول دون زواجنا ؟

أم أنا غبية ضعيفة ، لأتى لم أغلق قلبى دونه ، ولم أقاوم حبي
تدل أن يتمكن منى ؟ لا أدرى ..

ولكن .. نسقت فى حبي إلى آخره .. كان إحساسنا يتحدى
المجتمع ، يحدى التساوسة والشيوخ ، وتحدى الآلام السنين من
التقاليد .. كان هذا الإحساس دلتحدى يزيد حينا وهجا وعنف ..
وكان هناك دائما أمل .. أمل فى أن يعلن إسلامه ويتزوجنى ..
ومرت خمس سنوات ، والأمل يتجدد كل يوم .. ولكنه لا يعلن
إسلامه ويتزوجنى ..

لقد كان يحنى ، وكان متحررا ، وكان يريد أن يعلن إسلامه
علما ، ويتزوجنى فعلا .. ولكنه كان يخاف على أبيه وأمه من أن
تتلهاا الصدمة .. وربما كان أعجز من أن يقتلع من صدره صفة
انصقت به منذ ولد ..

وتعبت .. تعبت من هذا الحب .. وتعبت من السنة الناس
التي تلاقتى .. ومن ضغط أمى وثورتها التى تلقبها فى وجهى ..
وتركة .. تركته فعلا ..

وكاد .. وكاد .. أصيب فعلا بحالة عصبية كأنها الحنن ..
وارسل إلى كى أعود إليه ، وأقسم أنه سيتزوجنى ..

وعدت اليه .. ولكننا ما كنا نلتقي حتى عدنا الى خلافنا من جديد .. يبدو اننا لا نستطيع ان نقدر مدى التصاق الدن منا الا عندما نفكر في التخلي عنه .. تهما كما لا تحس باننا عرايا الا عندما نهم ان نخلع ثيابنا ..

ولم يستطع ان يخلع دينه ..

وقررت مرة ثانية ان اتركه .. وتركته فعلا .. -

وقبل ان تجف دموعي تقدم اليّ رجل آخر يخطبني ..

وكان يجب ان أتزوج .. أتزوج اى رجل ، حتى احمى نفسى من ضعفى ، راخف من حياتى عذاب فشلى ..

ولكن محمود لم يكن اى رجل .. انه رجل كامل .. هادى ، محترم ، راجح العقل .. يتكلم فتتح أسير منطلقه ..

التقيت به فى جلسة عائلية .. ولم احبه .. ولكنى ارتحت اليه ..

وخرج يُسأل عنى .. انه كبقية الرجال المحترمين لا يتزوج الا بعد ان يسأل ، ويجمع المعلومات ..

وقال له للناس .. لا تتزوجها .. انها فاسدة .. انها ليست هذراء .. انها تحب شيئا قطعا اسمه رمزى .. و .. و .. وحتى احتى وتفت ضدى .. قالت له عنى اكثر مما قاله الناس ..

ورغم ذلك عاد اليّ .. قال لى انه يريد ان يتزوجنى رغم كل ما سمعه عنى .. ولكنه فقط يريد ان يسمع الحقيقة منى ..

وقلت له الحقيقة .. كل الحقيقة ..

قلت له انى لست هذراء .. وانى عشت مع رمزى خمس سنوات ..

واخذنى راسه واخذ ينظر فى يديه طويلا ، ثم رفع عينيه اليّ .. لطمهما على وجهى ، وسمعته يقول فى صوت عميق :

— لا يهمنى جسدك .. لا يهمنى انك لست هذراء ، او انك كنت رجل آخر .. كل ما يهمنى هو ان اعرف .. هل لا زلت تحبين هذا الآخر .. هل لا زلت تحبين رمزى ؟

وارتبكت .. احسست انى لا استطيع ان اجيب على هذا السؤال .. انى اعرف بصمات الحياة على جسدى .. ولكنى لا اعرف بصمات الحياة على قلبى .. لا اعرف اذا كنت لا زلت احب رمزى .. ولا اعرف اذا كنت استطيع ان احب محمود ..

وقلت وانا اخفى عنه عينى :

— لو تزوجت .. غلق انى استطيع ان اكون زوجة مخلصه .. قال وصوته يزداد عمقا :

— اخلاص الزوجة بجسدها .. سهل .. والصعب هن ان تخلص قلبها وروحها .. وانا اريد الصعب .. اريد ان اتأكد من ان قلبك وروحك اصبحا لى ، انى أتزوج قلبا وروحا ..

وعنت الى ارتباكى .. انى لا استطيع ان اعده بقلبي وروحي الا اذا كذبت عليه ..

وكذبت .. قلت وانا اشعر بدمائى تصهر وجنتى :

— انى لم اعد احب رمزى .. بل انى اكرهه .. لقد خرج من حباتى ..

قال :

— كيف اصدق .. لقد عشت فى حبه خمس سنوات فكيف تنسينه فى خمسة شهور ؟

قلت :

— ربما بدأت انساه قبل ان اتركه .. اننا فى المام الاخير كنا نعيش كغريبين ..

قال :

— كيف أتأكد ؟

قلت :

— لا أدري .. ليس لقلبي دليل مادي أستطيع أن أقدمه لك ..
كل ما أستطيع أن أقدمه لك هو أن أتزوجك ..
ولم يكف عن النقاش ..

ومضت أسابيع طويلة وهو لا يكف عن النقاش .. ولم يكن
يذكرني بجسدي .. لم يكن يلومني لأنني لست عذراء ، أو لأنني
أعطيت نفسي لرمزي .. كان كل ما يريد أن يتأكد منه ، هو أنني
أحبه ، أو على الأقل أنني لا أحب غيره ..

وكان يعذب .. يتعذب بحيرته وشكوكه !

أنه يحبني .. وأنا .. لا أحبه ، ولكنني أستريح له ، واحترمه ،
وأريد أن أتزوجه ..

ولم يكف محمود بنقاشي بل ذهب ليناقش رمزي أيضا !
سأله :

— هل لا تزال تحبها ؟ ..

وكذب رمزي .. أنكر أنه لا يزال يحبني .. وأصر على الإنكار ..
أصر إلى حد أن ثار محمود في وجهه وانهمه بالنذالة ،
والسفالة .. وصرخ في وجهه :

— كيف تعيش مع فتاة خمس سنولات ثم تذكر أنك لا تحبها ..

ورمزي لا يزال يصر على الإنكار ..

ربما جبنًا منه .. ربما لأنه خاف من محمود ..

وأخيرا .. وأخيرا خرج محمود من حيرته وتزوجني ..

وشعرت لأول مرة في حياتي بالاستقرار .. شعرت لأول مرة

أني بيتا .. وأن لي رجلا .. وبدأت أتمنى أن يكون لي أولاد ..
وبذلت كل ما أستطيع لأسعد محمود ..

أنني لا زلت أحب رمزي .. أني لا أستطيع أن أنكر هذا الحب ،
في أفئدة .. أفئدة بكل أرادتني .. لم أحاول أن أتصل به بعد
أحي .. وكنت أشغل نفسي عنه طول يومي بأعمال البيت ..
بمأكدة أنني خلال شهر سأنساه .. سبيرا منه قلبي ، وتبرا
روحي .. وبعد ذلك أستطيع أن أحب محمود .. أحبه بكل قلبي
روحي .. ومحمود سعيد ..

ومن خلال سعادته ، أحس أنه يراقبني .. يراقب قلبي وروحي
لأنك أنتما أصبحا له ..

أني ان كان يوم ..

كان قد مضى ثلاثة شهور على زواجنا .. وكنت واقفة في
المطبخ أعد الطعام ، وعقلي سارح وراء قلبي .. وراء حياتي كلها
.. وراء ذكرياتي .. ذكرياتي مع رمزي ..

وعاد محمود من عمله ..

ودخل دون أن أشعر به ..

وتسلل على أطراف أصابعه ووقف خلفي ، وأنا أمام الموقد
أبي سارح وراء قلبي ، ثم لف ذراعيه حولي ..

— أياه ده يا رمزي !!

وخرست مرة واحدة !!

خرست وقد شعرت باسم « رمزي » يكوي لساني ..

وأرخت محمود ذراعيه عني .. ووقف ينظر إلى وفي عيني
ر .. ثم انهارت عيناه ، وانهارت كل ملامح وجهه ، ونكس

رامسه .. واستدار لى وخرج فى خطا بطيئة .. كأنه يمشى فى جنازة ..

وانا واقفة .. عيناى مضمورتان .. وشهقة تشق قلبى .. وإطرائى ترتعش .. ثم جريت وراءه وأنا امرخ :

— محمود .. محمود .. ولكنه لم يلتفت الى ..

خرج من البيت .. وأنا امرخ واثد شعرى .. ثم انكفأت أنكى ..

وفى اليوم التالي .. وصلتني ورقة الطلاق ..

★★★

هل انا سينة الحظ لأن اسم حبيبى السابق انطلق على لسانى رغم ارادتي !!

ألم أنا ضعيفة غبية لأنى تركت عقلى بمرح وراء قلبى - وتركيت لسانى يفلت ملى ..

لا أدري .. كل ما أدريه انى لا زلت أبكى ..

وانى أحب محمود .. ربما لم أحب أبدا - قبل ان أحب محمود ..

رجل ينفخ البالونات

سأب هوأيته : صناعة الأسماء الكبيرة .

انه منان .. مخرج سينمائى « وصاحب شركة اسماح » وأحيانا يكتب القصص ، وأحيانا يرسم ، وأحيانا يؤلف قطعاً موسيقية .

.. طلت هوأيته الأولى : صناعة الأسماء الكبيرة ..

.. يس يخلق فى كل وجه يقابله .. وجوه بائعات الياصص ، وجوه الخائجات ووجوه قنيت الكومبارس ، ووجوه الطلبة ، طالبات .. و .. و .. يخلق فيها بعين خبيرة ، كأنه ... عن قطعة من القماش يصنع منها ثوباً جديداً .. نادا وحد .. مع القماش وصع كل منه .. كل حسنه .. كل ما يملك .. حنى .. من منها نعمة أو نهما سينمائيا مشهورا .. ذا اسم كبير !

ولم يكن يلص الوجه الجديد أصول المي وحده .. كان يلقنه .. د نفسها .. كان يعلمه كيف يأكل ، وكيف يتكلم ، وكيف .. كان يخلق له شخصية جديدة يواجه بها الناس ..

حسية من صنعه هو ..

لقد عرفته عندهما البقط إحدى الخانات .. كان يدخلها بنفسه الى الحمام ، ويقف على الباب الى أن تستحم .. ثم يصحبها الى لاني والحياطة .. ويجلس أمامها وهي تأكل ، ويعلمها كيف عمل الشوكة والسكين .. وكيف تقفل شفيتها وهي تبضع .. وكيف ومنى تتكلم .. ثم يلى لها بمدرس ليعلمها اللغة الفرنسية أو الإنجليزية .. ويختار لها الكتب التى تقرأها .. و ..

انه يخلق شيئا جديدا .. انه ينفخ من أنفاسه روحا من الجسد الذى احتاره ..

ولم يكن يريد شئ من الأسماء التى يصنعها ..

هـ لم يحدث مرة أن قامت به وبين بنت من البنات اللاتي يصنعن .. علانة عرابية .. ولم يحدث أن استغل أسما من الأسماء الكبيرة التى حقها من ملهم من أفلامه .. بل كان دائما يعطى أحرا على العمل من أفلامه أكثر من الأجر الذى يعطيه أى مسج آخر ..

كان كلما يريده هو أن يتباهى بالشئ الذى خلقه ..

كانت كل سعاده أن ينظر الى الاسم الكبير المعلق فى اعلانات الحائط .. ويهمس : هذا من صنعى .. وعاش هكذا طويلا ..

كان كپائع البلونات ، ينفخ فيها أنفاسه حتى تكبر .. وتكبر .. ثم يعلقها بخيط يقبض عليه بيده ، ويدور متباهيا بين الناس .. هذه البلونات كبرت بأنفاسه !

وأحيانا كانت تطير بالوبة سعدا عنه .. فينظر اليها وهى تحلق فى السماء .. جوعا ملهوعا .. كالطفل .. ويتعذب .. يكاد يبكي .. كان لا يصدق أن هذه البالونة تستطيع أن تعيش بغيره .. كيف يستطيع وهى تحمل أساسه .. ورغم ذلك تفسخ البالونات عاثت دميته .. ظلت ملقطة فى السماء .. صحيح أن بعضها سقط ، ولكن البعض الآخر ظل معلقا !!

ثم كان يعود الى هوايته .. صناعة الأسماء الكبيرة ..

ورأيته وقد التفت طالبة مجبولة .. كانت انشانة ضائعة الشخصية .. ربما كانت ذكية .. ولكنها كانت ضائعة .. لا تدري ماذا يمكن أن تكون .. ماذا يمكن أن تصنع فى الحياة ..

وبدا الفنان يزيح عن شخصيتها الضياع ، ويمسح الأتربة عن

تبا وعلمها .. وينفخ فيها حتى كبرت .. وكبرت .. أصبح لها كبيرا ..

وعرج بها .. كلن مزهوها ..

ومجد .. وثقت سعداء .. صرخت :

— سأحرر منك ..

قال حزعا :

— مسجرك .. أنك لا تستمعين أن سحرى من نفسك ..

وأنا نفسك ..

وصرخت :

— أنت لا شئ .. أنا أكبر منك ..

مال فى هدوء :

— أن الله لا يصنع شئنا أكبر منه ..

قالت :

— أنت مغرور .. أنك لست لها .. أنت تجربة .. مجرد

جربة استغدت منها .. أنت عكاز استندت عليه عندما كنت ضعيفة

.. ولست الآن فى حاجة الى عكاز ..

وصرخ :

— سأحطبك ..

وصرخت وعيناها فى عينيه :

— لن تستطيع لأنك لست لها .. جرب أن تحطمنى .. وسأعلم

أنك لست لها ..

وطارت البالونة .. طارت بأنفاسه التى نفخها فيها ..

ولم تكف بأن تتحرر منه ، بل أخذت تحاربه .. تحاربه فى

منه .. وفى سمعته .. بدأت تحاول تحطيمه ..

ووقع صريع حالة نفسية عميقة .. انه لا يستطيع أن يحاربها

كما تحاربه .. انها من صنعه ولا يستطيع ان يتبرا منها ..
لا يستطيع ان يفرح الى الناس ويقول لهم انه صنع شيئا تذكرا ..
يا ناس ، انتهزوا .. لا يستطيع .. انه يريد ان تبخروا دائما جبهة ..
.. هائلا كبيرة .. دائما محبوبة .. لانها من صنعه ..

ولكنها تحاربه .. تتجرا عليه .. تنهشه ..
ومراة مع نفسه يشتد .. ويكاد يقضى عليه ..
وقلت له :
— الحق عليك ..

قال :
— كيف ؟ ..
قلت :
— لانك لم تكن تنظر اليها ، بل كنت تنظر الى نفسك ميبا ..
ولم تكن تعجب بها ، ولكك كنت تعجب بـصنعك !

قال :
— انها لا تستطيع ان شكرنى من وجودها ..
قلت :

— انها فى حاجة ان ينظر اليها كما اصبحت ، لا كما كانت
وانت كنت تراها مجرد طالبة مجهولة .. كنت كالأب الذى يرى
اولاده انهم فى حاجة ان يعاملهم كبار .

قال :
— انى اكثر من أب .. انا الذى خلقتها .. انا ربها ..
قلت :

— لا .. انت مجرد فنان .. والفرق بين الفنان والآله ..
فى فضل الفنان على عمله ينتهى بمجرد ان يفرغ منه .. اما الآله
فمنظّل صلته قائمة بينه وبين خلقه ، يأمرهم ، ويحدد مصائرهم .
وسيدهم ليستعدهم الله ..

قال :

— انى لم اطلبها بأن معدنى .. فقط تعترف بفضلى ..
قلت :

— انها لن تعترف بفضلك الا اذا اصبحت اكبر منك ..
دائم تصرف لك بالفضل فانت لا زلت اكبر منها .. واحد الله ..
قال :

— اك لا تدري ماذا صنعت لها .. لقد كانت بالونة فارغة ..
.. ونفخت فيها من انفاسى حتى اصبحت كبيرة كما تراها الآن ..
قلت :

— انفاسك هواء .. والنفاس ترى بالونة ولا ترى الهواء ..
اجنبا ..

قال يائسا :

— حساره ..

قلت :

— اك لم تخسر شيئا .. لانك ممان .. ولانك فنان تستطيع
ان تصنع بالونة اخرى ..

قال :

— لتطير منى ؟ !

قلت :

— لتطير منك .. لئلا السواء بالونات ..

وسكت .. سكت شهورا ..

ومدا تمنحنى بالونة اخرى ..

المنان بحيرة الخجل ، كانها فتاة صغيرة فوجئت بسؤال يفتح
.. ثم سكنت .. لم ترد على سؤالى ..

عدت الح عليها ، واسألتها :

وهل احبته قبل ان تتزوجيه ؟

وسكنت وهى تتهد ، وظل ابتسامة يطوف حول شفتيها ..

انى انوس اليها :

— طنط .. لا تبخلنى على .. انك لم تعودى على البخل .

— وما عندها بتحدث عن المرحوم ..

وتالت زينب هاتم فى صوت هامس كانها تحدث نفسها :

— لا .. لم احبه قبل الزواج .. ولم اره قبل زفانى اليه ولم

.. اساقى السنوات الاولى من زواجنا .. مضى اكثر من خمس

.. ات وبتزوجة له .. يلا حب .. ثم احبته .. احبته الى حد

.. لم اعرف من عمرى يوما لم احبه فيه ..

وسألتها فى لهفة :

— كيف .. ؟ احكى لى يا طنط ..

ونظرت الى كانها معذرنى فى لهفتى ، وهى معلم انى كاتب

.. مى .. ثم اطلقت عينها خارج النافذة كانها تلتقط ذكريات من

.. .. بدأت تتحدث فى صوت خفيض هامس .. كانها تعترف

بمعرف لربها ، أو لزوجها ..

— لقد وضع زوجى نظاما غريبا لحبائنا منذ اليوم الاول

.. اجنا .. كان يخرج من البيت فى الساعة الثامنة صباحا تلبس

ويذهب الى الوزارة ، ويخرج من الوزارة فى الساعة الثانية

من الظهر ، ويتجه مباشرة الى النادي ، ويناوول غداءه فيه ، ثم

.. مع اصديقه حتى الساعة الثانية عشرة .. منتصف الليل ..

.. الساعة الثانية والنصف ، اسمع صوت مفتاحه بدور فى قفل

بلا مطبخ

عرفت زينب هاتم منذ كنت طالبا فى الجامعة .. انها عامة
ربلى فى الدراسة محدوح عاصم ، وكان يقيم معها منذ توفى
زوجها ، وتركها بلا اولاد ..

كنت اناديها .. طنط زينب ..

وكنت ارتاح للجلوس معها .. كنت احس بجانيها كان الدنيا
تلتها هادئة .. وكان الناس كلهم طيبون .. وكانت تنقلنى
.. مسامتة الحلوة ، وعينيها الحاليتين ، وشعرها الذى اختلط فيه
البياض بالسواد ، وحديثها المنع ، تنقلنى الى عالم قديم .. عالم
غير عالمنا .. عالم تقوح فيه رائحة بخور معطر ..

وكان اغلب حديثها عن زوجها المرحوم .. لا تكف ابدا عن
الحديث عنه .. ان كل ما حولها ، يذكرها به .. وكل موضوع
مثير الحديث ينقلها اليه .. وكانت عندما تتحدث عنه الملح فى
عينها لمة قوية كانها استردت كل شبابها .. وكانها تحاول ان
تخترق الحجب معينها لتصل اليه ونراه ..

وقد بلغت الأربعين من عمرى ولا زلت اذهب اليها كل اسبوع
مرة ولا زلت اناديها .. طنط زينب .. واجلس معها ، واستمع الى
حديثها .. حديثها عن زوجها .. وارى اللمعة القوية منطلق
.. منها .. وفى مرة قلت لها :

— انك لم تحدثينى ابدا عن قصة حبك للمرحوم ..

ورفعت طنط زينب عينيها ، ثم أرختها ، وقد تضرجت وجنتها ،

أنياب .. ويدخل الى ! ولم اعترض على هذا النظام .. لم يكن لي حق الاعتراض ..

ثم انى لم اكن اريده ، او اريد منه شيئا ..

« واصبحت بعد ان يخرج زوجى فى الصباح ، اذهب الى والدنى ، واخى معها ، الى ان اتناول طعام الغداء .. ثم اعود الى البيت فى الساعة السادسة مساء .. وانتظر زوجى .. لم يكن يبنى بيتا .. كان مجرد لقاء بينى وبين زوجى ..

وكان بيتى يبدو غريبا بين البيوت الأخرى .. لم يكن فيه مطبخ .. أعنى أننا لم تكن نسعمل المطبخ .. لم يكن عندنا طماح ولم تكن نطهو طعاما .. حتى أن صديقتى كن يطلق على لقب « الست التى من قير مطبخ » !

وعمرت الشهور وأنا محتلة هذه الحياة دون أن أضيق بها .. بل ربما وجدت الله على تحررى من مسئوليات زوج يشغل كل وقتى بطلابه .. ولكنى شيئا فشيئا بدأت أحس بالملل والضيق .. خصوصا وقد مر عامان دون أن اتحب أطفالا يملئون بيتى بالحياة .. وكان أول ما شعرت به هو مطنخى .. المطبخ الصامت التنظيف الذى لا يضح بصوت بوابير الجاز ، ولا تفوح منه رائحة السمن والتقلية .. وقد حاولت أن أبعث الحياة فى مطنخى .. كنت ادخل اليه انا وخدامى نعمة ، وأخاوب ان اطبخ .. وكنت اطلع فعلا .. ولكن ما قيمة ما اطبخه ما لم يقدم لرجل يتوقه !

وبئست .. وعدت اتناول غذائى عند والدنى .. ولكنى اتجهت بحباتى اتجاهها جديدا .. اخترت نوعا جديدا من المصداقات .. نوع اشتهر فى ضاحية مصر الجديدة بالمرح والمغامرات .. وأصبحت اتضى معهن كل وقتى .. اتناول غذائى معهن ، وأسهر معهن حتى الساعة العاشرة .. وأحيانا الى الثانية عشرة .. وأحيانا

د الى البيت بعد عودة زوجى .. فلا يحاسبنى .. فقد كان مطبخنا .. مطبخنا الى صديقتى .. وفى احدى هذه الليالى تعرفت لمطرب الذى كان معروفا على ايامنا .. الأستاذ ابراهيم عزوز .. ولا ادرى ماذا حدث لى .. ولكنى وجدت نفسى انساق به .. ثم انساق مع همساته .. ثم انساق مع ضغطه يده على ..

وعمرت .. صديقتى سر الاعجاب المتبادل بينى وبين الأستاذ .. ولكنه كان مجرد اعصاب .. وربما تطور الى شيء أكثر مللا من الاعصاب .. ولكنى بقيت حريصة على أن اكون زوجة لطيفة مخلصه لزوجى .. لم يكن بيتى وبينه أكثر من هذه الهمسات اللسلسات التى يتبادلها فى السهرات ، خفية عن العيون التى حططنا بحالى أن قال لى ابراهيم مرة :

مشر حاسمزمبى عندك يا رينب هانم ؟

ملت دون أن أعنى ما أقول ..

— اهلا وسهلا ..

قال فى مساطرة :

— بكره حاجى انغدى عندك !

ورنت فى اننى كلمة « الغداء » .. رجل سيفدى عندى فى الذى لم يتناول فيه رجل من قبل طعام غدائه ..

وقبلت ان ادعوه الى الغداء .. احسست كائى اشترى الحياة ..

ولم يكن ابراهيم يعرف ظروف حياتى ، ولا النظام الذى نعيشه .. انها دما نفسه وهو يعتقد انه سيقابل زوجى .. وكان من .. ان يقابل أزواج كل السيدات حتى عشيقاته !!
وصحوت فى اليوم التالى مبكرة .. ربما لم أم طول الليل ..

وله اقل لزوجى عن دعوتى للأستاذ ابراهيم .. انما انتظرتة الى ان
خرج ، وجريت الى المطبخ .. وارسلت الخادم يشتري الطعام ..
وامنيت نفسى اننا ونعيمة فى طبخ اشتهى طعام يمكن ان نطبخه ..

• وجاء الأستاذ ابراهيم .. ونجىء عندما لم يجد زوجى ..
ولأنه لم يهنم .. وجلس معى الى المائدة .. لأول مرة اجلس مع
رجل على مائدتى فى بيتى .. ولأول مرة احس ببيتى .. واحس
انى زوجة .. زوجة من ؟ لا بهم ؟ .. المهم انى زوجة ..

واصبح ابراهيم يتناول غداءه فى البيت كل يوم ..
واستأجرت طباطا .. قلت لزوجى اريد طباطا .. فلم يعرض ..
ولا حاجة لى لأن اقول لك .. انى انسقت مع الأستاذ ابراهيم
الى آخر الطريق .. زوجة خائنة .. ولكنى لم احسبه .. كل
ما احببته فيه انه رجل يتناول غداءه فى البيت .. بيتى !

ثم .. حدث يوما أن كنت جالسة مع ابراهيم فى صالون
البيت بعد تناولنا الغداء .. نتحدث فى هدوء واطمئنان .. وكيف
لا نطمئن وزوجى لا يعود الا بعد منتصف الليل .. ولم يحدث مرة
أن أخلف موعده ..

ولكن .. نجاة .. وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر — سمعت
صوت المفتاح يدور فى القفل .. انه زوجى ..

ولا ادرى كيف اعانى ذكائى ، وشجاعتى على التمرد ..
واكنى دفعت ابراهيم دفعا الى باب المطبخ لحرّح منه .. ثم هربت
لاستقبال زوجى عند الباب .. ولكن ابراهيم كان قد خلع سترته
وتركها على المتعد الذى يجوار الدب .. محطت فوقها على المقعد
بسمعة ، واستقبلت زوجى ، وانما جالسة .. فوق سترة عشتقى !
وربما كنت ارتعش ..

ربما كانت رموشى تهتز فوق عيني .. ربما كان صدرى يتهدج ..

• زوجى صامحنى مبتسما ، ثم خلع طربوشه وتركه على
الحب المجاور للباب فوق المتعد الذى اجلس عليه .. ثم ادار
: ودخل الى غرفة النوم .. وهو يقول :

— لانا نسيت المحفظة بناعتى واننا نازل الصبح ..

وانطرت الى ان دخل غرفة النوم ، ثم قمت من فوق سريره
سقى ، واهرت نعيمة الخادمة ان تصلها الى الأستاذ ابراهيم
الاطر فى اسفل سلم المطبخ ..

ثم جريت وراء زوجى ، الى غرفة النوم ..

واخذ زوجى المحفظة ، ثم سادل معى كلمتين .. وهم بالخروج
دا الى النادى .. وعند الباب بحث عن طربوشه .. لقد اخطئ
الطربوش ..

واندركت ما حدث .. لقد اخطأت نعيمة ، وظننت فى ارتباكها
انه طربوش الأستاذ ابراهيم ، فحملته اليه مع السترة ..
وارتبكت ..

ولا شك ان الارتباك قد بدأ واضحا فى عيني ، وفى رعشة
سدى ، ولعنية لسانى .. ولكن الابتسامة لم تستطع من فوق
سقتى زوجى .. ظل ينظر الى طويلا .. دون أن يتكلم .. ثم
خرج ! .. وقصصت اتمس ايام عمرى ..

ولم اخرج من البيت ليلتها .. بقيت فى انتظار زوجى ، وقلنى
سرب ضلوعى كانه يصفى ، ونكائى ينشط بحثا عن دماغ يمكن
ارويبه له اذا فاتحنى زوجى فى حكاية الطربوش .. وعاد زوجى
فى موعده تماما ..

ولم يذكر شيئا عن الطربوش .. انما أخذ يتحدث معى كمادته :
ربما كان لينها اكثر اقبالا على ، واكثر رقة من عادته .. الى

ان فاتحته انا من حكاية الطربوش .. وقتت له انه كان قد وضع من
على المشجب ووجدناه تحت الأريكة .

ولم يد روجي اهتماما .. وفي صباح اليوم التالي ، وقبل ان
يخرج ، اسدأر الى ، ولمسكنى من كتنى فى رقة . وقال باسم :
— انا جاتعدى هنا النهارده يا زوزو .. املى افكرت ان
عددا طباح !

وخفق قللى .. وشعرت بوجنى يضجان باللب ..

وقبلنى فى جبينى قبل أن يخرج ..

وأحبته !! وعاد ليتناول عداه ..

كل يوم يتناول عداه معى .. فى بيته .. لقد عرفت الآن
روحة من انا .. انا زوخته .. واحسنه !!

هذا البريق

اسمى : عباس محمد ..

وهو كما ترى اسم عادى . كالقرش المسوح .. ليس له
، ولا يثير انتباهك ، ولا يجر حتى اسمك اذك .. انه مجرد
اسم من ملايين الاسماء .. اسم ، والسلام !

وشكلى ايضا .. مجرد شكل عادى .. لى عينان ، وانف .
.. لا ينقصى شىء .. ورغم ذلك مادام مررت فى ، مانك لا تكاد
أتى .. كأن لى شكل .. كتنى لست موجودا .. فليست
.. بدا حتى تفق وتشفق على من قبيضى .. وأتقى لى كبيرا
.. ملتويا كأنف اللاباشو ، حتى تفق وتضحك على .. وليست
.. سيما كتجوم السيما ، حتى تفق وبمتع عينيك بوسائى ، وتعجب
.. او تغار منى .. انى مجرد شكل .. مجرد رقم من ملايين
ارقام ..

وشخصيتى كذلك .. لا تثير اعجبك ، ولا تثير احقارك ..
.. منى فبك شيئا ادا .. فاذا جيسست مع اصدقائى فهم لا يباذون
.. فليست تقبل الظل . وليست سخيفا .. واذا غبت عنهم
.. يصدقوننى ولا يسألون عى . فليست حنيف الدم . وليست محدثا
.. حتى يحسوا بغيبتى ..

وذكائى . ايضا .. لست لامج الفكاه ، وليست غيبا .. وفى
مع مراحل الدراسة لم يكن ترشى بين زملائى الأول .. ادا ..
.. يكن ترشى الأخير .. ان مكانى دائما حيث لا اثير اثناء أحد
.. السابع عشر ، أو الثامن عشر ، أو التاسع عشر ، فى ترتيب
الاجئين .. وحتى فى الألعاب التى هويتها كنت واحدا والسلام

.. كنت احب ان لعب كرم القدم ، وكنت انضم الى فريق الكرة في كل مدرسة انضلتها ، ولكن لم يحدث مرة ان اصبت المرمى ، كما لم يحدث ان اخطأت في اللعب ولكن لم يحدث ان صنف لي الجمهور .. ارسفر لي ..

واخلاقى .. انك لا تستطيع ان تعتبرنى فاضلا ولا ان تعتبرنى سائلا .. انى اشرب الخمر ، ولكنى لا اسكر .. واغازل الفتيات ، ولكنى لا اهدل البهن .. و ..

هذا هو انا .. انى اعرف نفسى جيدا .. وصديق معد هذا انى .. مان ..

رسمام .. وقد هويت الرسم من صغرى .. وكسبرت معى هوايتى .. وكنت ارسوم كثيرا .. كنت ارسوم شجرة مثلا .. وتظنر اليها فتعرف انها شجرة .. ليس فيها شيء ناقص .. للفروع متكاملة ، وارقاتها مرسومة ورقة ورقة بكل ما فيها من تفاصيل .. والالوان ليس فيها خطأ .. ورغم ذلك فلم يكن احد يبهير بما ارسمه .. كانوا يكتفون بابتهامة صغيرة ، وكلمة تشجيع .. وتبقى عيونهم مغلقة ، ليس فيها دهشة ولا انبهار ..

وكنت اترى ما يتصنى .. يتصنى هذه اللبحة التى يتميز بها الفنانون .. هذا الطريق الذى ينطلق من نفس الفنان ويسرى في المسكة بالفرشاة .. كان يتصنى هذا الطريق لاكون واحدا من كبار الفنانين .. ماياكل انجلو .. رومئلى .. يوسف كامل .. محمود سعيد .. جبال تطلب ..

وقررت ان اقضى حياتى كلها بحثا عن هذا الطريق .. والتحقنت بكلية الفنون الجميلة .. وقبلونى بين طليعتها ، لانهم لم يستطيعوا ان يرفضونى .. لا لانى اثرت اعجابهم ..

وفى هذا الوقت سكنت سنيّة مع عائلتها في الشقة التى تعلمو نسقنا في الدور العلوى .. ففأة لم تتم تعليمها .. يبدو عليها

ماء .. وبدأت تتردد علينا لزيارة اخنى .. ورات لوحاتى لأول مرة ، فاذا بها تصيح :

— الله حلوه قوى يا عباس .. انت مدهش !

ونظرت في وجهها .. ولحمت فياها .. ولم اقتنع برأيها .. بمقامه .. لعلها جاهلة .. ورغم ذلك مان صيحتها اثارت لأول مرة موج من الغرور الحانت الضئيل .. غرور لم يستطع ان يقنعنى بلانى لامع ..

واصبحت اذهب الى الكلية كل يوم .. واعدت الى البيت لارسم .. واركر سنيّة الفنية .. الجاهلة .. تبدى اعجابها بما ارسمه ..

واهتمت اهتماما كبيرا بدروسى .. اصبحت اعرف كل شيء من مئون الرسم .. واصبحت ارسوم لوحات ، لا يمكن ان تجد فيها خطأ واحدا في الناحية الفنية .. والتكنيك .. ورغم ذلك فلم يكن بها لوحة واحدة تثير اعجاب اساتذتى او زملائى .. او تثير نقدا .. فكر ان يواحيونى به .. لم اسمع من واحد منهم هذه الصيحة التى اسمعها من سنيّة .. فقط انبسامة صغيرة .. وكلمة تشجيع .. عيون مغلقة ليس فيها دهشة ولا انبهار ..

ثم .. ثم اصبحت سوسن ، زميلتى في الكلية .. ولا تسألنى كيف احسها .. لقد وجدت نفسى ذات يوم احبها ، ربما لانها دت محوى من الاهتمام ما لم اجد من اى فتاة اخرى .. وربما لان اهتمامها مجرد مجاملة ، تنبع من رقتها ، واحساسها بالمرهف .. ولكنى لم اشعر وقتها انها تحبلى .. وتركت نفسى احبها .. راسيت بالحب .. وخيل الى انى على وشك ان اكون انبسا حبيدا .. انسانا هاما .. ان في صدرى مواطن واحاسيس واحدة غنية ، لم تكن في صدرى من قبل .. ولعل هذه المواطن والاحاسيس تسرى في فرشائى فاستطيع ان ارسوم اللوحة التى اظن ها .. اللوحة التى تثير للبهرة والدهشة ..

وأصبحت أرسم كثيرا .. أتف أمام لوحاتى حتى الفجر .. ثم انمار من بعيد ، فلا أجد فيما رسمته شيئا جديدا .. وترى سوسى اللوحة وتقف أمامها طويلا ، ربما مجاملة لى ، ثم لا أجد فى عينيها شيئا من الانديار والدهشة .. عينان مملتان ، وانسانة صميرة وكلمة تشجيع ..

مقط سنية ، هى التى تصبح من الدهشة أمام لوحاتى ..

ومرت شهور .. وأنا أعيش فى حبى الموهوم .. وتجاهة اكتشفت شيئا لم الحظه من قلبى .. أن سوسى تحب عبد الرؤوف المم طلبة الكلية فى الرسم .. كل الطلبة يعرفون انها محبه ، واما آخر من عرفت .. وعرفت لماذا تحبه .. لأنه المم الطلبة .. لأنه فنان ذو بريق ينعكس على لوحاته .. وكما تحب بنات الكليات الأخرى أبطال الرياضة ، فان الممات فى كليتنا يقعن فى غرام أبطال الفن ..

وكان يجب أن اكون بطلا فى الفن ، اذا أردت أن تحبنى سوسى ..

وبدأت أتف أمام لوحات عبد الرؤوف لاكتشف كيف أصبح مطلا .. أن لوحاته مليئة بالأخطاء الفنية .. انى استطع أن أشد فى كل لوحة الى أكثر من عشرة أخطاء .. ورغم ذلك مان البريق الذى ينطلق من فرشاه يطفى على أخطائه .. حتى لندو هذه الأخطاء متعددة .. أن البريق يعفى الفنان من التقيد بالاصول الفنية .. ولكن الاصول الفنية لا تعفى الفنان من البريق ..

وحاولت أن أقلد عبد الرؤوف .. حاولت أن اتجرا على الاصول الفنية .. فربما كانت هذه الجراة هى التى تشحذ عبقرية الفنان حتى ينطلق منه البريق .. ولكنى لم استطع .. هل صدق انى لم استطع أن أحطى خطأ فشا واحدا وأنا أرسم .. لقد وجدت

مى سجيننا بين قضبان الاصول الفنية .. سجيننا لا يستطيع فكك .. وظلت لوحاتى بلا بريق ..

ثم .. ثم تزوجت سوسى من عبد الرؤوف .. تزوجا وهما يزالان ضمن طلبة الكلية .. ولم احتمل الصدمة .. كان يجب أن أفعل شيئا حتى أنقذ نفسى من هاوية اليأس والضياع ..

لماذا لا أتزوج أنا الآخر .. أتزوج سنية .. انها على الأقل متبرنى فنانا عبقريا .. انها تصبح أمام لوحاتى .. حتى لو كان مجرد غناء أو نفاق .. ربما استطعت بهذه المصحات أن استعيد ثقتى بنفسى .. واستمر فى محاولتى للوصول ..

وتزوجت سنية .. لم أفرح بزواجها .. ولم انضايق ..

وفى الأسبوع الأول من زواجنا ، رسمت صورة لها وهى فى سب الزفاف ، وبعد أن اتيممتا ناديتها لاسمع صيحاتها .. وجاءت قتل أن تصعن فى اللوحة ، قالت كأنها تؤدى واجبا ..

— طوه قوى يا عباس .. قول لى ، نطبخ ليه النهارده ..

ونظرت فى عينيها .. عيناها مملتان .. لا دهشة ولا انبهار كعيون كل الناس الذين ينظرون الى لوحاتى ..

وتحملت .. وبدأت مسئولياتى الزوجية تسقط على راسى سنية تريد زياره لهما ويجب أن اكون معها .. وسنية تريد أن يصلح وإبور الجار .. وسنية حامل .. وسنية تريد أن تذهب الى الطبيب .. والخادمة خرجت ، وسنية تريد خادمة أخرى .. و .. وأنا لا تحب أن أخل بمسئولياتى .. أنا رجل الاصول .. الاصول الفنية ، واصلو الحياة الزوجية ..

وبدا وقتى يفتق عن مزاوله فنى .. وازدادت اعبائى المالية .. حتى لم يعد للأهل القليل الذى ورثته من والدى يكفينى ..

ثم اكتشفت سنية شيئا لم تكن تعرفه .. اكتشفت انى لا أبيع

لوحاتى .. او على الاصح لا أحد يشتريها .. فلم تعد تكتفى
بإهمالى عندما ترائى أرسم .. أصبحت تصرخ :

— يا خويا بدل الهم ده ، ما تروغ تدور لك على شغله تكسبه
مايا قرشين ، تاكل بيهم عيش .. وترى بيهم ابنك ..
وكان اسنى فعلا فى حاجة الى قرشين لأبيه .. فانتقطعت عن
الذنية .. وبدأت ابحت لنفسى عن عمل ..

والآن .. أنا الآن واحد من ملايين الأرواح الذين نهر بهم دوى
أن تقتنيه لهم .. مجرد رقم من الأرقام .. وعندى أربعة أولاد ..
وأنا كاتب حسابات فى شركة المخازن الكبرى ..

والرسم .. إن مشية حرمت على الرسم فى البيت .. أنها
لا تطيق أن اسفل الحجرات الضيقة باللوحات .. ثم من ابن أسى
من الألوان والأدوات .. ولكى فى أوقات على أرسم بعض
الرسوم بالقلم للرصاص .. أنها رسوم تتكامل فيها كل الأصول
الفنية ولا ريق ..

اتدرى .. أن ابنى حسين يهوى الرسم .. وهو الآن فى الثانية
عشرة من عمره .. وسيكون فنانا كبيرا .. ائى واثق انه سيكون
فنانا كبيرا .. انه لا يتقيد بالأصول الفنية .. ان فى رسومه
عشرات الأخطاء .. ولكن .. فيها بريق ..

شئ غير الحب

أنا من « أبو كبير » .. شقية .. وعندما جئت الى القاهرة
التحق بالجامعة كان أهم ما يشغل بالى .. البنات !
كان نوات الجامعة يرسمن فى خيالى كنوع غريب من
المخلوقات .. ليس نوات كفات نادنا .. وليس قيهن واحدة كالخنى
كسبه عى .. ولكنهن — فى خيالى — اقرب الى نجوم هولود
يعشن فى عالم حد .. ويمكن لغة ليست لفى .. ويمصرن
سرفات مثيرة مقف لها شعر راسى .. ومنذ احسست بشبابى وان
طالب فى المدرسة الثانوية ، وأنا احلم بحب بست من نوات الجامعة
.. لا .. لم اكن احلم بالحب .. ولكنها كانت أحلاما محبومة ..
جبراء .. تضح بخيالات المراهقة ، وتطلق فيها البسنة الكبت
العتيف الذى تعرضه على حياتى فى البلدة ..

وقضت الليالى التى سبقت ذهابى الى الجامعة .. وأنا كالمحزون
.. ارسم لنفسى صورا كثيرة وأنا بين البنات .. وتثنابنى قشعريرة
وأنا انصور نفسى اواجههن وانحدث اليهن .. ومى صباح يوم
اساح الدراسة ، قضيت ساعات طويلة وأنا حائر فى اختيار
الصورة التى ابدو بها .. هل ابدو ضاحكا .. هل ابدو موزا ..
هل اذهب بالقميص والبنطلون كما يفعل أولاد القاهرة ، أم اذهب
مرتديا حلة كاملة .. ؟

وذبت مرتديا حلتى الكاملة .. حلتى الجديدة .. ووجهى
حائر بين الإبهام والتبويض .. وسقطت عيناى على نوات الجامعة

أول مرة .. بل لم أر سوى البنات .. كنت أرى أى قسمان يمر
على بعد ثلاثمائة متر ، ولا أرى زميلى الطالب الذى يقف على بعد
٣٠٠ يرين ..

وعلى قلبى وراء عيني .. كل احساسى منجذب الى البنات
.. ولكن كيف اتحدث اليهن او الى واحدة منهن .. ارتسكت ..
خائفى شجاعتي ..

لم استطع ان اقدم نفسى الى واحدة من البنات .. ومرت الأيام
وكنت رابت طالبا يحدث بنتا ، وقتت من بعيد أرتبها واحسده
عابها .. ثم اقول لنفسى : لابد انها أخته .. او ابنة معه .. والا
لما تجرأ على ان يقف ويحدثها بهذه الساطة .. وكنت اخذع بنسى
بعدا الكلام .. ولكنى كنت مضطرا الى خداع نفسى .. والا مت
كهذا .. بل انى كنت متأكدا انه لو انقضى العام دون ان أحدث
فتا من بنات الجامعة : فسانتحر !!

ومرت اسابيع .. وفى يوم كنت خارجا من المدرج - عندما
اتريت منى سعاد ، وقالت فى بساطة :

— انت كتبت المحاضرة ؟

وارتسكت .. وارتعشت رموشى فوق عيني ، حتى لم أعد أرى
من سعاد الا خيالا مهزوزا .. وقتت كائى اسم :

— نعم ؟ !

قالت :

— باقولك تسمح تدبني كراسك انقل منها المحاضرة ..

وقتت وانا ازداد ارتساكا :

— اتفضل يا افندم ..

وتناولتها كراسة المحاضرات بيد مرتعشة ، واخذتها منى بيد
ثابتة .. وهى تهيمس :

— مرسى ..

وابتعدت ، وجاءت فى اليوم التالي لتعيد الى الكراسة .. وهى
:

— ده انت خطك حلو قوى ..

ووقتت تتحدث الى .. أصبحت تقف وتحدثنى كل يوم ..
كل الطلبة .. وكنت أعجب من حراتها فى مبدأ الأمر ..
فى بعد قليل اقتعت نفسى ان الوسط الجامعى يقبل مثل هذه
حرارة .. خصوصا بعد ان اطمأنت الى ان ليس لها أخ ولا قريب
من الطلبة .. ودأت افكر فى سعاد ليل نهار .. لابد انها حبى .. !
حبيح اننا لم نتحدث فى الحب .. ولم نتبادل لمسات الحب ..
من ماذا يدعها الى التحدث الى .. الا اذا كان الدامع هو الحب ..
الصداقة !!

لا حسليس هناك صداقة يمكن ان تقوم بين فتى وفتاة ..
ما حب أو لا شيء ..

ولكن لماذا لم تبدأ سعاد فى مطارحتى الحب ؟

لا ادري .. لعل للجامعة تقاليد فى الحب لم اعرفها بعد ..
وفى يوم سرت بح سعاد تتحدث حتى وصلنا الى باب الجامعة
.. ووقتت منتظرا ان نصادقنى من الانصراف .. فلا شك انها
تريد ان تظل سائرين معا خارج الجامعة .. فى الشارع ..
ولكنها نظرت الى فى دهشة ، وسألتنى :

— انت حش مروح ؟

قلت وانا انظر الى وجهها حائرا :

— أيوه ..

قالت :

— انت ساكن فين ؟

قلت :

— فى الجيزة ..

قالت وهي تبتسم :

— طيب تعال امشي معايا لغاية الكوبرى ..

وارتمشت كلى .. كيف اسر معايا فى الشارع .. لعل احدا من هائلتها يرانا .. لعل الناس يتجمعون حولنا ويضربونا .. ولم افصح لها عما بخالجنى من خوف .. استعنت بالله وسرت .. بها ، وابنا اتلفت حولى فى حل خطوة منتظرا ان يهاجمنى احد اناريها ويمسك بتلابيبى .. وهي تسألنى :

— مالك .. يتبعنى على ايه ؟

واجبتنا وابتسامتى ترتعش :

— ولا حاجه .. اصلى بادور على واحد صاحبنى ..

وظللت سائرا معاها .. لانه شعور عجيب عندما تسير فى الشارع لأول مرة مع فتاة .. شعور فيه خوف .. وفيه زهو .. وفيه ارتباك .. وفيه احساس بالحولة والثقة .. شعور لم اكن .. عرفته .. ان الانثى الوحيدة التى كنت اسير معاها فى شوارع بلدنا ، هى الجاموسة .. !

ووصلنا الكوبرى .. واستأنفت .. انا الذى استأنفت ..

وعدت الى بيقى وابنا اكاد اطيع من الزهو ، كاتنى عدت من ساعرة عنيفة جريئة .. وتعودت بعد ذلك ان اسير مع سعاد فى الشارع .. ليس دائما .. ولكن فى ايام متباعدة كانت تسمح لى خلالها بمصاحبتها ..

ثم .. كانت قد اقترضت منى كراسه المحاضرات .. وفى اليوم التالى خرجنا سويا وسرنا حتى تعدينا الكوبرى .. ثم سرنا حتى وصلنا الى المنزل ، وقالت لى فجأة :

— تعال معايا البيت علشان تاخذ الكراسه بتاعتك ..

ونظرت اليها بمتعجبا .. ولكنى سكنت ..

ووصلنا الى الشارع الصغير الذى يقع فيه بيتها .. وتوقعت عند اول الشارع ..

وقالت لى فى دهشة :

— وقتت ليه ؟

قلت :

— حاسنكى هنا ..

قالت :

— لا .. تعال معايا البيت !

قلت :

— اجى معاكى ازاي .. مش ممكن ؟

قالت :

— مش ممكن ليه .. اخويا زمانه جه وتقدم معاها !

قلت :

جيس هو ما يعرفنيش !

قالت :

— وماله .. يعرفك ..

قلت :

— يعرفنى ازاي .. حاتقولى له ايه ؟

قالت :

— حاتقول له ان اسمك عيس عبد البارى ، وانك زميلى فى

الكلية ..

قلت :

— بياه ده اسمه كلام يا اخوانى ..

قالت وهي تشدنى من يدي ، وتكاد تضحك :

— تعال بس ..

وسرت معاها .. وكلتى يدق .. وكلتى ارتعش .. ودخلنا

البيت ، وصعدنا فى السلم .. ومناقشة حادة تدور فى راسى ..

فقد سمحت بان اتف واحادثها فى الجامعة .. معقول .. وسبحت

ار اسير معها في الشارع .. معقول برهه .. اما ان تسمح لي
بان ادخل بيتها .. فهذا ليس معقولا ..

وما كذا نصل الى باب الشقة ، والمحها وهي تمد يدها لتصعد
الجرس ، حتى قفز الى ذهني خاطر غريب .. ربما كانت تدبر لي
مؤامرة .. ربما اذا دخلت فوجئت باهلها يتكالبون عليّ ويسهموني
بالاعداء على شرفها ثم يستدعون المذنبين ليعقد قرائن عليها ..
ربما .. ربما اي شيء !

وبلاوعي مني .. وجذنتني استدبر لها ، ثم اهبط السلم تقزاً ..
ثم اخرج الى الشارع ، واجرى .. واطل اجري حتى وصلت الى
كوبرى عباس ..

حدث لي هذا في العام الدراسي الاول من التحاق بالجامعة ..
ثم بدأت اكتشف شيئاً لم يكن يخطر ببالي .. اكتشفت الصداقة ..
صداقة بين الطلبة والطالبات .. شيء لا نعترف به في بلدنا
اي كبير ..

وبين أصدقائي الآن كثير من الزميلات ، أتردد على بيوتهن
واعرف عائلاتهن ..

ولكن .. ليس في بلدنا اي كبير ..

ان اتزوج زميلي

شيء غريب ، هذا الذي حدث لي ..

لقد تخرجت في كلية التجارة ، والتحق بالعمل في احدى
المؤسسات .. قسم الحسابات .. ووجدت نفسي احلس على مكتب
في غرفة تجمعني مع أربعة زملاء .. شبان .. وشعرت برهه
غريبة في الايام الأولى من التحاق بالعمل .. رهبة الجلوس بس
أربعة شبان ، ثماني مساعلت في اليوم .. في غرفة واحدة !

ولم ادر سر هذه الرهبة .. فقد كنت اقضي ايامي في الجامعة
بين عشرات للشبان .. وكنت اعتقد ان رهبة الاختلاط بالشبان قد
زالتني خلال هذه السنوات .. ولكن يبدو ان الاختلاط بعشرات
الشبان ، اقل خطورة من الاختلاط بأربعة فقط .. والاختلاط في
مكان مسج مزدحم كفاعات الجامعة .. اقل خطورة من الاختلاط في
غرفة ضيقة ..

ومرت ايام كثيرة واما لا اسطيع ان اركز عيني في واحد من
زملائي .. وصوتي لا يستطيع ان ينطلق كعادته ، ولكنه يخرج من
سنتي حاسماً .. خجولاً ، مهذباً ، كائن لمست من نبات الجامعة ..
وحركاتي كلها بحساب يشوبه ارتباك .. وانتي توبى وهدائي
وحقيبتي يدي .. كل صباح ، كاني داهية الى حفل زفامي ! ولا انكر اني
قبل ان اسلم على في المؤسسة كان يراودني حلم ، بان التقى
بواحد من الزملاء ، أحبه .. واتزوجه !

وظل هذا الحلم يراودني بعد ان جلست في لفة الضيقة بين

الزلاء الأربعة .. وبسرعة .. ومن خلال كلمات عابرة .. استطعت أن أعرف الأربعة .. عزابه .. وبدأت في فترات العمل : اختبس النظر إلى كل منهم ، وأسأل نفسي ، من منهم أحبه .. وأزوجه !

عادل .. الشاب الضاحك ، الذي يبدو مستهترا في حياته الخاصة .. والذي يستطيع دائما أن يجذب الإبتسامة من بين شمتيك ، ويحولها إلى ضحكة كبيرة ..

أومحمود .. السمين ، الذي يبدو عليه أنه « بيتي » ويبدأ حديثه كل صباح بوصف ما أعدته له أمه من طعام للفداء ..

أورفيق .. الشاب العاطفي ، الذي ينظر إلى ويتنهد ، ثم يرفع رأسه ويهيم بعيني في الفضاء .. ثم يحدثنا عن آخر قصة قراها ، وآخر قصة يحاول أن يكتبها ..

أو إبراهيم .. أنه زفيع أكثر من اللازم .. طويل .. كهود القصبة .. وصامت دائما .. حاد دائما .. يقتل على عمله كالمهذوب .. في كتاب فلسفة .. يعقد حاجبيه ، وتكهر عيناه الجبلتان ثم لا يتكلم .. يقضي اليوم كله .. وقد لا أسمع منه سوى كلمتين !

أيام كثيرة قضيتها وأنا أنقل خاطري بين هؤلاء الأربعة .. شيئا فشيئا بدأ صوتي ينطلق كعادته .. ململما .. وبدأت أتحرك سرية .. وأسند ركتي على حافة المكتب ، وأطلب من البونية واحد سدوينتش فول .. ثم بدأت الأحاديث بينما نشغل كل شيء .. كل أسرارنا .. الأسرار المخبئة .. عرفت أن كلا منهم يحب ، وكلا منهم لا يفكر في الزواج .. عدا إبراهيم .. فلم أعرف عنه شيئا .. ولم يكن يتكلم ..

ومع الأيام أيضا .. بدأ الحلم الذي كان يراودني يتبخر .. بدأ شعور بجمعي هؤلاء الزلاء .. شعور أقرب إلى شعوري نحو أخى .. وليس معنى هذا أنني لم أعد أفكر في الحب أو الزواج ..

لكنني انتعدت بفكري عن زملائي .. انهم أخواني ! ما الذي يخلق شعور الأخوة ؟ انه التعود .. التعود على شخص ما مدة طويلة .. كافية ، لتجعل منه أخا لك .. أن هذا التعود ينحني على الاحساس بالجنس بين الأخ والأخت .. وهذا ما حدث لي ..

لقد تعودت على زملائي .. أني أراهم واتحدث إليهم ، أكثر مما أرى أخى ، وأكثر مما أتحدث إليه .. ثم أني أراهم في العمل على حقيقتهم .. كأنني أرى أخى في البيجاما ، أو وهو نائم في سريره .. أني أراهم ، وسيدنا رئيس الحسابات يشغط فيهم ، ويبهذلهم أمامي ، وأراهم وهم في ضيقهم ، وفي مرحهم .. وأراهم وعامل البونية يحاسبهم كل شهر .. وأراهم وهم يعملون ..

أن هذا الاختلاط الطويل ، لا يترك مجالا للخيال .. لا يترك مجالا لأن أتخيل الشخص كما أحب أن أراه ، لا كما هو على حقيقته ..

والحب في حاجة دائما إلى الخيال .. الحب يبدأ بإثارة الخيال .. الحب لا ينشأ بين رجل وامرأة ، إلا نتيجة صورة ارتسمت لكل منهما في خيال الآخر ..

وأكثر ما يؤثر حب المرأة هي تخيلها للرجل في مكان عمله .. أنها تتصوره جادا ، حازما ، متعبا ، يرهبه زملاؤه ، ويحترمه رئيسه ، ويقتل له وهو صافحه .. هذه الصورة تكون جزءا كبيرا من حيال المرأة عن الرجل الذي تحبه ..

ولكني لا أستطيع أن أتخيل شيئا عن هؤلاء الرءلاء .. لأنني أراهم بعيني .. وأرى أنهم ليسوا حادين في عملهم ، ولا حازمين .. ولا محترمين .. أنهم مهرجون .. يحاولون على الهرب من العمل .. وسيدنا رئيس القسم يشغط فيهم ولبي .. حتى إبراهيم الصامت .. مهرج ، وأخبطنا في التحايل على الهرب من العمل .. وسيدنا يشغط فيه ! وهكذا وجدت نفسي اختلا للأربعة .. وأصبحت أعاملهم كأخوة .. ولم أعد أهتم كثيرا بأنفسني ، وأ

داهيه اليهم .. وعندما يصلحني واحد منهم . احسن بيد اخي
 مي يدي .. لا تثيرني اللبسة .. ولا تتركني النظرة .. وفي الوقت
 نفسه كنت احس باحساسهم نحوي ، احساس الاخوة والاصدقاء .
 لا احساس الزهال نحو فتاة بينهم .. جيلة .. وكل منهم يحتاج
 الى كاهن اكثر مما يحتاج الى كهنه بريدها .. ان كلامهم يروى
 لي اسراره .. ادق اسراره .. وكلامهم ياتمنى على سره ..
 ويطلب مني حلا لمشكلته .. ويثق بي .. والاحاديث بيننا تزداد
 صراحة على مر الايام .. لم اعد اخجل من نوع معين من المعاني
 والكلمات ، كنت اعتقد اني لا استطيع ان اتبادلها الا مع احى ..
 كاننا كلنا اصحنا رجالا ! وحيانا تمر كلمة غزل ..

محمود قال لي مرة :

— اسمعي .. انا سببت البنت بقاعتي .. ايه رايك ؟
 نحب بعض ؟

ورفيق قال مرة :

— اسمعي .. انا سببت البنت بقاعتي .. ايه رايك ..
 بجي نكتب قصة سوا !

هذا العزل كان يتكرر كثيرا .. وكنت اسمعه . واضحك ..
 وهم يضحكون .. كنا نضحك كثيرا ! ودائما ، واخطلت حياسا
 الى حد كبير .. كنت ادعوه اني بيتي .. ويدعونني الى بيوتهم
 وسط عائلاتهم .. ونذهب احيانا الى السينما .. وحيانا تقوهم
 سرجلات خارج القاهرة .. ونضحك !

ومر عامان .. وفي يوم خرجت مع ابراهيم بعد انتهاء العمل ..
 وكنت قد تعودت على صمته ، وكنت استطيع دائما ان اخرجه من
 هذا الصمت ليروي لي اسراره . ولبحديثي طويلا عن نفسه
 وحياته ..

وقال لي ابراهيم ، ونظراته جادة كأنه مكب على حوسيه :
 — تيجي نتمشى شويه على الكورنيش ؟

وقبلت .. وسرنا طويلا على كورنيش النيل ، وهو صامت .
 وانا احاول ان اخرجه من صمته فلا استطيع .. احساس ساعته
 انه يعاني أزمة .. ويتردد في البوح بها .. ربما كانت أزمة جديدة
 مع ابيه .. انه يختلف دائما مع ابيه .. و .. واحسست بيده
 تلمس يدي أثناء سيرنا ..

لا شيء .. يد اخي لمست يدي ..

ثم قبض على يدي في كتفه . وضغط عليها ..

لا شيء .. يدي في يد اخي ..

وقد انه قلني على خدي في تلك اللحظة ، لما احساست باكثر من
 قبلة اخي التي يطبعها على خدي كل صباح .. صدقوني .. ان
 شيئا منه لم يكن يثيرني ، او يفتح خيالي .. ولكن ابراهيم لم يقبلني
 .. لقد وقف فجأة واستدار الى ، وقال في حدة :

— اسمعي .. ايه رايك نتجوز ؟

تالها بشكل رسمي !

ونظرت في عينيه ، لعله يمزح .. ولكن عينيه جادتان !
 ولا ادري لماذا ابتعدت عنه في حركة سريعة .. وشعرت بالضيق
 ضيق شديد .. شعرت كأنه يصرخ علي شيئا شاقا ، لا يصح ان
 يحدث بين الاخ واخته .. ولم اجب ..

وعاد ابراهيم يتكلم في صوت جاد :

— انا فكرت كثير .. بقي في سنة وانا بانكر ..
 وما اقدرش افكر اكثر من كده ..

وحاولت ان اتكلم .. ولكنه عاد يقول وهو يبسك يدي ويمسح عليها :

— انا باحبك يا امال .. باحبك من زمان ! ..

واحبست كان شينا جبلا قد تحطم .. ونظرت اليه وعينى تغمران غمى .. انه هو الذى يحطم هذا الشيء الجميل .. هو الذى يحاول ان يفسد ما بيننا من صداقة واخوة .. وسحبت يدي من يده ، وقلت فى حزم :

— انت زى اخويا يا ابراهيم .. وانا محاسبه لك كاخ ..
والانفصل اننا نفضل اخوات ..

ونظر الى ابراهيم كأنه صدم ، وقال وحاجباه يتعقدان -
وعيناه تكهران :
— تصدك ايه ؟

قلت وانا استدير لنتسهر فى سيرنا :

— تصدى بلاش الموضوع ده !

ورد مى حدة :

— أوريغوار ..

وبركنى على الرصيف ، وعبر الشارع فى خطوات سريعة -
واختفى ..

ونظرت وراءه فى اشمزاز .. هكذا افسد كل شيء ..

هكذا افسد صداقتنا للحلوة ، ولن تعود ثانية ..

ونسيت سريعا هذا الحادث .. عدت الى البيت .. وانشغلت فى الحديث مع امى وبنات خالى اللانى كن فى زيارتنا ..

وفى الصباح .. وانا اسعد للذهاب الى العمل .. تذكرت ابراهيم .. واخذت الفكر فى مواجهتى له .. وقررت ان اولعهه مبسمة ، واحاول ان اعيدته الى الصداقة والاخوة .. ان امسح من راسه فكرة الزواج ..

ولكن ابراهيم ليس على مكبه .. وانقضى نصف اليوم ولم ..

ثم سال عنه الزملاء ، معرموا انه اخذ اجازة مرضية .. شعرت بالضيق .. اخذت طول الوقت انظر الى مكتب ابراهيم الخالى .. ثم اعود الى عملى .. ولا البت ان اجد عينى فوق المكتب الخالى ..

واحبست احساسا عجيبا .. لقد أوحشنى ابراهيم ..

بوح عصب من الوحشة لا اشعر به نحو اخى .. ان احدى سائر كثيرا ولا اشعر بنفس اوحشة له .. ربما لانى لم اعود على غيبة ابراهيم .. انى اراه كل يوم ، ومنذ عامين .. على هذا المكتب .. نعم ، انه مجرد العمود .. لا اكثر .. ولكن .. مع الايام ازدادت وحشتى له ، ازددت شوقا اليه .. انى مشاققة فعلا اليه .. وفى شوقى اصبحت اراه فى خيالى .. ان وجهه اكثر وسامة مما كنت اعتقد .. وعينيه اكثر جمالا .. عبيقتان بافتتان .. وصمته مريح ، وكلامه القليل كأنه قطرات الندى .. ثم .. فوجئت .. رفوجى زملائى .. بان ابراهيم قدم استقالته ، والتحق بمؤسسه اخرى ..

و .. وجاء بودعنا .. جاء فجأة ايضا .. وطاف علينا.

يصفاحنا واحدا .. واحدا .. والزملاء يتصايحون :

« يعنى حاتلاقى احسن منا يا ابراهيم .. »

« اللى يعرفه احسن من اللى ما يعرفوش .. »

« لازم لانت حاجة هناك يا عم .. »

و .. ومد يده يصفاحنى .. وكنت انتظر ان يبقى يده فى يدي مدة الطول .. كنت انتظر ان يطل فى عيني ويشهد .. انه حبنى ويريد ان يتزوجنى ! ..

ويكده صانحنى مصافحة سريعة ، كبقية الزملاء ، ثم خرج وهو يصيح :

— خيلنا نشوفكم يا جماعة ..

ومرح قلبى وزاءه .. وانفتح حيسى كله بنصوره طول اليوم .. اى انصوره فى عمله الجديد .. بصورة اخرى غير التى كنت اراء فيها وهو جالس بيننا .. انصوره جادا ، بهيبا ، محترما .. انصوره رببسا لكل المواطنين هناك . انصوره شخصية نويد عارمه : لا يمكن ان تكون الا شخصية رئيس ..

وبدأت اعرف من خيالى ، انى احبه .. ربما كنت احبه طول الوقت : ولم اكن اشعر بهذا الحب لانى كنت مسموده على رؤيه كل يوم .. كان حبى مختفيا تحت روتين العادة .. نعم .. احبه ..

وبدا هبى يتجسم فى مشكلة مزعج نهارى ولىلى .. كيف استطيع ان اصل اليه .. الى ابراهيم .. انه لا يحاول ان يصير بى .. وانا لا استطيع ان اتصل به ، انه لم يعد لى ولا صديقى حتى اصل به . هكذا ببساطه .. انه حبيبى .. وللحب كرامه خاصة .. لشبه بالعناد . لا استطيع ان اتنازل عنها ..

وفى يوم .. جاء محمود يصح :

— امكوا .. امبارح قابلت ابراهيم .. ده بقى حاجه كبيره .. خذ الشهر اللى فات علاوتين مره واحده .. وعزمته يتفدى معانا كلنا فى مطعم « الاونيون » بكره ..

ومررخ قلبى .. سارى ابراهيم قدا ..

وبت ابلنى وخيالى يتفجر .. والعلاوان اللان نسما ابراهيم بدوان فى خيالى كأنهما معركتان انتصر فيهما ..

وفى الصباح .. قضيت ساعات طويلة امام المرآة .. اى لست ذاهبة الى اخوتى ، ولكنى ذاهبة الى حبيبى .. والتقينا فى مطعم « الاونيون » ..

واحسست بيده فى يدى . وهو يصافحنى كما لم احس بها من قبل .. شعرت بهذه الضغطة الخفيفة التى ضغطت بها على كفى .. ربما ضغط على كفى عشرات المرات وهو زميلى ، ولكنى لم اشعر بها الا اليوم .. وارتاح قلبى لهذه الضغطة .. تنهدت !! ولم استطع ان اكل .. ولم استطع ان اشارك الزملاء ضحكهم .. كنت طول الوقت « ملومة » وعيناي معلقتان بالوجه الوسيم .. وانتهى اطعام ..

وارحفت .. هل ساراه مره ثانية ؟ متى ؟ ..

وخرجنا من المطعم .. ومال على ابراهيم وهمس وهو جاد :
وعيناه بكهورتان ، كأنه مكب على الدوسيه :

— اقدر اشوفك النهارده بعد الشغل .. نتمشى على كوربيش ؟

وذهبت اليه .. ذهبت اليه بكل خيالى .. اننا سنزوج فى اسبوع القادم ..

أصبح الزواج

وأخيراً . تقرر أن أسافر إلى أوروبا . وإلى استكهولم
بالدان .

هل تعرف ما أمره عن استكهولم . . ليس مهما أن تعرف أنها
عاصمة السويد . . لكن عاصمة أي بلد من بلاد العالم . . هذا
لا يهم . . إنما المهم هو ما ينتظرني هناك . . وأنا أعرف ما ينتظرني
هناك . . بنات كالقشطة المغموسة في مربة الورد . . وحرية . .
حرية لا نهاية لها . . أنهم هناك فاس مثقفون . . لا يعتقدون حيائهم
بعقد الجنس . . كل شيء مباح . . والشرط الوحيد هو اتفاق بين
الطرفين . . وأنا مستعد أن أتفق ، بلا تردد ، وبلا شروط . . وأعلم
أن أي بنت هناك مستعدة أن تتفق معي ، لأن لوني أسمر ، وشعري
مكرت . . وبنات السويد يتلفن على اللون الأسمر والشعر
المكرت . . لس كناننا اللاني لا يقدّر البعثة التي يجري خلفها
في شارع سليمان !!

وقضيت أياما أستعد للسفر ، واللهفة تكاد تطير بي قبل أن
تطير بي الطائرة ، ولم أحاول أن أراجع مواضيع المؤتمر الذي أسافر
للاشتراك فيه . . ليس المؤتمر هي الذي أسافر من أجله . . وليس
هناك واحد من زملائي مسافرا من أجل المؤتمر . . كلنا مسافرون
وفي رؤوسنا حلم واحد . . وبين أعيننا صورة متشابهة صورة
بنات كالقشطة المغموسة في مربة الورد . . ووقفت أودع زوجتي . .
واجدت تمثيل موقف الوداع . . كدت أبكي من شدة انجابي
في التمثيل . . وقد رأيت ساعتها من خلال دموع زوجتي ، نظرة

أريبه في عيني . . اني أعرف هذه النظرة . . أنها نفس النظرة
التي تستلقني بها . . كلما ساحت في عودتي لششم ثيابي بحثا عن
رائحه أمراه أخرى ، ويدفق في شممي بحثا عن آثار شفاها ، نظره
الانهم . . أنها تنهمني وهي بودعني . . تنهمني بخبائه لم تقع
عد . . لكي . . ماذا بهم . . أنها لن تلحق بي إلى هناك . . اني
هناك رجل حر . . أما وبنات استكهولم . . حر في أن أخون . .
وربما كانت ربحتي معلم هذا . . ما نطربها التي نحيل الانهم ،
نحيل ، أيضا موعا من الامتسلام . . استسلام لا حيلة لها فيه . .
وهيست زوجتي وهي تنصم على حدى شميمها . . كأنها توتع على
أعضائها حتى لا أضيع منها :

— خليك عاقل يا محب . . أوع نخونني !

قلت وأنا أشد نفسي منها :

— يا شيخه حرام عليك . . أنا رايح أشتغل واللا رايح العبه .

وما كدت أجتاز باب الجبرك ، وأدخل إلى مهبط الطائرات . .
حتى تنهدت بي راحة . . وحرية . . شعرت بحريتي كلها بهجم على . .
ونملا قلبي . . الحرية . . الحرية . . ما أحلاها عيشة الحرية . .
وبحركة سريمة مدحت يدي وخلفت ذبلة الزواج من أصبعي ، كأي
نوع آخر قيد من قيود الحرية . .

اني الآن لست متزوجا . . ليس في أصبعي ذبلة زواج . .

أن بنات السويد سيطنن اني . . وسيزداد تنهمن علي . . وكل
ممن يحلم بأن تتزوج من الشاب الأسمر . . ذي الشعر المكرت . .
ومعدت الطائرة . . وأصمعي حر طليق من ذبلة الزواج . . ورأسي
حر طليق من ذكرى روحي . . نسيها . . اني أبدا في هذه
الساعة حياة جديدة . . حياة أم تسبقها ذكريات . . ولم يخذلها
الزواج ! . . وما كادت المضيفة تدلي على مقعدي . . حتى كدت
أخرج من الفرجة . . أن المقعد الذي يحائني نحتله فناء . . يا الله

.. ما اجعلها .. انها لاجل من النقشطة المعبوسة في مزية الورق ..
.. كأن نبات السويد لم يطقن انتظاري حتى اصل اليهن ، فارسلن
مدونه عنهن ..

واستجبت كل مواهبي ، واشملت كل ذكائي ، وحركت كل
خفة دمي ، والتفت اليها وعددي سرقان كأنهما مرآتان ارغلهما
بهما ، وقلت لها بفرنسيتي الانيقة :
— الانسة من السويد ؟

وضحكت ضحكة صغيرة رنانة ، واجابت :
— لا .. من الدانبرك ، من كوبنهاجن !
قلت :

— هل كنت في القاهرة ؟
قالت :

— نعم .. قضيت فيها اسبوعا ممتعا ..
وقلت وانا انظر الى جدرانها الذهبية :
— عجيبة !

قالت :
— ما هو العجيب ؟

قلت :
— ان يقضى في القاهرة اسبوعا ولا اراك ..
قالت وهي تبتسم :

— لو كنت حشاشا لرايتي .. فقد كنت كل يوم اركب الحمار
في صحراء الهم !

وابنسمت .. انها لا تقعد اهانتى .. وهي لا تعرف ان كلمة
« حمار » بنشيد الميم — لها معنى الاهانة .. ان الحمار في
الدانبرك لا يقل احتراما عن رئيس مجلس الوزراء .. انهم هناك
شعب مثقف ، ليسوا مثلنا .. واستطرد بيننا الحديث .. وانا طول

الوقت افكر كيف اصل اليها .. وكان يجب ان افكر بسرعة .. وكان
حب ان اكوي جريشا .. فان هذه المغامرات التي تتم اثناء الرحلات
تطلب ذكاء وحراة .. وسرعة قبل ان يفوت الوقت .. قبل ان نهبط
ما الطائرة .. ونختفي عن عيني ..

وبدأت بالحديث عن نفسي .. قلت لها اني شاب غني ..
لميوبر .. واني املك خمسمائة فدان .. وجمدت الله لأنها لم تكن
علم ان عبدنا قاتوبا يحدد الملكة الرابعة .. واخذت اغالي من
وصف ثريتي وبغودي ، وفي وصف ليالي الشرق التي اعيش فيها
.. جعلت من نفسي بطلا لحياة مثيرة رائعة ، واقتست صورها
من قصة « ابن الشيخ » التي مثلها رولف مالتينو .. ثم حدثتها
عن وحدثي .. ان كل هذا الثراء لا يساوي شيئا ، لاني وحيد ..
لم اجد الحب .. ولم اجد المرأة التي تملا حياتي ..

وكلفت تصمت الى وهي مبهورة الانفاس ، وقالت وهي تكاد
تبيس :
— ليعني قابلتك في القاهرة ..
قلت :

— ان الفرصة لم تضيع .. ستأتين معي الى استكهولم ،
وسبق هناك الى ان انتهى من المؤتمر ثم نعود سويا الى القاهرة ..
قالت :

— يا ريت .. لا استطيع !
ولم اكن استطيع ان اياس .. انها جميلة .. اجل من كل ما
خيلته عن سات استكهولم .. ثم اسي اوس بان عصمورا في الطائرة
خير من عشرة في استكهولم .. ولما ادع هذا العصفور فقلت من
بدى .. وعدت الخ ، وقلت لها :

— ان كوبنهاجن لا تبعد عن استكهولم الا بمسافة نصف ساعة ،
ستاتين معي ، ثم نعود سويا الى كوبنهاجن لزيارة اهلك ، ومن
هناك نظير الى القاهرة ..

وعادت تقول :

— يا ريت .. لا أستطيع !

وعدت الح .. وقلت :

« انك لن تتكلى شيئا .. ستكونين فى ضيافتى .. »

قالت :

— يا ريت .. لا أستطيع !

وعدت الح ..

ولم اكن أدري بالضبط ماذا سأفعل اذا افلح للحاحى .. فانا لا أستطيع ان ادعوها للاقامة فى استكهولم .. ليس معى نقود بكتينى وبكتها .. وليس معى ما يكفى لاشرى لها بذكره الطائرة .. بل انى لا أستطيع ان اربط نفسى بها اثناء انقضاء المؤتمر .. ولكن كل هذا لم يكن يهمنى .. كل ما كان يهمنى هو ان اكون معها على ارض .. فى غرفة تجميعنا .. ان أشعر بلذة المغامرة .. وتماديت فى الحاحى ، وقلت لها فجأة ، وكانت الطائرة تحلق فوق سماء الدانمرك ..

— اسمعى .. انى احبك .. انى احبك .. احبك من اول نظره .. الم تسمى عن الحب من اول نظرة .. لقد حدث .. وانى مستعد لكل شيء ، الا ان تتركينى وتخفى من حياتى ..

وبظرت الى فى دهشة ، وقالت :

— هل تتكلم جد ؟

قلت :

— جد جدا ..

وقالت فجأة كأنها تمسك على راسى جردلا من الماء البارد :

— ولكنك متزوج ..

وارتبكنت .. وربما احمر وجهى .. وقلت ولسانى يلتوى بين شففى :

— متزوج .. متزوج .. من قال لك انى متزوج ؟

قالت :

— لم يقل لى احد .. ولكن انظر الى اصبعك ، ان الدبلة مرسومة فوق جلدك الاسمر .. لابد انك خلعتها قبل ان تتركب الطائرة ؟

ونظرت الى اصبعى .. ان الدبلة مرسومة فوقه .. واضحه .. تشق جلدى .. كئى لم اخلعها ابدا ..

وتجيت .. واهنيت راسى .. ولم استطع ان استطرده فى الكلام .. وخيل الى ان الفتاة تبسم ساخرة منى .. ثم خيل الى كائى اسع صوت زوجتى وهى تضحك .. تضحك بصوت عال .. لم اخرج لى لستها تؤكد لى انى لن أستطيع ابدا ان اكون حرا .. ان القيد يمتدح على جلدى .. انى موصوم بوصمة العبد .. رصمة فوق اصبعى ..

ونزلت الفتاة من الطائرة فى كونهاجين ، وقالت وهى صامضى :

— ارجو ان اراك فى المرة القادمة عندما ازور القاهرة .. يحينى الى زوجتك !

ورددت تحيتها فى برود ..

ثم اخذت اطلق فى اصبعى .. ابلق فى علامة الدبلة .. ثم افرك فوقها بيدي لعلها تزول .. ولكن مستحيل .. انها علامة ستبقى معى دائما .. ستبقى معى فى استكهولم .. ووصلت الى استكهولم واتنا مصاب بانتهيار نفسى ..

اتدري ؟

لقد قصبت هناك خمسة عشر يوما لم اعرف خلالها بفتاة .. ولم تكن لى اية مغامرة .. وانتهكت فى اعمال المؤتمر .. ودبلة زوجتى فى اصبعى ..

الكبرياء والزواج

أخى بكرنى ثلاث سنوات ..

انك لا تدري كم أحب أخى .. أو كم أثق به .. لانه اجبن
الفتيان .. أقوى الفتان .. اعقل الفتيان .. لم يكن لى - حتى
سن السادسة عشرة - احد غيره افخر به .. واغار عليه ..
واقول له اسم ارى - ويقول لى اسراره .. انه أخى - وصديقى -
ورجلى ..

وصديقاتى البنات يحسدننى عليه .. بعضهن يتمنيانه اذا لهن
.. وأغلبهن يقعن فى حبه ..

وهو متعال .. ينظر اليهن من فوق انفه .. كأنه اله صغير ..
انه دائماً « تقيل » وأنا فرحة محورة بأنه « تقيل » ..
ثم اكتشفت ان أعز صديقتى قد وقعت ..
وقعت فى حبه .. انها تحبه حقاً ..
ولكنه متعال .. تقيل !!

وكانت تأتى الى وتجلس معى فى حجرى .. وأحس بحبها
بفيض من قلبها ويلاً على الحجرة ، ثم تبكى .. تبكى حبها
المحروم .. ودمعها يمزق قلبى .. انها لا تريد منه شيئاً .. كل ما
تريده ان يتسم لها .. ان يقول لها كلمه حلوة .. ان يرضى حبها
.. لعله يحبها ..
ولكنه .. تقيل ! ..

وذهبت اليه غاضبة ، وقلت له :

— حرام عليك .. دى بتحبك .. بتحبك مصحيح !
وهز كفيه ملامبالاة ، وقال ساخراً :

— ما تصدقش .. ما فيش بنات بتحب ، كلهم عايزين يتجوروا
.. بيتنوا الأول بحكاية الحب ، لقاية الشاب ما يصدق ..
وبعدين ييجى يكلمها فى التليفون تقول له .. لا .. لا .. ماها تموتنى ..
يجى يصك ايديها .. تقول له .. لا .. لا .. ضميرى يعذبنى ..
ويصل مشاغله ، وتتمتع ، لفانة ما يتجنس ويتجورها .. وان مش
ناوى اتجنس ، ولا ناوى لتحوز ..

ونظرت اليه فى دهشة .. ربما فى غياء .. كانت هذه هى
المره الاولى الى اسمع فيها هذا المطلق .. هذه النظرة .. ولم
افهمها .. لم افهم ماذا يقصد أخى .. ولكنى احسست انه يعنى ان
الزواج ليس سوى حريه تركتها الفتاة فى حق الشاب .. حريه
نصب .. وخداع .. واحتيال ..

وسألته وان اله :

— يعنى ما فيش حاجه اسمها حب ؟

قال ببساطة :

— ما اعرفش .. الى اعرفه ان كل بنت مش عايزه حاجه
الا الجواز .. وأنا مش عايز اتجوز ..
وعدت الى صديقتى مبلمة : قلبى مقنوض ..
و .. ودعك من أخى الآن ..

لقد بدأت من يومها أتباعد .. دون ارادة منى — عن الشبان ..
كل الشبان الذين تعودت ان احادثهم فى براءة ، وانسم لهم بلا
قصد ، والتقى بهم فى مجموعة الاصدقاء .. أصبحت لا احادث
احدا منهم .. واضم شفتى حتى لا تتطلق من بينهما ابتسامه
لاحدهم .. واهرب نظراتى حتى لا تقع على وجه من وجوههم ..
أصبحت احشى اذا نظرت لاحد أو استسيت له .. أو حادثته ، فربما
طن انى اتلقه لانى اريد منه شيئاً .. لانى اريد ان اتزوج .. وشور
كرامتى .. انى لا اريد شيئاً من كل شيان الدنيا .. انى اكبر
وانسى من ان اريد شيئاً .. ويجب ان يفهموا ذلك .. يجب ان

مهموا ذلك .. يجب أن ينهوا أنى لست كبقية البنات اللاتي يصنع
الخطأ ليصطدن زوجا ..

وأصبحت كأخى .. ثقيلة !!

وقيل عني أنى باردة .. مسرة .. معقدة .. وأنى لست
ثقيلة .. ولكن شئى هو القتل !!

وأبتعد عني الشبان ..

كنت أراهم مع البنات ، يضحكون .. وليس معى أحد !
ولكن ، لا يهم ..

لا يهمنى أحد منهم ، كل ما بهمى أن يفهم كل منهم أنى لا أريد
منه شيئا .. لا أريد أن أخدعه بابتناساة ، أو بكلمة ، حتى
ينزوجنى ..

ثم .. قابلت حبيبى ..

لقد رأيت فى عينيها ما لم أره فى أى عين ، وأحسست فى لمسة
يده وهو يصلحنى ، ما لم أحسه قى أى يد ..

وتد قابلته فى أحد مجتمعائنا العائلية .. وحاولت أن التقي
معينيه مرة أخرى ، ولكنى لم أستطع .. صدقنى لم أستطع .
تحكمت فى كبريائى .. كبريائى الكاذبة .. وغلبنى حوى من أن
أشعره باهتمامى ، منظر أنى أريد أن أخدعه .. كما يحاول البنات
خداع أخى ليتزوج ..

وعدت الى البيت مشغولة به ..

ليالى طويلة شغلت به ..

ثم وجدت نفسى أسعى الأتاه فى محيط المجتمع العائلى وما كدت
القاء حتى غلبنى كبريائى مرة ثانية .. وأدبرت له كتمى .. وكأنه
ليس هنا .. كأنه ليس بجانبى .. حبيبى ! .. وأعود الى البيت
بمشغولة به ..

ولغيت أكثر من مرة .. وأعود دائما مشغولة به !

ثم لم أعد أستطيع أن أكذب على نفسى ..

أنى أحبه ..

وعندما اعترفت بهذه الحقيقة ، مكأنى فحنت سداد قفم فى
صدرى - انطلقت منه احرة الحب قوية - عطره ، ملوئى .. ثملا
عينى .. وثملا وجنتى .. وثملا عقلى .. وثملا قللى ..

كيف أبوح له بهذا الحب .. بكل هذا الحب الكبير ؟ لا أدرى .
أنى أخشى أن أضع عني فى عينيه .. أخشى أن أنسى له ..
أخشى أن أزيد حديثى كلمة .. أخشى كبريائى الكاذبة .. أخشى أن
يظن أنى أريد منه شيئا .. أخشى لو قلت له .. أحبك .. فلن
يصدقنى .. سيظن أنى أنصب عليه حتى يتزوجنى .. أخى لم
يصدق البنت التى أحته !!

ولكن .. هل يحبنى كما أحبه ؟ ربما ..

أنى أجده دائما فى طريقى .. كأنه يعرف مواعيد ذهابى
الى النادي .. كأنه يعرف مواعيد ذهابى الى السينما .. كأنه
يعرف متى أذهب الى المجتمع العائلى الذى يضمنا .. ودائما أرى
- فى لمحة سريعة - نفس النظرة التى رأيتها فى عينيها أول مرة ..
ونفس الابتسامة التى التقيت بها أول مرة .. ودائما أدير عنه
عيني سريعا .. وأدير وجهى .. وأدير كفتى .. ثم أبقى شاردة
الذهن .. أخوض معركة عنيفة بينى وبين كبريائى الكاذبة ..
أحاول أن أغلب هذه الكبرياء فنعمسى .. أحاول أن ألصق اليه لعله
يرى حبنى فى عيني ، فلا أستطيع ..

أنه يحبنى .. قطعاً ، يحبنى .. ولكن .. الى متى يستطيع
أن يحمل حبنى ..

لعله يئس .. كما يئس الذين مله ، والذين انهبوى مائى باردة -
متكررة ، معقدة ..

وعشت فى خوف من يأسه ..

ولكنه لم يعد يستطيع الانتظار .. وهو يريد منى أن تقول له : هل
 عدل أن أتزوج .. كلمة واحدة ، ويذهب الى أنى لخطبتي منه ..
 وصرخت من الفرحه .. وقمت انتط على حجرى .. واقتر
 فوق السرير كالاطفال الصغار ..
 وصديقتى تهلل معى .. ونصرخ معى ..

★★★

ثم فجأة .. انتابنى الصمت ..
 فكرت قليلا .. لا لم افكر .. ولكن شيئا فى داخلى انتصر
 على .. انتصر على حبنى .. وهزمنى !
 واذا بى أمزق الرسالة .. وأمرق فى غبط .. وبين شفى
 اسامة بحبوة !

وصرخت صديقتى .

— بعملى انه يا مجنونه !

قلت .. انا المجنونه :

— انتى عارمه هو بعث لى الجواب ده ليه .. علشان يكد اذا
 كنت أنا باحبه ، والا اذا كنت عايزه احوزه .. لو حاولت عليه
 وقلت له اتى موافقه على الجواز .. حابصحك .. حابعرف انى
 رى مقية البيت .. بقاعة جواز ..

ثم صرحت : لازم يعرف انى ناحه من عمر غرض .. لازم
 يعرف انى ناحه صحيح .. ناحه للحب .. مش للجواز .. وادا
 ما عرفش كده عنه ما عرف .. ككايه على انه يحترمنى .. وانه
 يعرف انى مش رى بقية النكات .. اجرى ورا الشان علشان
 حاطر الجواز ؟ ..

وبسبت صديقتى من اتعاضى ..

وينسب من اتعاض نفسى .. ولم ارد عليه ..

اندرى كم مر من الزمن بعد ذلك .. ثلاث سنوات .. ثلاث

عشت وأنا ادعو كل مساء ، وكل صباح ، اليايأس من حبنى ،
 الى ان يهدينى الله اليه ، ويهديه الى ..
 ولم ييأس .. انه ليس كالآخرين .. لا ييأس ..

★★★

وخطا نحوى الخطوة الاولى .. خطاها بعد سبعة شهور !
 وكنت جالسة فى النادى ، مع صديقتى .. اعز صديقتى ..
 وكنت أعلم انه بجائى ، على مائدة اخرى .. ورأسى منكس بين
 يدي .. ولقد أدركت كفى اليه .. ثم فجأة رأيت ساقين يقفلن
 أمامى .. اتهمنا ساقاه .. اتى اعرف اتهمنا ساقاه .. ورفعت
 رأسى .. والتفتت سمينيه ، وابتسامته .. وارتعشت .. ارتعشت كل
 ما بداخلى ..

وصافحنى .. وسرت لمسته حتى ملوف اصبع قدمى ..

ولم يتكلم .. وضع فى يدي رسالة .. وابتعد !

وطويت كفى على الرسالة ، وكل ما بداخلى لا يزال يرتعش ..
 والدماء الساخنة تملأ وجنتى .. وتملأ رأسى ..

وقمت من جلستى ، وأنا لا احس بنفسى .. وتاملت معى
 صديقتى . وهى نهى :

— رايحه نين .. ما تفتحى الجواب ..

ولم ارد عليها ..

سرت كالذهولة .. والدماء الساخنة تملأنى .. وركبنا سيارة
 احرة مدنا بها الى البيت .. وطوال الطريق وأنا لا زلت مذهولة
 . لا أتكلم .. ارتعش .. ساخنة .. لابد ان درجة حرارتى
 ارفعون !

ودخلت حجرى ومعى صديقتى ، وأغلقت الباب ورائى ..
 المفتح ! ..

وانتظرت يرهة لاسترد أنفاسى اللاهثة .. لانيق من ذهولى ..
 وقرأت .. انه يحبنى .. يحبنى جدا .. انه لم ييأس ..

سنوات وأنا احبه .. واتعذب .. اتعذب بحبة وبحيرتى .. وسعائى
 .. لم استطع خلال هذه السنوات ان افهم معنى الحب والزواج ..
 لم استطع ان افهم ان الحب هو الزواج .. وكبرائى الكاذبه
 العنيدة ، بصور لى ان الحب شيء لا يقهر بشيء حتى بالزواج ..
 والا اصبح موعا من الخداع والصحك على عقول الشبان .. وفخا
 للزواج ..

ثم لا اجد الحل .. لا اجد الحل لحبى .. واتعذب ..
 وآراه .. وأرى نظرتة وابتناسمتة .. واحترابه .. فاتعذب
 .. واتعذب اكثر باحترابه .. ثم .. تزوجت ..



جاءنى اسى بعريس .. ليس فيه عيب .. وليس فيه حب ..
 وقبيلته ..

واعلنت خطوبتنا .. وبعد اعلان خطوبتنا .. خطر على دهى
 خاطر غريب .. حاولت ان ابعده .. ولكنى لم استطع .. ان
 الخاطر يكر .. حتى أصبح الخاطر املا .. وبكر اكثر حتى
 أصبح حقيقه مجسمة فى خيالى ..
 وانتظرت عن عمد الى ان عقد قرانى ..

تزوجت .. وبجرد ان تزوجت ، نهضت من راحة ..
 الآن ان يستطيع جيبى ان يشك فى حبى .. لعله الآن يصدق
 انى احبه بلا غرض .. بلا خديعة .. بلا زواج ..
 وفى « الصباحية » .. صبحية زفانى .. امسكت بالتليفون
 وحادثته ..

حادثته طويلا .. قلت له كل شيء .. قلت له كم احسته .. كم
 تعذبت فى حبه .. وكم قاومت حتى يؤمن انى احبه بلا غرض ..
 وانى لست كبقية النساء .. ساعه حوار .. قلت له كل شيء ..
 وكرايمتى لا تتور .. ولا تصدنى .. كرايمتى نامت .. ارتاحت ..
 انى الآن مطمئنة عندما اتول له احبك .. فلا اعنى الا الحب ..

و .. وذهبت اليه .. وذهبت .. وذهبت .. واعطينه ..
 ما يريد .. ركل ما يريد .. واكثر مما يريد .. واكثر مما يريد ..
 لا تمن .. بلا زواج .. للحب فقط !!

ولا رلت اذهب اليه .. ولا رلت اعطيه .. بلا تمن ..
 هل ان سعيدة .. ؟

لا .. لا شقية .. انا معذبة .. انا مسكينة ..
 احدى لمادا ؟ لانه لم يعد يحدثنى عن الزواج ..

لم يعد يريد ان يتزوجنى ..
 انه الآن يكف بالحب ..

وانا .. انا لم اعد اكفى بالحب .. ان الحب لا يمكن ان يحل
 منى زوجة خائنة .. الحب يجب ان يجعل منى زوجة مخلصة ..
 ولى اكون مخلصة الا اذا تزوجت حببى .. وهو لا يحدث عن
 الزواج ..

وكبرائى الكاذبة لا تزال تمنعنى من ان اتحدث عن الزواج ..
 اخلف على حى من حديث الزواج !
 اخى قال لى .. ان الحب مصيدة الزواج !

.. تكاد روحى تزهق وأمام نومى أرقا فى انتظار أن يطل وجه الشلويش عوضين ليبلعنى عن حادث قتل أو سرقة - أسفل لمدرسة .. وفكرت أن أتزوج ..

إن الزواج لموظفى المراكز يصبح ضرورة اضطرارية .. لا رغبة .. يصبح شيئا كحاجته إلى الأكل والشرب .. لا حاجته إلى الحب ..

ولكنى لا أستطيع أن أتزوج .. أن الزوجة التى أفلها .. لا يمكن أن تعيش معى فى هذا المركز .. ثم أتى أكره الزواج .. وحرام أن أربط نفسى بأمرأة طول العمر ، لجرد أتى زهقان .. والأمام سر .. ولم أستطع أن احتفظ أكثر من ذلك بهيئتي ووقارى .. والمثل .. والفراغ .. والحرمان .. الحرمان القاسى .. وفكرت بعقل محمى محشوش .. وفجأة .. وفى خلال ليلة حرمان قاسية ، اتخذت قرارى ..

سافرت إلى الإسكندرية .. وكنت أعرف هناك فتاة .. ليست فتاة .. إنها امرأة .. وقد ربطتنى بها منذ سنوات علاقة قوية .. كانت نحسنى ، وكنت أحبها .. وكنا متفقين على نوع هذا الحب .. حب لا يتعدى متعتنا بليلة نقضيها سويا .. وربما كان من حياتها كثير من الرجال ، ولكنها كانت تفضل دائما ليسلتى على ساقى اللبالي ..

واتفقت مع سعيدة .. ستأتى لتعيش معى فى المركز ، وسأقول لزملائى .. الموظفين ، وللأهالى ، أنها .. أختى ! وقبلت .. وكنت مطمئنا إلى مظهرها .. فهى تبدو دائما سيدة أريده محبته رغم نظراتها لتجربة .. وكنت مطمئنا أيضا إلى إخلاصها ، فقد كنت واثقا أنها تفضل ليلتى ، على ساقى اللبالي .. والا لما قبلت أن تأتى معى ..

وعدت بها إلى المركز .. وأعلنت هناك أن أختى قد جاءت لتعيش معى ..

أختى

عينت بعد أن ثلث ليسانس الحقوق فى وظيفة معاون نيلية بمركز وأعفونى من ذكر اسم المركز ، فإن قصتى هناك لا تزال معروفة ، ولا يزال الأهالى يتذكرون بها .. ولعلمهم يضحكون .. رغم أنى تركت المركز منذ عشر سنوات !

وقد اقتلعت على وظيفتى بعد أن رسمت لىسى صورة معيبة أدير بها أمام أهالى المركز .. صورة تحمل كل هيئة رجال النيلية .. ووقارهم .. ولم تكن للهيئة ولا الوقار من طبعتى .. فلما أنشأت سسط أحب المرح .. واقتل على الحياة ، واضحك كثيرا .. ولكن كان يجب أن أضع لنفسى هذه الصورة .. صورة الهيئة والوقار .. رغم أنها تناقض طبيعى ، حتى أستطيع أن أبدأ بشخصيتى المقرة الذى أحلس عليه .. مقعد النية وكيل النيلية !

ومرت الأيام .. وبدأت صورة الهيئة والوقار تهتز .. وتتساقط خطوطها .. بدأت أشعر بالملل .. والفراغ والحرمان .. الحرمان وأنا فى الخامسة والعشرين من عمرى ..

وكنت أقتضى أوقات فراغى فى نادى المركز ، مع المأور ، ومهندس الرى ، ونظر المدرس .. وبقته كبار الموظفين المحترمين الوقورين .. ونسرق الساعات فى حديث مهمل تلهه .. ونكاث قديمة .. ولعب الكونكان .. وفى الساعة العاشرة يصرف الجميع إلى بيوتهم .. وكل منهم له زوجه يندف بها .. وأولاد يشغلون قلبه .. يشغلونه بالحب والمتاعب .. وأنا .. أنا أعود وحيدا .. لا زوجة اندفأ بها .. ولا حب .. ولا متاعب .. فراغ .. مثل

وتبند الملل .. والفراغ .. والحرمان .. واستطعت أن استرد
الصوراة التي رسمتها لنفسى .. لأدو بها أمام الاهالى .. صورة
الهبة والوقار ..

وهنأت نفسى على ذكائى ..

ومرت الأيام .. شهر .. شهر .. ولم أعد أتصور انى استطيع
أن أعيش فى المركز بلا « أختى » !! انها الشيء الوحيد فى المرقد
الذى يعيننى على الحياة ..

ثم حدث أن بشاجر حادى مع بقال المركز .. وإذا بالقتال يصرح
فى وجهه :

— ما تروح ظم أخت اليه بتاعك اللي دايره من راجل لراجل
.. دى ما خلتنش راجل ما تمسخرتنش معاها !

وثار خادى ، وهدد البقال بأن يبلغنى ما قاله عن « أختى »
حتى أخرب بيته .. وجاء الخادم وأبلغنى ..

وشرت .. ولكنى قبل أن أطلق ثورتى فى وجه البقال ، بدأت
أفكر ..

هل يمكن أن تكون سعيدة قد فعلت هذا .. انى اعرف ان هى
اعباتها امرأة لغويا .. ولكنى كنت دائما استطيع أن ارضى هذه
اللغوب .. وكنت واثقا انها تفضل ليلتى على باقى اللالى .. وانا
أقضى معها كل ليلة .. فما حاجتها الى ليلالى احرى .. الى رجال
آخرين !

وبدأت أذكر أشياء لم تكن يستوقف تفكيرى .. نظرات المأمور
الى .. وأبسماته المحاة تحت نسجه .. انتسامة الإسمانة ..
رتودد ضابط المباحث الى أكثر من اللازم .. والطرات الشدره
اللى بطلقتها على ناظر المدرسة .. ثم اهتمام الجميع برأى من
بيسى .. و « أختى » تجلس معنا .. واليوم الذى عدت فيه من
عملى والتقيت بضابط المباحث خارجا من الشارع الذى يقع فيه
بيتى .. لقد استغفرت يومها ، ولكنى لم أشك .. و .. و ..

وتبينت فجأة انى كنت أعيش وسط سيل من الهمسات .. همسات
مسمومة .. لم تفتح لها أفنأى إلا الآن ، عندما فتح البقال عينى
على دنيا الشكوك ..

واحسنت بشعر خريب ..

لم أشعر بالفرة على سعدى ..

ولكنى شعرت بالفرة على أختى ..

ان أختى لا يمكن أن تفعل هذا .. أختى ليست مومسا ..
أختى ليست سعيدة !!

وكنمت ثورتى .. وغيرتى .. والنار المندلعة فى راسى ..
يجب أن أنصرف فى هدوء ..

انها استطيع أن أخرج الى الناس وأقول لهم أن سعيدة ليست
أختى .. وانها مجرد مومس أتيت بها لتؤنسنى فى وحدتى وتخفف
عنى الحرمان .. لا استطيع .. والا تعرضت لمحاكمة تأديبية ،
وطردت من سلك النيابة ..

ان كل ما استطيع أن أعله هو أن أنخلص من سعيدة .. فى
هدوء ! ..

ولم أترك لها فرصة للدفاع عن نفسها ، انها تسلكت بها ذات
صباح ، وأعدتها الى الاسكندرية ..

ثم عدت الى المركز وانا أحاول أن أظهار بأن شيئا لم يحدث
ولكن أختفاء سعيدة المأخىء أطلق الهمسات أكثر حدة .. وأعلى
ضجيجا .. ان اليه وكيل النيابة قد اكتشف سوء سلوك أخته ..
فأعادها الى الاسكندرية ..

انها ليست أختى ..

يجب أن تمهوا انها ليست أختى ..

انها امرأة أتيت بها لتؤنسنى فى وحدتى ..

ولكن الهمسات تشتد .. أكاد اسمعها بأذنى .. اسمعها من
عيون الناس ، وفوق السمتهم ..
وخرج خادى ولم يعد .. انه لا يطيق مواجهه اهل البلده وهم
ينحفظون عين اخى ..
— انها ليست اختى ..

يجب أن تلهموا انها ليست اختى ..
ولم اعد استطيع أن احتبل هذه الطمنات التى توجه الى اختى
.. الى شرمى .. الى كيانى .. وانحنيت على صغيتى المأبور
وهمست فى أذنه وأنا أحاول أن اقنعه بانى شلب له مخامرات :
— تعرف ان سعيدة دى مش اختى .. دى واحده كنت اعرفها
فى اسكندريه ، وجبتها نعيش معايا هنا .. اصل بينى وبينك أنا
مش واخذ على انى اعيش وحدى ..

ونظر الى المأبور وهو يخفى ابتسامته تحت لسانه ، وقال :
— ما تقولش كده يا محمود بيه .. مالها سعيدة هاتم ؟ دى
ست كويسه ، بس مش واخذة على عيشة المركز ..
انه لا يريد ان يصدق ان سعيدة ليست اختى ..

وانقلت لأهمسى فى أذن ضابط المباحث .. ونافذ المدرسة ..
ومهندس الزراعة .. ولكن لا أحد منهم يريد أن يصدق .. كلهم
مصررون على ان سعيدة اختى .. وهم يجاملوننى احيانا
وبتظاهرون بالتصديق .. ولكنى المح السخرية فى عيونهم ..
يا اولاد الكلب .. قلت لكم انها ليست اختى ..

وصباحى يرن فى المركز كله .. فيضحك الاهالى .. ويفندرون
بحكاية اختى ..
ولم اعد اطيق ..

وجلست وكتبت مذكرة بالقصة كلها .. بكل تفاصيلها ..
اعتزمت بكل شئ .. ثم قدمت المذكرة الى رئيس النيابة ، طالبا

تقلى من المركز ، أو غصلى من النيابة .. واستدعائى رئيس
النيابة ..

وذهبت اليه وأنا ارتعش من هول الموقف .. ولكنه استقبلنى
بإسماحة كبيرة .. وقال لى فى لحظة حمان ثقيل ممل ..
— ايه الكلام الذى لئت كاتبه ده يا استاذ محمود .. أنا بلغتنى
الحكاية كلها .. وافرض يا سيدى ان اختك غلطت .. وماله ..
كل السات سفلطوا .. هو ده اليومين دول عارف برس سنه والا
اخته .. أنا حا اقطع الفكرة بتاعتك .. وعزيزك ترجع المركز
وتسمى الحكاية خالص ..
لنه ايضا لا يصدق ..
لا يصدق انها ليست اختى ..

★★★

—
وخرجت من مكته دون ان حسه .. خرجت كنزويحه ..
وكتبت استقالى .. استقالنى من النيابة ..
وإلى اليوم اشغل المحاماه ..
وارفض كل قصه باسنى من هذا المركز ..
وشئ آخر ..
انى الى اليوم .. لا استطيع ان ارفع عينى الى وجه اختى ..

مكان لشاعر

البنات في دمشق يقرآن الشعر .. تصورا !
والشاعر هناك وحده الذى يستطيع أن يلهب عواطف البنات ،
وبشر خيالهن ، ويفتزع الآهات من قلوبهن .. ربما لأنه ليس في
دمشق نجوم مينا .. ليس فيها عمر الشريف ، وشكري سرحان ،
ورشدى اباطة .. ليس فيها الا الشعر .. والنجوم هم الشعراء !
وأنا شاعر ..

ولكنى .. سوء حظى شاعر أعيش في القاهرة ..

وسات القاهرة لا يقرآن الشعر ..

وسماء القاهرة ليس فيها مكان لنجم من الشعراء ..

وقد ذهبت الى دمشق وأنا أحمل قبة الشعراء هناك .. ذهبت
لأعمل مدرسا في إحدى المدارس الابتدائية .. وتعرفت بكثير من
الأصدقاء ، وبدأت أترنم أمامهم بأشعارى .. فإذا بهم يصقون
ويتمايلون .. ويستعيدون كل بيت عدة مرات .. واعتقدت أنهم
مجاهلون وأنهم يبالغون في مجاملتهم لى لانى خفيف عليهم
من القاهرة .. وحدث لهم فضيلة المجاملة .. أنهم خير من أصدقائى
في القاهرة الذين لا يكادون يسمعون شعري حتى يصرخون ..
كنايه فقهه يا أختنا .. ثم يدبرون أسطوانة : « يا أمه القبر
ع الباب » ..

ولكنى اكتشفت مع الأيام أن أصدقائى في دمشق لا يحاملونى
.. أنهم مفرمون بشعري فعلا .. ويسمعون ورائى ليستمعوا الى
مزيد منه ..

شكرا يا رب .. لأبد أنى وقعت على هؤلاء الأصدقاء بالصدفة
.. الصدمه الحبله .. الى جملتى انس عن أشعارى المكذوبة فى
صدري منذ عشرات السنين .. قصائد كالأولاد اليتامى أحملها فى
ملجأ من جوانحى ، ولا أجد أحدا يقرأها أو يشتق عليها
أو يحتضنها فى أفنيه ..

شكرا يا رب ..

وكان ربي أكرم مما اعتقدت ..

نقد أصبحت دائرة أصدقائى .. وكلهم يقبلون على كشاعر
لا كمدرس .. كلهم ينظرون الى كفتان بلهم .. كاتسان مثمير
وليس مجرد مدرس فى مدرسة ابتدائية .. و .. وحدث شيء أكبر
من خيالى ..

لقد جاء الى مندوب إحدى الصحف ومطلب منى إحدى قصائدى
ليشرها ..

مستحيل .. ان الجرائد لا تنشر عندنا القصائد الا اذا لحنها
عبد الوهاب .. تنشرها أكراما لعبد الوهاب لا للشاعر ..
وعبد الوهاب لم يلحن قصيدتى .. فلماذا يريدون نشرها ؟ !
ونظرت الى الأستاذ الصحفي فى بلاهة ، كانى لا أصدقه ..
بل انى فعلا لم أكن أصدقه ..

ولكنه الحق ، ودلائل الاهتمام تملأ وجهه ..

وأعطيتنه نصيدتى ، وأنا لا زلت لا أصدق ..

ووجدتها فى اليوم التالى ..

ووجدتها منشورة ..

لا فى مجلة أسبوعية .. لكن فى جريدة يومية .. وفى صفحة
كاملة .. رجعها هورنى ! وأحسست بنفسى انسابا آخر ..
أحسست كأن قامتى قد طالعت .. وأن خطواتى أصبحت أقوى

.. بدأت اعترف لنفسى بما كنت أنكره عليها .. اعترف بانى
عبرى .. وانى نجم ..

ثم ..

دعيت لاقاء فصائدي فى نادى الادب العربى ..
وذمت ..

يا الله .. كل هؤلاء جاءوا من اجلى ؟ انهم اكثر من الف ..
كانها حفلة اسياء المدينة .. كان شادية ستعنى : حبيبى ايه .. !
ونظرت الى الناس نظرات مرتبكة ، والرهبة نهلاً صدرى .
ان بينهن بنات ..

لماذا جاءت البنات .. هل حش لسماح الشعر ؟ ان البنات
عندنا فى القاهرة لا يسمح الشعر .. ولا يفهمته ..
لماذا جئن ؟ .. لا ادرى .. لا ادرى ..

وبدأت التى قصيدتى وصونى يرتعش .. كلى يرتعش ..
ودوى التصفيق وانما لم اصل الى البيت الخامس .. واستعاديونى
واسمر التصفيق .. والاستعاده .. ان البنات ايضا يصفتن !

وبعد ان انتهيت من القاء القصيدة تقدمت منى فتاة ، ومدت لى
يدها بورقة وقلم تطلب توقيعى .. توقيعى ايا .. انا .. انا لا اذكر
انى وقعت الا على كراريس الطلبة .. وآخر مرة وقعت فيها قبيل
ان احضر الى دمشق كانت على ايصال برهن ساعتى الذهبية .
ولكن هذه الفتاة تطلب توقيعى لتحفظ به اعجابا بنفسى .. كانى
عمر الشريف ، او احمد رمزي .. او رشدى اباطة !

ووقعت لها بيد مرتعشة ، وانا اسمعها تقول لى :

— بديع يا استاذ .. رائع .. ملتب ..

ونظرت الى نظرة سريعة .. انها جميلة .. صغيرة ..
والعينان خضراوان .. و .. ولم استطع ان انظر اكثر من ذلك ،

غلبنى ارنياكى وحيائى .. ولكنها عندما استدارت لى ، بدأت
تنظر اليها من جديد .. وقلبى ينخلع ..

وعدت الى بيتى ، وانا اكاد اظير .. انى لا اصدق انى هذا
الرجل الذى يلف حوله الف من البشر لسمعوا الى شعره ..
وتطلب فتاة موقعه ..

ولم استطع النوم ..

ان الدنيا احدى من ان ننام فيها ..

وبعد ايام ذهبت الى جامعته دمشق فى زيارة صديق لى ..
ورايها .. بعد العدة .. ورانى .. وجاءت الى تصافى وهى
نصيح مهلهل :

— اهلا يا استاذ ..

بآروح الاساذ .. ما عقل الاساذ .. يا ليل الاساذ ، ما بهار
الاساذ .. آد لو بطمين ماذا مقلت بالاساذ .. و ..

ولكنى تذكرت انى عبرى .. وانى نجم .. فكنت كل هذه
المناجاة فى صدرى ، وصافحها فى وقار .. وقار العائرة !

وقالت لى انها قرأت كل ما علرت عليه من شعرى .. وبدأت
ساقشنى فيه .. لا .. لا .. لم تكن تناقشنى .. كانت تذوب فى كل بيت
قراته لى .. وتحترق مع كل آهة اصورها شعرا .. ان الفتاة
الوحيدة التى تناقشنى فى شعرى وانا فى القاهرة كانت طالبة فى
القسم العربى بكلية الآداب .. فوق عينيها نظرات سمكة ..
وكانت ساقشنى كأنها سارلت وبعلطت واصاعت وقبها فى قراءة
شعرى .. ثم كانت تهدم بلمساتها كل بيت نكتبه ، انها لا تفهم فى
الشعر ، انها فقط تراجع دروس النقد التى تلقتها فى الكلية ..
ولكن هذه الفتاة ، فتاة دمشق .. انها تفهم الشعر .. تفهمه
محاطونها ومذوب فيه ..

واتفقتا على ان يلتقى ..

وصدقتى .. انها المرة الاولى التى التقتى فيها بفتاة ..

ولقائنا كله شعر .. انها تردد اشعارى .. وتتفزل فيها ..
وتجلس بجنى كأنها تحلس بجانب العبرى .. الفنان .. الشاعر
الخالف ..

واصحب لا اعيش الا لالقائها ..

انى احبها .. احبها ..

انها وحى شعرى .. ووقود فنى .. وشارة عبقرتى !

انها ثقتى بنفسى ..

وقد اذت ثقتى بنفسى .. اصبحت لا اجلس الا وساق فوق
ساق .. واصبحت احقر مهنتى كمدرس .. واحقر تلاميذى ،
وانصرف بصرفات الفنانين .. اكش شعرى .. واسرح بعنى ،
واعطى لنفسى الحق فى ان اكون قليل الادب !

واعلمت ليلى بحبى .. واعلنتى بحبها ..

وبدأنا نرسم معا صورا جميلة لمستقبل جميل ..

وليلى تقربى .. وتفخر بحبى .. وتذيعه بين صديقاتها ..
وتحدث به فى الجامعة ..

والجرائد تنشر صورى ..

واسر فى الشارع فيشير الى الناس ويسرون ورائى ..

ودق جرس التليفون فى بيتى .. انها فتاة تردد اشعارى ،

وينبى ان راسى .. فتاة اخرى .. ليست ليلى وحدها لكن !

والفتيت الفتاة الاخرى ..

ثم اذا بى اكتشف عالما كهلا من البنات .. جميلات .. اجس

من ليلى بكثير ، وكلهن يرددن اشعارى .. كلهن يلتفتن كل كلمة

انطق كأنهن يشربنها .. وكلهن يهبتن قلوبهن .. يهبتننى ..

يحترقن فى معبد فنى وعبقرتى ..!

وبدا حبنى ليلى يتكش ..

ربما لم احبها ابدا ..

ربما لم يكن من حق الفنان ان يقصر عواطفه على بنت واحدة :
حتى لا يخيب امل بقية البنات ..

وبدأت اهرب من ليلى .. واخذت ليلى تطاردنى .. تيكى
وتتوسل الى ، بحق امسيانا معا .. بحق الشعر الذى قلته غزلا
فى عينها ..

ولكن لا .. لا يا صغيرتى .. انى لا استطيع ان اخيب امل
بقية البنات ..

وبدأت اردد قول عبد الحليم حافظ : « انا لا احب احدا بالذات
.. ولكنى احب فنى » !!

انى عبقرى .. وليس بينى وبين عبد الحليم حافظ فرق ، وانكته
لا يغضب اذا اقتبست كلمة من كلماته الخالدة !

وعشمت فى عالم البنات .. وانا اكبر حتى اكاد افترع !

ثم .. كان يجب ان اعود الى القاهرة .. لقد انتهى عملى فى
ممشى ..

وعدت .. وعدت فنانا كبيرا مشهورا ، تحبه البنات ، ويلهب
عواطفهن بالشمعة ، ويثير خيالن ، وينزع الاهات من قلوبهن ..

واعتكفت فى بيتى وكنت قصيدة جديدة .. ثم خرجت الى
اصدقائى لآترأها لهم .. وما كنت اصل الى البيت الثانى حتى
صاح واحد منهم .. بلاش فقهه يا اخينا .. ثم ادار اسطوانة
« يا امه القمرع الباب » !

لابد انى ظلمت بهؤلاء الاصدقاء ..

ولكننى لا اجد اصحاء غيرهم .. وامشى فى الشارع ولا احد
يعرفنى ..

وأرسل قصيدتي الى الصحف فلا تنشر .. ومجلة روز
اليوسف نشرت بيتين منها في صفحة همسات القراء ..
والبنات .. أين البنات ؟
ووقفت في نافذتي ، وأشرت الى جارتي ، وبدأت أئسدها
تصيفتي فإذا بها تصرخ :

— يا أخينا ما يمكنكم عدل .. ايه البخريف اللي بنقوله ده !
لا .. لا .. لا .. ليس في القاهرة مكان لشاعر .. ليس في سمائها
الانجوم السينيا .. أريد أن أعود الى دمشق .. بلد الفنانين ..
بلد الشعراء .. ولكني لا أستطيع أن أعود .. ظروف حياتي
تمنعني من العوده ..

وأرسلت الى ليلى خطابا يؤكد لها حبي .. اني احبك .. احبك ..
.. تعالى نحقق حلمنا .. تعالى متروح واصنع لي من حلك مكانا
أستطيع أن أعيش فيه في القاهرة .. مكنا لشاعر ..
ولم ترد ليلى ..

القمار

أنا مقامر .. مقامر محترف ..

وقد بدأت أقامر وأنا في السادسة عشرة من عمري .. وكنت
أيامها أقيم مع أمي وأخوتي ، في الدقي ، والنف حولي بعض
الشباب من سكان العمارة ، وعلووني لعبة « السبعمه ونمى » ثم
لعبة « ٣١ » .. وكنا نلعب بقروش قليلة .. وربحت .. لا أدري
كيف ربحت ؟ ولكني كنت أربح باستمرار .. وشجعني الربح على
أن أعب بمبالغ أكبر .. وانتقلت من على المائدة التي يلتف حولها
سكان العمارة .. الى موائد أكبر ، تعقد في بيوت أولاد الذوات ،
وأصبحت وأنا في الثامنة عشرة من عمري أعب البوكر ، والبكاراه ،
و « البرغوت » وأكسب أو أخسر خمسين جنيها في دقيقة واحدة
دون أن نهتز شعرة من راسي .. وكنت أربح .. أربح باستمرار ..
واكتشفت في نفسي مواهب القمار .. هاتنا قوى الأعصاب ،
صحيث لا يهزني مكسب أو خساره .. وأنا ذكي قوى الملاحظة ..
والقمار ليس كله مجرد حظ ، انه أولا ذكاء وقوة ملاحظة .. ثم
انني محبوب من أصدقائي .. وأصدقائي هم كل لاعبي قمار ، حتى
لو لم اكن اعرف اسمه .. فكنت أستطيع أن اكسب قلوبهم وأخفف
من حدة ورهه الجو الذي يجثم فوق المائدة .. وكنت أستطيع في أي
وقت ان أجمع أي عدد من اللاعبين .. بل اني أصبحت اتدلل على
اللاعبين ، واختار منهم من أفضى معه ليلتي ، كالفاتة الفندورية
عندما تختار بين عشاقها ..

ولكن .. ربما كان أكبر من مؤهلاتي كمتأخر ، انى لم أكن املك شيئاً أخاف عليه .. لم يكن عندي مال يأخذه منى غيرى .. لقد بدأت اللعب عندما كنت صغيراً ، بخمسة قروش اقترضتها من الصديق الذى يجلس نحاسى .. وسعدت بعد ذلك ان ابدأ اللعب وأنا مفلس .. اقترض من اى واحد من اللاعبين أو من المتفرجين .. أما الربح الذى احببه منى آخر اذلل .. فلم يكن يبقى منى يدي الا ريشة تيمدا الليلة التالية .. كنت ابعثر كل ما اربحه بجنون .. كنت كريمة معها .. وكان كل اللاعبين يعرفون عنى هذا .. كانوا يعلمون انى اللعب للذة اللعب نفسه .. لا لأخذ الارباح واكون منب تروة .. وهذه هى أول شروط المقامر الاصيل ..

ومرت الأيام وأنا اللعب كل ليلة ، وفى الصباح اقبل صحيفيا من احدى الصحف .. ثم هجرت الصحافة ، وتفرغت للمقامر .. فلم أكن صحفيا لامعا ، ولكنى كنت مقلرا لامعا ..

ومع مرور الأيام احترفت المقامر ..

وأصبحت اعتقد المولود لحسابى ، وأحصل لنفسى على قيمة « الجانيوتا » .. وكانت الموائد التى اعقدتها هى أغنى الموائد وأرقاها .. وزادنى أرباحى ، وزاد بذخى .. لو قلت لك انى كنت اكسب فى الشهر الواحد أكثر من ألف جنيه - مانى لا اناك ، ورغم ذلك كنت دائماً مفلساً .. أصبح عندى سيارة ، وشقة أنيقة ، وأصبحت ارتدى أفضل الثياب ، ولكنى دائماً مفلس .. أبداً ليلتى - وكل ليلة - بالاقتراض من أحد اللاعبين أو من أحد المتفرجين ..

وكانت سعيداً بحياتى .. لم يكن فيها شيء يقلقنى .. حتى بوليس الاداب الذى يتبع المقامرين لم يكن يقلقنى أو يخيفنى .. ولم يكن التهرب من البوليس امراً يقتضى منى أدنى تفكير ، فقد كنت أعلم انه بوليس أعجز من أن يصل الى موائد المقامر .. مستحيل عليه أن يصل اليها .. منى تمتد فى بيوت لا يمكن أن

تثير شبهة البوليس ، أو يخطر على باله مهاجمتها .. ولو ذكرت لك أسماء العائلات التى كنت اعد فى بيوتها الموائد الخضراء ، لذهرت .. ورغم ذلك فلم يكن كل اصحاب هذه البيوت من المقامرين .. انها كانوا يؤجرون بيوتهم للمقامر .. كنت ابقى مع صاحبة البيت على ان تستضيفنى أنا واصدقائى ، نظير عشرة جنيهات ، وأحياناً يرتفع الإيجار الى خمسين جنيهاً ، حسب قيمة العائلة وقيمة اللاعبين ، ولم تكن سيدة البيت ترى فى استضافتنا بظهوراً يجرحها أو يثير حولها الاقارب ، منى تستضيف اشخاصاً يحترمون مذهبين ، رجالاً ونساءً ، وكل ما هنالك انهم يلعبون فى بيتها « كونهشينة » للتسلية .. مجرد التسلية !

وهكذا عشت .. مطمئناً .. بعيداً عن البوليس .. سعيداً ..

ولكنى .. وإن كنت سعيداً بحياتى ، فانى لم أكن فخوراً بها .. كان هناك دائماً شيء ينقصنى .. صفة أستطيع أن أواجه بها الناس .. وكانت هذه الصفة التى انتهى ان أواجههم بها هى صفة .. لأديب ! ..

من صغرى ، وأنا اتبنى ان أكون ادبياً .. له كتب .. ونه مقالات ، وله اسم على السنة للناس .. وقد اشتغلت فى الصحافة لأكون ادبياً .. وفشلت فى الصحافة .. ولكن حلى ظل يرادنى .. ويلج على .. يجب ان أكون ادبياً !

وكانت أفرا كثيراً .. وكانت أغلب قراءاتى فى الادب الفرنسى ، وقرأت مرة قصة لموريك .. قصة شائقة رائعة .. ماذا لو ترجمت هذه القصة ، وبشرتها فى كتاب باسمى .. وسجلت نفسى فى قائمة الادباء ..

وحاولت ان انخلص من هذا الحلم ..

اهلكت قصة موريك شهوراً عديدة .. وأنا اصر على ان اترعر

لاحتراف القمار ، ولحياتي السعيدة .. ولكن القصة كانت تنمى ..
.. وتلج على .. وتورثنى ..

ثم فجأة ، فى يوم من الأيام ، وجدت نفسى جالسا الى مكتى
أترجم القصة .. وبجهدت مى برجمها ، .. الى حد انى اصبحت
أغيب ليالى كثيره عن موائد القمار .. وخسرت ارباى فى تلك
الليالى ، ولكن لا .. - ساعوس الربح - بعد ان اطبع الكتاب
وأبيعته .. وسبكون ربحا لذيذا .. الذى من ربح القمار ..

وانتهيت من اعداد القصة ، وكنت المقصية والاهداء ..
أهديته الى روح أبى ..
كيف أطبعه ؟ ..

لقد كتبت أعرف انه من المستحيل على أن أجد ناشرًا يتولى
طبع كتابى ، فأتى لا زلت مجهولا فى عالم الأدب ، والناسرون
لا يطبعون الا كتب الأدياء المشهورين .. والكتب المضمونة الربح -
والوسيلة الوحيدة أملى لنشر كتابى ، هى ان أطبعه على حسابى .

وأقدمت على طبعه بروح المثالم .. قررت ان أطبعه على ورق
فاخر .. وان اصنع له غلافًا من ورق البريستول الثمين ، مطبوعا
بخمسة ألوان .. وان اطبع منه خمسة عشر ألف نسخة . إن
مورباك وأنا نستطيع ان نبيع أكثر من ذلك ..

كم يتكلف المشروع ؟ ! ستة آلاف جنيه .. ولو ..
صحيح انى مفلس .. وقد كتبت مفلسا دائما .. ولكن الانلاس
ليس معناه الا نجد نقودا ..

وقررت ان أمتدين .. ان أصدقائى كثيرون ، وكلهم يرحبون
باتراضى .. ولكن الاقتراض للعب القمار - غير الاقتراض لمشروع
أدبى فخم .. ان دين القمار دين شرف ، والمقرض يفترض فيه
الشرف .. ولكن الاقتراض لطبع كتاب دين تجارى .. والتجار
لا يفترضون الشرف فى أحد ؟ !

وعلى غير عادتى .. اقترضت ، وكتبت شيكا رابعا لصاحب
المطبعة ..

وتم طبع الكتاب ..

خرج أتيتا لامعا .. رابعا .. يحمل اسمى ا
وأعلنت عنه فى الصحف ..

وطرخته فى السوق ..

ولنا ادور على الباعة والمكتبات ، وانظر الى الكتاب الذى
يحمل اسمى ، وأبسم مخورا بنفسى .. لقد أصبح لى أخيرا صفة
استطيع ان أواجه بها الناس .
ومرت الأيام ..

شهر .. شهران .. ثلاثة ..

اندرى كم نسخة بيعت من الكتاب ؟ ! .. اربعمائة نسخة ..
اربعمائة نسخة من خمسة عشر ألف نسخة ..

وبدا أصحاب الديون يجرون ورائى ..

وعدت الى موائد القمار ، لعلى أستطيع ان أسدد ديونى من
أرباى .. ولكن يبدو أن الحزارة التى تركها فنش الكتاب
ومشاكل الديون التى تلاقتنى .. كل ذلك قد أثر فى صفاء ذهنى ،
وقوة ملاحظتى ، فأصبحت أحسر على موائد القمار .. وأخسر ..
وأخسر .. ثم أصبحت أمقد أعصابى ، وأصبح اللاعبون يضيئون
بى ، ويهربون منى ..

وينس الدائنون منى .. ولم يرحمونى ..

ساعوا سيارتى ، واثاث بيتى ، وثيابى .. ثم ..

قدموا الشيكات التى فى أيديهم الى النيابة .. شيكات بلا
رصيد .. وقدمت للحاكمة .. وحكم على - بالحس ثلاثة شهور .
وأكثر ما يضايقنى أن الناس تعتقد انى سجنتم كمتالم ،
لا كاديب !!

الشخصية الجديدة

انا طالب في كلية الحقوق ..

ولعل واحد من يحملون لقب « ابن ذوات » فعائلتي لها اسم كبير قديم ، وأبي غنى ، وعندى سيارة .. سيارة لى وحدى .. ومنذ ولدت وأنا اركب سيارة .. انى لم اركب الاوموبيس او الترام فى حياتى ..

ورغم ذلك فأتى لا اشعر باى « ابن ذوات » ولا بانى املك سيارة .. كل ما اشعر به هو انى ضائع بين اصدقائى .. انى موضع سخرتهم دائما .. اتى ضعيف ..

وطول حياتى وأنا احاول ان اتغلب على هذا الضعف . احاول ان امر قويا مثل اصدقائى .. ان امنعهم من السخرية بى .. ان اتفوق عليهم فى شىء ..

حاولت ان اكون بطلا رياضيا .. لعبت التنس ، والاسكواش ، والفوتبول .. ولكن لا امل .. لا استطيع ان اموق .. وجسدى لا يريد ان يشدد ، وعضلاى لا تزال محفیه تحت جلدى ، وعظامى لا تزال طرية ..

وحاولت ان اتفوق فى الدراسة .. ان انجح بدرجة ممتاز .. ولكن لا امل .. اى كلما جلست للاسندكار ناه عطفى .. وحملنى خيالى بعيدا عن الكتاب .. ورسبت آخر العام ..

وحاولت ان امثل دور الشاب صاحب الشخصية القوية .. فكننت اضع على وجهى تمبرا جادا .. ولا ابتمس الا قليلا ..

واتكلم بصوت غليظ .. واتعالى على الناس .. ولكن هذه الشخصية المربقة كانت لا تلبث ان تذوب اذا حدثت مناقشة بينى وبين اصدقائى .. وابدو امامهم على حقيقتى .. ضعيفا .. ضالعا ، غيبا .. واحيانا ابكى ..

والسات .. حاولت ان يكون لى بنت .. ان كل صديق من اصدقائى له بنت .. وبعضهم له اكثر من بنت .. وشكلى ليس منفرا .. ان وجهى وسيم رقيق ، يفتح ضعفى .. ثم انى من عائلة كبيرة .. وابى غنى .. ان صفات فى كثيرة تغرى البنات .. وربما كنت خجولا مطويا لا احرؤ على القرب الى مساة ودعوتها الى سمارى .. ولكنى كنت اتاوم هذا الحبل والاطواء ، واختار بنتا اتقدم لها ، ثم لا اكاد اعزمها وبلقتى مرة او مرتين حتى « يطلشها » حتى احد اصدقائى .. ويسخر الياقون منى ! واتعذب ..

واتعذب بشخصيتى الضعيفة المنهارة .. لماذا انا ضعيف ؟

ربما انى وحيد والدى .. اى وابى يذلانى كثيرا .. ويعاملانى حتى اليوم كائى طفل صغير .. وأمى لا تكف عن يقبلى .. وأمى لا يرفض لى طلنا .. ويكنى ان اغضب غضبة صغيرة حتى يهتز البيت كله ..

وربما كانت هناك اسباب اخرى ..

لا ادري .. ولكنى اتعذب ..

وكان اصدقائى كلهم يترددون على بيت واحد منهم ، ويجتمعون لاستذكار دروسهم .. وكنت اذهب معهم .. ولم تكن نذاكر .. كنا نلعب اغلب الوقت ونحدث ! ..

ولاحظت ان هؤلاء الاصدقاء مهتمون بالتطلع الى البيت المقابل .. ان فى البيت المقابل بنات ..

واستنتجت ان لأصدقائى علاقة بهؤلاء البنات .. كل منهم قد
اختار بنتا .. تخرج اليه فى الشرفة لتبادله الإشارات .. وتحدثه
فى التليفون حديثا يستغرق ساعات ..

ولكن أصدقائى لا يظلموننى على مرهم ..
انهم يقبضون الهبسات أمامى ، دون أن يشركونى فيها ..
انى بينهم كائى لست موجودا ..
ولدت عليهم ..

ثورة كثورة الأطفال الصغار ..

ان من حلى ان أشاركهم أسرارهم .. انى واحد منهم ..
واستقبلوا ثورتى ساخرين كعادتهم .. ولم أستسلم لسخرينهم
.. بدأت أضايقهم فى علاقاتهم ببئات الجيران .. كنت أخرج
الى الشرفة كلما خرجت بنت الى الشرفة المقابلة .. وأشير لها
إشارات صبيانية ، وأرفض أن اترك مكانى لصديقى الذى اختارته
لنفسها ، وكلما دق التليفون وقفت بجانب الصديق الذى يحدث ..
وأخذت أضايقه .. أصرخ .. وأغنى .. وأقطع المحادثة ..

ثم .. ثم قال لى أصدقائى ان ميمى ، ابنة عم بنات الجيران ،
كانت فى زيارتهم ، ورائتى فى الشرفة .. وأعجبت بى ، وسألت بنات
عنها من نبرة تليفونى .. وبنات عمها سالوا أصدقائى ..
فأعطوهن النمرة ..

وعدت الى البيت ، ووابطت بجانب التليفون ..

يوهان ..

ثم تحدثت ميمى ..

بقينا نخاطب نصف ساعة ..

وجريت الى أصدقائى أبلغهم بنأ المحادثة ، منظرًا معصم الى
بعض ساخرين .. وانطلق واحد منهم يضحك بصوت عال .. لهم
لا يصدقون !

وتحدثت ميمى مرة ثانية فى المساء ..

حدثتني ساعة ..

وأصبحت ميمى تحدثنى كل يوم مرتين .. وأحيانًا ثلاث
مرات .. وكان حديثها فى الأيام الأولى يبدو مغتلا ، ويميل الى
المزاح .. ولكن حديثها بدأ يهدأ .. ووجدت نفسى انحدث اليها كما
لم أتحدث الى أحد من قبل .. انى انطلق فى الحديث .. لا أتردد ،
ولا أرتك ، ولا أخجل .. أبهى فلم يكن حديثها كحديث بقيقه
البنات .. لم تكن ضحكت عن آخر الأسطوانات التى سمعتها ..
ولا عن الأفلام .. ولا عن نادى الجزيرة .. كانت تتحدث قليلًا ،
وتبدو دائها حزينة منكسرة ، كأنها تخفى فى صدرها عذابا ..

وأذهب الى أصدقائى ، وأحدثهم عن ميمى .. فيتبادلون
هذه النظرات الساخرة ، وبعضهم يضحك بصوت عال .. انهم
لا يصدقون ! ..

وأخيرًا استطعت أن أقتع ميمى من نلتقى .. وقد ترددت كثيرًا
قبل ان يوافق على اللقاء .. بل لها خدشنى بأنى لن أجدها جميلة
.. ولكننى صممت .. ولا أدري من أين أتيت بقوة التصميم ..
ربما جئت بهذه القوة من تصميمى على تحدى أصدقائى ، وربما
كانت ميمى تثير فى قوة جديدة لم أشعر بها من قبل .. قوة الرجل
بـ: قوة السيد ..

ولقيتها ..

انها جميلة .. وغريبة ..

سراء .. فى الخامسة عشرة .. وجهها مستدير ، كوجه فلاحه
حطوة .. وربما لاحظت انها لا تجيد عقد شعرها ، ولا تجيد
وصف « الروح » على شففتها .. وثوبها يبدو واسعًا عليها .. ولكن
هذا لا يبنى أنها جميلة ..

وهى عريضة .. انها تجلس بجانبى فى السيارة منطوية ..

فجاء ثنى بـحركة حليمة كانها تذكرت دورا يجب أن نقوم به .. ثم
تعود مرة ثانية وتتكشى فى ركن السيارة منطوية ..

وأنا سعيد بها ..

انى أشعر بجائنها انى قوى .. اقوى منها ..

— انى رجل .. انى سيد ..

وتركتها .. وجريت الى اصدقائى لاروى لهم ما حدث بينى
وبين ميمى .. وبطر بعضهم الى بعض ساحرين ، وانطلق احدهم
يضحك بصوت عال .. انهم لا يصدقون .. وقد بدأت أكره هؤلاء
الأصدقاء !

وعدت اقبال ميمى ..

كم مرة قابلتها .. ثماني مرات .. لا .. تسبعا .. وقد
استغفيت بها عن كل اصدقائى .. لم اعد اتردد على هؤلاء
الأصدقاء .. لم اعد اطلق سخريتهم وضحكاتهم .. ولم يعد فى
حياتى الا ميمى .. اعيش بجانب التليفون لأجادثها .. الى أن
القاها ..

وقد قبلتها ..

ربما كانت ميمى هى اول فتاة اقبلها ، وأشعر بطعم القبله فوق
شفتى .. وقد تيلت قبلها بنات .. ولكنى كنت اقبلهن كطفل ..
قبله بشوهدا حياىى وضعف شخصيتى .. كانت البنات هن اللاتى
يقبلننى لا انا .. اما ميمى .. فانا الذى اقبلها .. قلة رجل ..
قبله تبض بشخصية كاملة ..

الى ان كان يوم .. وانهى لقائنا .. وقتل ان تترك مكانها
بجائنى فى السيارة قلت لها وأنا اضطل على يدها بيدى :

— حدثينى اليوم فى التليفون ..

ومطرت الى طويلا .. نظرة غريبة .. ثم سحبت يدها من يدى
وقالت لى وهى تدير وجهها عنى :

— لا .. لن اجادثك ..

قلت فى دهشة :

— لماذا .. لماذا جرى .. ؟ !

قالت وهى تنظر امامها :

— لن اجادثك .. ولن القاك ..

قلت وأنا اشد دهشة ، وقلتى ينقبض :

— ماذا جرى ؟

قالت :

— انك لا تعرفنى ..

قلت وأنا أقترب منها وانظر لى وجهها احاول ان اقراه :

— انى اعرفك .. واحبك ،

والتفتت الى بعينين شائرين وقالت فى حدة :

— انك لا تعرفنى .. لا تعرفنى .. لا تعرف حتى اسمى .. ان

اسمى لجن ميمى .. وليس مرفت .. وأنا لست ابنة عم احد ..

انا .. انا ..

وخفت صوتها .. وتكست رأسها ، وقالت كانها تهم بالكاء :

— لقد خدعوك غى .. انى مقلب اوتعوك فيه .. فقد اتفق

اصدقاؤك مع البنات على ان يطلبوا منى ان اجادثك فى التليفون
ليضحكوا عليك .. فاجادثك .. ولم اكن ادري ان كل ذلك سيحدث

.. لم اكن ادري انى صاحبك ..

قلت وأنا لا انهم :

— ولكنى اجبتك و ..

— انك لا يمكن ان تصب خادمة .. انا خادمة .. خادمة .. انا

بعيمة الخادمة !

وسكتت .. وسكت .. احسست انى اغرق فى ضباب كثيف ..

احسست ان شخصيتى الجديدة التى اكتسبتها — شخصية الرجل ..

— بدأت بنوب .. لقد سخر منى اصدقائى مرة أخرى ..

وسمعتها تقول ودعوها تنحدر على وجنتيها ؟
 — ان هذا الثوب هو ثوب ستي هدى .. لقد اقرضته لى فقط
 لامثل الدور عليك .. لقد كنت بقرضنى ثوبا كلما جئت للقائك ..
 وعندما اعود اخلع الثوب واعده لها ، واروى لها كل ما حدث
 بيننا لترويه بפורها الى اصدقائك ..
 وسكنت .. وفنحت باب السيارة ومزلت منها دون ان نظل
 الى ..

الزوجة الثانية

وسكاكين حادة تمزق لى قلبى ..
 وعدت الى بيتى .. وكأنت هناك فكرة واحدة تسيطر على
 تفكيرى .. ان اقتل اصدقائى .. ان اقتلهم جميعا ..
 نعم .. ساقولهم .. وجريت الى مكتب ابى واخفت المسدس ،
 واطلأنت الى انه محشو بالرصاص .. ثم ركبت سيارى واجيت
 الى البيت الذى تعود اصدقائى ان يجتمعوا فيه .. وقتل ان ادخل
 .. ترددت قليلا .. ثم وجدت نفسى اتجه الى بيت الجيران ..
 وصعدت السلم وثبا .. ثم وقفت ادق الباب بكلنا يدى ..
 وفنحت لى هدى ، وصرخت فيها :
 — فمين نعيمه .. فمين نعيمه الخدابه ..
 وربما كان الجنون يبدو فى عيني .. فقد تراجعت هدى من
 امامى ، وانا اسمعها تصرخ :
 — نعيمه .. نعيمه ..
 ورايت نعيمه امامى .. ودون ان اتكلم .. جذبها من يدها ..
 وسحبها ورائى على السلم .. ثم اركبتها بجانبى فى السيارة ..
 وانطلقت .. بسرعة مجنونة .. و .. ووقفت بها فى المكان الذى
 تعودنا ان نقف فيه كلما التقينا ..

 اتردى .. لقد نجحت هذا العام فى الامتحان .. نجحت
 بتفوق .. بدرجة ممتاز !
 ولدت ابى .. لم يطلتها .. ولكنه هجرها ..
 وقد بدا هجره بلبلة يفيها عن البيت كل اسبوع .. ثم اصبحت
 الليلة .. ليلتين .. ثم اصبحت بغيث ثلاث ايام .. ثم يغيث الاسبوع
 كله .. ثم عرفت امى انه تزوج امرأة اخرى .. مطلقة .. ولم
 تعترض امى .. ولم تثر ..
 ولم تطالب بالطلاق .. كل ما فعلته انها حرمتها من نفسها ..
 لم يعد له عليها حقوق الأزواج .. وقد عاد بعد شهر يطالب بحقه
 .. ان ينام فى البيت ولو ليلة واحدة .. ولكنها رفضت .. وثار
 الى وهدهد .. وأصررت على الرخص ..
 وقررت امى بينها وبين نفسها ان تهب عبرها لاولادها .. اما
 .. وكنا خبسة .. ولدين وثلاث بنات .. وانا اكبرهم ..
 وقد عشت طول صبرى اتسائل .. لماذا لم تطالب امى الطلاق
 .. لا يمكن ان يكون السبب هو ما يدفعه ابى لها للاتفاق علينا ..
 فهى لو طلقت لاستطاعت ان تقاضيه وتستعصر حكما بالاتفاق
 علينا ، يوازى نصف ما ينفقه .. ولم اعلم الا اخيرا ان امى ظلت
 محتفظة بنفسها زوجة له .. حتى تحصى بمسها من الرواح من غيره
 .. حتى لا تضعف امام رجل آخر يتقدم اليها ، وحتى لا تخضع
 لضغط اهلها عليها لتتزوج مرة اخرى .. ملا تها كل عبرها ..
 لقد سجنتم نفسها فى رقة الزواج .. زواج بلا رجل .. من اجل
 اولادها .. من اجلنا ..

وسكاكين حادة تمزق لى قلبى ..
 وعدت الى بيتى .. وكأنت هناك فكرة واحدة تسيطر على
 تفكيرى .. ان اقتل اصدقائى .. ان اقتلهم جميعا ..
 نعم .. ساقولهم .. وجريت الى مكتب ابى واخفت المسدس ،
 واطلأنت الى انه محشو بالرصاص .. ثم ركبت سيارى واجيت
 الى البيت الذى تعود اصدقائى ان يجتمعوا فيه .. وقتل ان ادخل
 .. ترددت قليلا .. ثم وجدت نفسى اتجه الى بيت الجيران ..
 وصعدت السلم وثبا .. ثم وقفت ادق الباب بكلنا يدى ..
 وفنحت لى هدى ، وصرخت فيها :
 — فمين نعيمه .. فمين نعيمه الخدابه ..
 وربما كان الجنون يبدو فى عيني .. فقد تراجعت هدى من
 امامى ، وانا اسمعها تصرخ :
 — نعيمه .. نعيمه ..
 ورايت نعيمه امامى .. ودون ان اتكلم .. جذبها من يدها ..
 وسحبها ورائى على السلم .. ثم اركبتها بجانبى فى السيارة ..
 وانطلقت .. بسرعة مجنونة .. و .. ووقفت بها فى المكان الذى
 تعودنا ان نقف فيه كلما التقينا ..

اتردى .. لقد نجحت هذا العام فى الامتحان .. نجحت
 بتفوق .. بدرجة ممتاز !

وكان أبى صاحب ورشة .. كان يكسب كثيرا ، وكان بعد أن هجرنا يرسل إلينا ما يكفينا للعيش فى ستر .. كنا نسكن شقة من أربع غرف فى حى السبالة وكنت واحوتى نذهب جميعا إلى المدرسة .. ولكن أبى بدأ ينشغل بزواجه الجديدة من عمله .. وعنا .. ثم لم يكف بالزوجة الجديدة .. نروح مرة ثالثة .. وأصبح له ثلاث زوجات وثلاثة بيوت ينفق عليها ..

ورغم أنه لم ينجب من زوجته .. الثانية والثالثة .. إلا أنه كان ينفق عليهما أكثر مما ينفق علينا .. وكانت يده تزداد ضنا علينا شهرا بعد آخر .. حتى اضطرت أمى أن تنتقل بنا من الشقة التى كنا نسكنها إلى شقة مكونة من حبرتين ، فى شارع السد .. ثم .. وأبى يزداد ضنا علينا .. اضطرتنا أن تنتقل إلى حجرة واحدة نقيم فيها كلنا ، إيجارها خمسة وعشرون قرشا فى الشهر .. وأخرجتنا أمى من المدارس ..

كان يجب أن تعمل ، وأن تكسب لقمة العيش .. وأرسلتنى أمى لاشتغل سبى حلاق حتى أتعلم الحلاقة .. وأرسلت أخى إلى ورشة صغيرة فى الحى يتعلم فيها تصليح السيارات .. وبدأت تعرب الأختين على الخياطة .. وهى نفسها بدأت تعمل خياطة ..

وكل ذلك وأبى لا يرحمنا .. ويقيم مع زوجته .. وكل منهما فى شقة كبيرة فى حى الروضة .. وأبى صابرة ..

لا تطالبه بالطلاق .. ولا تطالبه بمنقة .. إلا ما يعطيه لها تفضلا منه ..

وكبرت وأنا أكره أبى ..

كنت أذهب إليه وأقيم معه أياما .. سواء فى بيت الزوجية الثانية أو الزوجة الثالثة .. وأحس أبى انتقم منه .. انتقم منه

بزيارنى له .. وانتقم منه وأنا أكل على مائدته ، وانتقم منه وأنضرب أولاد زوجته .. وكانت لاحداهما ابنة وللأخرى بنت وولد ..

ثم بعد أن كبرت أصبحت انتقم منه بطريقة أخرى .. أصبحت كلما ذهبت لأقضى أياما عنده ، أغرى بنتى زوجته .. وأنالهما .. أشبع شبابى منها .. أنه انتقم لذيد .. ولكنه انتقام ..

وقد استطعت أن أصبح حلاقا .. حلاقا ناجحا .. وبدأت أكسب كثيرا .. وكان كل هوى أن أعوض أمى عما قاسته فى سبيلنا .. وأن أرحم أخوتى مما كبت عليهم أبى .. فاستطعت مكسبى ، أن أستاذر لنا شقة حديثة واسعة .. فى حى المنيل .. وأن أزوح أختى .. وأن أساعد أخى ليشارك أحد زملائه فى افتتاح ورشة .. وانكر أن الشقة التى استأجرتها كان فى حمامها بانيو .. وأكثر ما عرحت به هو هذا البانيو .. أن أبى تستطيع اليوم أن تستحم فى بانيو .. وكنت أدخل بنفسى وأملأ البانيو بالماء الساخن وأدعو أبى إلى الحمام .. لقد كنت أدللها كثيرا .. أنى أحبها .. بقدر ما أحببتى وتعبت من أجلى ..

ولكنى ظلمت أواظب على زيارة أبى .. أواظب على الانتقام منه فى بنتى زوجته .. كان هناك شىء يجذبنى دائما إلى بيتى أبى .. بيت زوجته الثانية ، وبيت زوجته الثالثة .. ربما كان المرح الذى يملأ البيت .. وربما لأن زوجته ليست جادتين حزينتين دائما كأمى .. وأولادها لا يحملون الهم كالخوسى ..

ورغم كل شىء .. فلما لا أستطيع أن انكر أن أبى كان سعيدا فى حياته ..

ثم كان يوم .. وسمعت زوجة أبى — الثانية — تطالب منه أن يزوجنى بابنتها .. ولم أسع حديثها صدفة .. بل سمعته استراقا .. فقد تمودت أن أسرق للسبع كلما ذهبت للآقامة فى بيت أبى ..

وخفت .. خفت ان تكون زوجة ابي قد نصت لى شركا لاتروح
ابنتها .. انى اعرفها .. انها قادرة على نصب الشراك .. وانا
لا اريد ان اتزوج هذه الفتاة .. كيف اتزوجها وقد اشمعت منها
شبابى .. ثم كيف اتزوج ابنة ضرة امى .. لو تزوجتها غسمتوت
امى كهذا ..

وجريت الى امى وطلبت منها ان تزوجنى .. قلت لها اريد
فتاة مثلها فى اخلاقها ، وفى عقلها ، وفى قوة احتمالها ..

وزوجتنى امى .. زوجتنى من ابنة اختها ..

وكانت زوجتى كأمى فعلا .. قوية مثلها .. صابرة مثلها ..
جادة مثلها .. عفيفة مثلها .. بل تمتاز على امى بانها مخجلة ..
تقرأ وتكتب ..

وسعدت بزوجتى .. انها تحبني .. انها خادمتى .. انها
تكاد تفرش لى الأرض بربوش عينيها ..

وكان يجب ان ابقى طول عمرى سعيدا ..

ولكن بعد ثلاث سنوات .. وبعد ان انجبت ولدين وستا ..
تأملت زينب ..

وزينب سيدة مطلقة ، قابلتها عندما زرت زوجة امى .. مرحة
مثلها .. بخاضة مثلها ..

وشغلتنى زينب .. وعرفت ان لا سبيل اليها الا اذا تزوجتها ..
لا .. لا يمكن .. لن اتزوجها ..

لن اكرر مأساة ابنى .. لن اعرض اولادى لما عرضنا له ابنى ..
وزينب لا تزال تشغلنى ..

ولكن .. لماذا اسمى حياة ابنى مأساة .. لقد عاش سعيدا ..
لا .. انها مأساة .. لقد تخلى عن اولاده .. هنا ..

لن افعل مثله .. ابدا .. لن افعل مثله ..

ولكن .. مأساة ابنى انه تخلى عن اولاده ، لا لانه تزوج امرأة
اخرى ..

اى انه لو لم يتخل عن اولاده .. لما كانت هناك مأساة ..
وطلب زيب بشاغلنى ..

انى أستطيع ان اتزوجها .. لماذا لا اتزوجها ..

كل ما همالك يجب ان احرص على الاتفاق على اولادى .. حتى
لا تتكرر مأساة ابنى ..

وقررت بينى وبين نفسى ان اتزوج زينب ..

وبدا امانى كل شىء سهلا .. واضحا .. سأتزوج زينب ..
وستبقى زوجتى الاولى مع الاولاد ، وسأنتق عليهم .. وكان الله
يحب للمحسنين .. ان زوجتى لا يمكن ان تطلب الطلاق .. انها
كأبى .. انى اعرفها ..

وفاتحت زينب فى الزواج ..

وسهرت عندها ليلتها حتى الواحدة صباحا .. ومعا اهلها
طبعاً .. وعدت الى بيتى سعيدا .. نشوان .. والحياة سهلة ..
جيدة ..

ووجدت زوجتى جالسة فوق الفراش ، ووجهها مكشفر ..
وانسمت لها .. ولكنها لم تبسم .. وسألتنى فى وقاحة :

— كنت غيب ؟

ودعشت للسؤال .. صحيح ان هذه هى المرة الاولى التى
اسهر فيها خارج البيت حتى الساعة الواحدة صباحا .. ولكن
امى لم تكن تسيال أبى : كنت غيب .. فكيف تجرؤ زوجتى على
سؤالى ؟ !

ورغم ذلك فلم اكن اريد ان اعكر سعادتى ونشوتى ، فكذبت
على زوجتى وتقبلت كذبتى كأنها لا تصدقها .. وقالت فى حزم
عجيب :

— تاتى مره ما تتأخرش !!

وسهرت ليلة أخرى عند زينب .. وعدت فرحان نشوان ..
لهذا بى اجد زوجتى تبكى .. ثم لم تكد ترانى حتى انطلقت
فى وجهى كالدفع الرشاش .. كالصاروخ .. ولا تريد أن تهذا ..
لا تريد أن تكف عن الصراخ .. وتبددت فرحتى ونشونى .. ولم
انم .. قضيت طول الليل استمع الى صراخها ..

ورغم ذلك .. عبت وسهرت عند زينب ..

واستقبلتنى زوجتى صارخة :

— طلقنى .. طلقنى ..

اطلقها .. كيف ؟

ان امى لم تطلب الطلاق من ابى حتى بعد ان هجرها .. فكيف
تطلب زوجتى الطلاق ؟!

كيف تطلب الطلاق وهي كالمى .. والاولاد .. الم تفكر فى
الاولاد ..

وسكت .. لابد انها جنت ..

وصرخت زوجتى كأنها سبعت ما يدور بينى وبين نفسى :

— طلقنى وخذ ولدك .. خللى مست زينب بقاعتك تربيهم لك ..

يا .. يا ..

وانهالت الشتائم .. كل ما هينى هم الاولاد ..

— ان زينب لا تستطيع ان تربيهم .. ان زوجة ابى لم تربنا ..
ولم اكن اقبل ان تربينى او تربى اخوتى .. انها صنف من النساء
لا يصلح لتربية الاولاد ..

وزوجتى لا تزال تصرخ .. ظلت تصرخ حتى الصباح ..

وذهبت الى عملى بلا نوم .. ولم اكد انحنى على اول ربون ..
حتى وجدت خالى يدخل على ويجفبنى من فراقى ، ويهمس فى
اذنى :

— ايه اللى انت حاتعمله ده .. صحيح حا تتجوز زينب ..

مش ككايه اللى عمله اموك ..

ثم جاء زوج خالتي .. ثم حامت امى ..

واضطرت ان اترك عملى واذهب الى البيت لاجادلهم ..

وبركتهم ساعطا ومرت لاجلس فى المقهى المحاور للبيت .. فاذا

بصاحب المقهى يصيح فى وجهى :

— ايه الحكايه يا اسطى محمد .. حد اليومين دول يتجوز

على مراته .. ده لنت مراتك ست اميره .. يا راجل اعقل .. بلاش

دناوه ..

والاسطى حسنين الميكانيكى ..

وسى جوده افندي رئيس حسابات قلم القيودات بالمحافظة ..

شهبه .. زبائنى ..

زبائنى الذين اعتر بهم .. كلهم عرقوا بالحكاية .. كلهم فوق

راسى .. كلهم يهدونتنى ..

ان زوجتى لم تترك احدا من اصدقائى و من زبائنى ؛ الا

وسلطته على ..

انها ليست كالمى ..

ليست كالمى ابدا ..

ولم اتروح زينب ..

وشتاء ، ومن نور وظلام ، ومن برد وحر .. فلماذا يصر الإنسان على أن يعيش هذه الحياة على وبيرة واحدة .. لماذا يتقيد خطواته ، وبقيد روحه في داخل غلبة ضيقة ، يسيبها التقاليد .

واحببت هذه الحياة .. حياة كمال ..

واحببت كمال .. واحببى كمال ..

وعشنا يوما بيوم .. وساعة بساعة .. كل يوم جديد .. وكل ساعة جديدة .. ولا مسئولية .. لا احساس بالمسئولية اطلاقا .. اننا لا نحس بشيء الا بحبنا .. لا احس الا به ، ولا يحس الا بى ..

و مضى عامان على حبنا .. ثم تعبت ..

لا اترى مم تعبت ، فلم يكن فى الحياة شيء يتعب .. ولكننى بدأت اهن الى الاستقرار .. بصرحة .. بدأت افكر فى الزواج .. يبدو انه مهما اشتد الحب ، فهو لا يغنى ابدا عن الزواج .. وقد كنت احب كمال .. احبه بكل دقائق قلبى .. بكل دقائق عبرى .. ولم يكن هناك شيء ينقص حبنى .. ورغم ذلك لم أستطع ان أمنع نفسى من التفكير فى الزواج ..

هل اتزوج كمال ؟ !

لا .. لقد أشفقت عليه من مجرد الفكرة ..

ان الزواج نظام لا يعترف به كمال فى حياته .. لا يخطر على باله اطلاقا .. وسعادة كمال ، وهناؤه ، وعقليته ، لا يمكن ان تنفق مع الزواج .. ان الزواج يتعسه .. يشقيه .. انه لا يصلح اصلا للزواج .. فالزواج يطلب حدا من المسئولية ، ومن الاستقرار .. وكما لا يستطيع ان يكون مسئولا ولا مستقرا .. هذه طبيعته .. انى اذكر الأيام التى كنت اراه فيها وفى جيبه عشرة جنيهات .. يصرفها كلها فى ليلة واحدة .. يصرفها بلا حساب وبلا تفكير .. قد يعطى نصفها لبايع الجرائد ، ويشرب بالنصف الآخر زجاجة شباتيا .. ثم يمحو فى اليوم التالى مغلسا .. دون أن يدرى

مقاعد المتفرجين

لم اكن ادرى ان كل ذلك يحدث عندها التفتت بكمال .. كان شابا منطلقا .. مرها .. يضحك بالحياة .. لا تكف الانسامة عن شفتيه ..

وامتدعت اثنى سالهوسمه .. وكنت فى حاجة الى اللهو .. فى حاجة الى ان اهرب من مشاكل أبى وامى .. وان اثير الموح فى حياتى الراكدة .. وان اضحك .. ولكن حياتى مع كمال لم تستمر لهوا ..

لقد وجدت نفسى اغوص فى ابتسامته المرحية .. ابتسامه الطفل الكبير ..

ووجدت نفسى أعيش حياته .. حياة لا تهدأ ابدا .. ولا تستقر .. جمالها فى ضجيجها وفى عدم استقرارها .. لم تكن حياة عريضة .. لا .. ان كمال ليس عريضا .. انه صاحب رأى فى الحياة .. صاحب مبدأ .. ان الحياة فى نظره يجب ان تكون هكذا .. ضحكة كبيرة .. ويوم بيوم .. بلا قيود ولا تقاليد ، ولا شيء مما اتفق عليه الناس .. ان الناس كلهم على خطأ .. فلماذا بشركهم الخطأ ؟

والناس كلهم يعيشون محرومين من حقيقة الحياة ، فلماذا يشاركونهم الحرمان .. الناس كلهم مناهلون جبناء .. فلماذا يشاركونهم النفاق والجبن .. اننا نعيش الحياة كما ارادها الله .. والله لم يرد الحياة راكدة آسنة .. لا .. لقد خلق الله الحياة مضرة فى كل ساعة من ساعاتها .. خلقها من ليل ونهار ، ومن صيف

أنه مفلس . ودون أن يذكر أنه يملك بالأمس عشرة جنيهات .
وأذكر اللبالي التي كان يقضيها جالسا على سور كوربيش النيل
.. سعيدا .. منتصبا .. كأنه على موعد مع حبيبته .. ولم يكن
على وعد إلا مع شروق الشمس .. دون أن يحس أن له بيبا يجب
أن يهود إليه ، ودون أن يحس أن له سريرا يحن إليه ، ويهدأ
فوقه ..

لا .. لا يمكن أن أتزوج كمال ..
ولكني لمن إلى الزواج .. أريد أن أتزوج .. أريد أن يكون لي
بيت .. ومطبخ .. وصديقات يزرني ..
وتقدم إلي رجل ليتزوجني ..
ليمضي البيت ، والمطبخ ، ومكانا استقبال فيه صديقاتي .
وكان رجلا محترما .. كل ما شعرت به نحوه هو الاحترام ..
هل يكفي الاحترام سببا للزواج .. ربما ..
وقررت أن أتزوجه .. ثم كالم يجب أن أبلغ كمال .. شعرت
أنني يجب أن استأذنه في أن أتزوج غيره .. ولم يكن لكمال حق
على الحق الحب .. ورغم ذلك كان لا يمكن أن أتزوج قبل أن
استأذنه ..

ذهبت إليه ، وقلت وأنا أحاول أن أبدو بسيطة وطبيعية :

— سأتزوج !!

وارتفعت في عيني كمال دهشة كبيرة .. دهشة صادقة ..
وقال كأنه يتهمني بالجنون :

— لماذا ؟ !

فموجنت بهذه الدهشة ، وبهذا السؤال .. نعم . لماذا أتزوج ؟ !
وأحسست أن ليس هناك سبب بدعوى للزواج .. أحسست
بالإلحاح .. بأنني عيبه .. أنا — كمال — أنا — نضحك — وسرح .
ويحب أحدا الآخر .. فماذا أريد أكثر من ذلك .. ولماذا أتزوج ؟ .
ورغم ذلك فقد أجبته وأنا لا أزال أشعر بالإلحاح :

— لا أدري .. ولكني يجب أن أتزوج ..

وتعكرت عينا كمال .. ونجهم وجهه .. وأحسست قلبى
ينهرق له .. أنى أطيق أن أراه دائما كما أحبته .. مرها ،
منطلقا ، وابسامته فوق شفتيه ..

ونظر كمال إلى الأرض .. ثم رفع رأسه حينما .. ولال كانه
يعنى آخر ما يملك :

— هل تتزوجينى ؟ ..

وشعرت أني أهم بالبكاء .. لا مرها .. ولكن لأنني أحسست
بهدي عذاب كمال .. أنه لم يكن معرض علي "تزوج" .. إلا إذا كان
عذابه كبيرا .. كبيرا إلى حد أن يضحي بكل حياته من أجل ..
وانهمرت دموعي .. وقلت وقلبي يكاد يخنقني :

— دعنى أفكر !

وحملت دموعي ، وتركت .. وقضيت أياما اتعذب بحيرتي ..
حيرتي بين رجل أحبه ولا يصلح زوجا .. ورجل يصلح
زوجا ، ولا حبه ..

حيرتي بين قلبي وعقلي .. قلبي في ناحية .. وعقلي في
ناحية ..

وقال لي عقلى أنى إذا أردت الزواج .. فاتى أريد الهدوء
والاستقرار .. وكما لا يستطيع أن يمنحني الهدوء والاستقرار
.. بل أن الهدوء والاستقرار سيقتضيان على كمال .. كأنى لو
تزوجته ، فسأضحي على نفسي وعليه ..

ولكن قلبي ..

قلبي يارنى .. !

وخنقت قلبي .. نعم خنقته .. وتزوجت الرجل المحترم ..
وحاولت أن أخفف عن كمال الصدمة .. حاولت أن ألقاه .
وأن أمنحه أكثر مما تعودت أن أمنحه ، نلمه بفقر لى ، ولعله ينسى
عذامى .. ولكن كمال لم ينظر أن أواسيه .. سلفر ..

وأصبح لى بيت .. ومطبخ .. وصديقتى يزرننى .. ولكن ..
 انى أحس أنى أبتعد عن الحياة .. لم أعد أعيش الحياة ..
 ولكنى أفرح عليها .. نعم .. لقد انتقلت بعد الزواج الى مقاعد
 المتفرجين .. أرتب المسرح من بعيد .. وأرى الممثلين الذين
 يعيشون الرواية ، وينهلون بها ، والباس تنظر اليهم ، وتصفق
 لهم .. وأنا .. وأنا .. لا أعيش الحياة .. ولا احد ينظر الى
 ويصفق لى .. أنا الهدوء والاستقرار .. أنا البلادة .. أنا عقل
 بلا قلب .. أنا واحدة قطعت تذكرة للفرج على الحياة .. من
 بعيد ..

وأنا أبكى .. أبكى حياة لا أستطيع أن أعود اليها ..
 وأبكى هدوءا واستقرارا لا أستطيع أن أفر منها
 وأمسح بدموعى جدران البيت ، والمطبخ ، وأداريها عن
 صديقتى عندما يزرننى ..

المودة

أنا مهندس .. فى الثالثة والعشرين من عمرى ..
 وأرسلتنى الشركة التى أعمل بها ، فى بعثة تدريبية ، الى
 السويد ، لمدة عام ..
 والسويد هى جنة الشقراوات .. والبنات هناك يأخذن الحياة
 ببساطة .. لا عقد ، ولا تكلف ، ولا هروب من طبيعة الانسان ..
 انك تستطيع أن تبتسم لآى فتاة فى الشارع ، فترد ابتسامتك ، دون
 أن تحس أن فيها معنى يجرحها ، ودون أن تشعر بأن كل ما تد
 يربطك بها أنك رجل وأنها امرأة .. والابتساماة قد يعقبها حديث ،
 وقد يعقبها لقاء ، وقد يعقبها حب .. وقد لا يعقبها شىء أبدا ..
 ولكنها أولا ترد ابتسامتك .. لأنها ابتساماة .. لا لأنك رجل وهى
 امرأة ..

ولكنى لم أبتسم لفتاة من بنات السويد ..
 قضيت اثنى عشر شهرا وحيدا فى جنة الشقراوات .. وربها
 كانت هذه طبيعتى .. فأنا ضنين بجسدى .. انى الى الآن لم يكن
 لى فتاة أبدا .. ثم انى لا أنصور أن أربط نفسى بفتاة وأد أعلم انى
 سأتركها بعد سنة .. وبعد شهر .. أن البنات لسن مجرد متعة ..
 ولسن مجرد حاجة للرجل ، يجرى وراءها .. انهن أكبر من ذلك
 بكثير .. وقد عشت طول ممرى أنتظر هذا الشىء الكبير ..

وتركت السويد بعد أن انتهت مدة البعثة ، وأنا مسعيد ..
 مسعيد بالحياة التى عشتها .. ومسعيد بدراستى .. ومسعيد لى

استطعت ان اقاوم اصدقائى مار ابحث عن غداة اكسر قلما ..
تكرس قلبى .. ثم نفرق ..

وكان امالى بعد ان تركت السويد ان ازور بعض المصانع فى
المانيا والنمسا ، لبضعة اسابيع ثم اعود الى بلدى ..
و .. حدث الشئ الكبير ..

كنت اركب القطار من كوبنهاجن فى الدانمرك . الى هانومر فى
المانيا .. والقطار يعبر بنا بحر الشمال محبولا على باخرة ..
ومياه البحر هادئة .. زرقاء .. عميقة الزرقة .. والنسيم يطوم
بى كأنه يفسل وحبى بماء مثلج .. ونفسي هادئة مستكنة ..
ورفعت عيني بلا مبالاة .. قرايتها .. والتفت عيناى بعينها ..
صدنة ..

واحسست كأن حجرا صغيرا القى فوق صفحة نفسى الهادئة
المستكنة ، فامتلات دوايح تتسع وتوسع حتى تصل اليها .. الى
الشقاء التى تقف بجانبى مستندة على سور الباخرة ..
انها جميلة .. ولكنها ليست كبغات السويد ..

ان فيها شيئا يختلف عن كل انسات .. منها شئ لى وحدى ..
شئ كأنى كننى فى انتظاره على موعد ..
وابتسمت .. وجدت نفسي ابتسم ..

ولحت على شفيتها ابتسامة مترددة ، ما لبثت ان اتسعت
واستقرت ..

واقتربت منها فى خطوات خذرة .. كأنى كنت خائفا ان اقتربت
اكثر ان انبى انى اقتربه من سراپ ..
ووصلت اليها .. وفحصنا ..

ولا ادرى من اين اتينا بكل هذا الحديث ولم يمض على لقائنا
سوى لحظات .. وانا بطمى خحول منطو .. ولكنى وجدت نفسى
تتكلم واتكلم .. آفاق واسعة تفتح امامى وتمتلئ بالكلام ..

ودعوتها الى الغداء .. ودعنتى فى نفس اليوم الى العشاء ..

ونحن نتكلم .. انها تستطيع ان تتكلم فى كل شئ .. فى
الادب .. والسن .. والموسيقى .. وفى الهندسة والصناعة ايضا .. ان
ما فى راسها اكبر من عمرها .. عمر الساعة عشرة .. وهى
دائما رقيقة حتى لتبدو من مرطقتها « هفتنة » مسلسلية .. انها
ليست كميات السويد المملئات صحه وعافاة .. كأنها شرقية ..
كانها من شاننا ..

ومررت انها نمساوية .. ابنه احد رجال الصناعة هناك ..
وانها فى طريقها الى فيينا .. وقد ترددت غيرت طريقى الى فيينا ..
وعشت معها هناك شهرا .. عرفتني بعائلتها .. وكانت معى
دائما حتى واتنا ازور المصانع .. ثم كنا نذهب لتجسس معا على
شاطئ الدانوب .. ونتكلم ..

ولم يعد كل ما بيننا كلاما .. لقد اعطتنى كل ما اريده ..
اعطتنى فى استسلام رقيق .. وتحلتنى فى خضوع .. كانت
تسهرتنى بلى كل شئ .. باتى اقوى رجل فى العالم .. باتى اسعد
رجل فى العالم .. باتى خير رجل فى العالم .. ولكنه احساس
بقوة عواطفى .. بقوة الحنان .. بقوة الحب ..

وقد احبها ..

كانت ضدى الاول ..

ثم .. كان يجب ان اعود الى بلدى .. وقبل ان اعود كنت قد
قررت ان ازوجها .. ولكنى لم امانحها فى الزواج .. فلم يكن مرسى
يكفى لان اصنع لها حياة فى بلدى توارى الحياة التى تعيشها فى
بلدها .. كان يجب ان انتظر حتى يصل مرتبى الى ستين جنيتها
فى الشهر على الاقل ..

وكما التقيت بها فى قطار .. ودعنتى فى قطار .. ركبتم معى
حتى آخر حدود للنمسا ، ثم نزلت ووقفت على الرصيف ، وبهذا

فى يدى ، وعيناها الزرقاوان فى بحر من الدموع .. ثم تحرك
القطار .. ويدها فى يدي .. ثم تركت يدي ، وأخذت تجرى وراء
القطار كأنها تريد أن تمسك به حتى لا يبتعد بى ..
واخفتت .. وبكى ..

ووصلت الى القاهرة لأجد خطابا منها فى انطارى .. وكنت
لها .. كنت اكتب لها كل يوم .. وتكتب لى كل يوم .. ومتحدث ..
تحدث عن كل شيء .. وعن بيتنا فى القاهرة ، وابن سنضع
البوتاجاز .. وابن سنضع الفريجدير .. و .. ومنى سيرتفع
مرتبى الى ستين جنيا ..

وأنا وحيد فى القاهرة .. وحيد مع حبي .. مع ذكرياتى ..
مع عيبيها الزرقاوين .. ومع شعرها الذهبى .. ومع خطاباتها ..
وحيد .. الى ان التقيت ببثينة .. لم التق بها ..

انى اعرمها دائما .. انها شقيقة صديقتى محمود .. وكنت
التقى بها واتحدث اليها كلما ذهبت لزيارة محمود .. ولكنى وجدت
نفسى بعد أن عدت من أوروبا انحدث اليها أكثر .. ثم أصبحنا نلتقى
فى التادى صديقة .. ثم أصبحنا نلتقى على موعد .. ونحدث ..
وحدثنا عن حبيبتي فى فيينا .. حدثنا عنها طويلا وكثيرا ..
وكنت أنتهى من حديثى معها ، وأذهب الى بيتى وأرسل الى نسيبا
خطاب .. ثم لم اعد أحدث ببثينة عن حبيبتي .. لقد وجدنا أكثر
من موضوع آخر نتحدث فيه .. ولكنى كنت دائما اتركها لأرسل
خطابا الى فيينا .. الى حبي الاول .. ومر عام .. وعام آخر ..
وأنا أعيش فى حبي الاول .. وفى لقاء يتجدد مع بثينة ..

وكانت بثينة هى سندي فى هذا الأمل .. هى للدواء الذى
اناوله حتى لا أمقد الأمل .. لا لىء الظن .. لم يكن بينى وبين
بثينة شيء .. لم نتصارح بأى معنى من معانى الحب .. كان كل
ما سننا هذه الأحاديث التى لا تنتهى ..

وارتفع مرتبى الى ستين جنيا .. الى سبعين ..

وقررت أن اذهب الى أملى .. وذهبت طائرا ..

ولكنها لم تكن فى بيتها .. قد سافرت الى ألمانيا وستعود بعد
اسبوع .. وأعطونى عنوانها .. وجلست لأكتب لها خطابا ..
وونصت للورقة أمامى .. وامسكت بالقلم .. وبدأت اكتب ..
ووجدت نفسى اكتب من اليمين الى اليسار ..
واكتب باللغة العربية ..

واكتب : عزيزتى بثينة ..

كانت رغبة عارمة تدفعنى الى الكتابة الى بثينة .. رغبة
لم استطع أن أقاومها .. فكتبت لها .. وفى الصباح التالى ..
امسكت بالقلم لأكتب الى حبيبتي .. ولأول مرة انزدد .. ولأول
مرة اجد الكلام ثقيل فوق سن قلبي .. ولأول مرة أحس انى
ابدل محبودا كبيرا لانبكى الكلمات ، وللملول الخطاب الى أكثر من
نصف صفحة .. وبعد ثلاثة أيام كتبت خطابا آخر الى بثينة .. من
خمس صفحات .. ثم عادت حبيبتي .. والتقينا ..

التقينا بعد عامين من الأمل .. وفرحت سى ..

وفرحت بها ..

فرحة حقيقية .. أحسست انى استردت نفسى وأنا أضفها الى
صدري ..

ثم .. ثم ساد بيننا صمت عجيب .. ثقيل .. صمت فيه
ارسك ، وكس كل ما بذل مجهودا ليحفظ باسمه .. وكل من
ينظر فى وجه الآخر كأنه يبحث فيه عن حبه ، وعن ذكرياته ..

وقضينا اليوم معا نبحث عن ذكرياتنا وجينا .. وما كدت
أعود الى الفندق حتى جلست لأكتب خطابا الى بثينة ..

ومر اسبوع .. وكل يوم أقضيه مع حبيبتي .. ثم أعود الى
الفندق لأكتب خطابا الى بثينة .. و .. وقلت لها وأنا مرتبك :

— لقد أصبح مرتبى سبعين جنيتها ..

قالت مبتسمة ..

— مبروك ..

قلت فى تردد :

— اننى استطيع الآن ان اتزوج ..

قالت وهى نحنو على بابئسابتها :

— هل وجدت من تتزوجها ؟

ورفعت اليها عينى فى دهشة ..

وامسكت يذى وربت فوقها وقالت فى صوتها الهادى الرقيق :

— لست انا .. يا محمد !!

قلت :

— ولكن ..

وقاطعتنى وهى تضع اصابعها للريقة فوق شفتى :

— لا تتكلم .. لا تقسد ذكرياتنا .. تعال .. اننا سنذهب

لليلة الى الاوبرا ..

وقبل ان اذهب الى الاوبرا ، ذهبت الى مكتب التصوير ،

وارسلت برقية الى نثينة : « ساعد .. انتظرينى ! »

وعدت .. وتزوجت بثينة ..

فهرست

صفحة	
٥	كرامة زوجتى
١٧	زوجة وخادمة
٢٧	صورة
٣٥	مغامرة
٤٥	بنت تبحث عن زوج
٥٣	زوجة تبحث عن عمل
٦٠	رجل يبحث عن سيارة
٦٨	أين حبيبتى
٧٥	خواتم فتاة متحررة
٨٣	بلا كلام
٩٠	حائر بين الحلال والحرام
٩٨	لا .. ليس جسدك
١٠٥	بلا قانون
١١٣	المنافقة
١١٨	رجل أعلن إسلامه
١٢٥	بنت تكتب الخطابات
١٣٣	بنت تحب أبها
١٤٠	موظف فى الصعيد
١٥٢	بنت تجرى وراء الشمس
١٥٧	هكذا قتلت زوجتى
١٦٣	فىفى

مكتبة مصر

سعيد جوده السحار وشركاه

تقدم قائمة بمؤلفات عمالقة القصة المصرية

كتب للأستاذ احسان عبد القدوس

(١٧) لا .. ليس جسديك	(١) مائع الحب
(١٧) لا .. ليس جسديك	(٢) بائع الحب
(١٨) عقلى وتلبى	(٣) انا حرة
(١٩) بئر الحرمان	(٤) الطريق المسدود
(٢٠) علبة من صفيح	(٥) عين عمرى
(٢١) ثوب فى الثوب الأسود	(٦) النظارة السوداء
(٢٢) بنت السلطان	(٧) فى بيتنا رجل
(٢٣) سيدة فى خدمتك	(٨) لا اتمام
(٢٤) نساء لهن اسنان بيضاء	(٩) منتهى الحب
(٢٥) لا أستطيع أن افكر وأنا ارقص	(١٠) لا تطفى الشمس (جزآن)
(٢٦) الوسادة الخالية	(١١) شئ فى صدرى
(٢٧) دس ودموعى وابتهامى	(١٢) زوجة احمد
(٢٨) الراقصة والسياسى	(١٣) البنات والصيف
(٢٩) حتى لا يطير الدخان	(١٤) لا شئ بهم
(٣٠) لا تتركبنى هنا وحدى	(١٥) انف وثلاث عيون (جزآن)
	(١٦) شفاه

صفحة

١٧٣	لم اعك طفلا
١٨٠	بنت السلطان
١٨٨	بلا كرامة
١٩٧	لست مغفلا
٢٠٥	خلف العباءة
٢١٢	لم امد يدى
٢٢٠	رجل ينفخ البالونات
٢٢٤	بلا مطبخ
٢٣٠	هذا البريق
٢٣٦	شئ غير الحب
٢٤١	لن اتزوج زميلى
٢٤٩	اصبح الزواج
٢٥٥	الكبرياء والزوج
٢٦٣	اخفى
٢٦٩	مكان لشاعر
٢٧٦	المقامر
٢٨١	الشخصية الجديدة
٢٨٨	الزوجة الثانية
٢٩٥	مقاعد المتفرجين
٣٠٠	العودة

للمؤلف

عبد الحميد جوده السحار

روايات وقصص واقاصيص

الطبعة الاولى

أحمس بطل الاستقلال	قصة	مايو سنة ١٩٤٣
أبو ذر الففاري		يوليو سنة ١٩٤٣
بلال مؤذن الرسول		مايو سنة ١٩٤٤
في الوظيفة	مجموعة اقاصيص	ديسمبر سنة ١٩٤٤
سعد بن ابى وقاص		يوليو سنة ١٩٤٥
همزات الشياطين	مجموعة اقاصيص	فبراير سنة ١٩٤٦
أبناء ابى بكر الصديق		أكتوبر سنة ١٩٤٦
الرسول (حياة محمد) ترجمه مع محمد محمد فرج يناير سنة ١٩٤٧		
في قافلة الزمان	رواية	سنة ١٩٤٧
اهل البيت		مايو سنة ١٩٤٨
أميرة قرطبة	قصة	سنة ١٩٤٩
النقاب الأزرق	قصة	مايو سنة ١٩٥٠
المسيح عيسى بن مريم		سنة ١٩٥١
قصص من الكتب المقدسة		سنة ١٩٥٢
الشارع الجديد	رواية	سنة ١٩٥٢
صدى السنين	مجموعة اقاصيص	سنة ١٩٥٣
حياة الحسين		سنة ١٩٥٤

الطبعة الاولى

قلعة الأبطال	قصة	سنة ١٩٥٤
المستنقع	قصة	ديسمبر سنة ١٩٥٧
ام العروسة		يناير سنة ١٩٥٨
وكان مساء	قصة	مارس سنة ١٩٥٨
اذرع وسيفان	قصة	يوليو سنة ١٩٥٨
ارملة من فلسطين	مجموعة اقاصيص	سنة ١٩٥٩
الحصاد	رواية	سبتمبر سنة ١٩٥٩
القصة من خلال تجاربى الذاتية		سنة ١٩٦١
جسر الشيطان	قصة	أكتوبر سنة ١٩٦٢
ليلة عاصفة	مجموعة اقاصيص	ديسمبر سنة ١٩٦٣
النصف الآخر	قصة	يناير سنة ١٩٦٤
السهول البيض	رواية	يوليو سنة ١٩٦٥
وعد الله واسرائيل		يوليو سنة ١٩٦٧
عمر بن عبد العزيز	قصة	يناير سنة ١٩٧٢
الحفيد	قصة	أكتوبر سنة ١٩٧٢
هذه حياتى	(قصة حياة المؤلف)	فبراير سنة ١٩٧٤
٩٦ كتابات سينمائية		ابريل سنة ١٩٧٤

القصصُ الدينى

(للأطفال)

قصص الانبياء	في ١٨ جزءا
قصص السيرة	في ٢٤ " "
العرب في أوروبا	في ٢٤ جزءا
قصص الخلفاء الراشدين	في ٢٠ " "

محمد رسول الله

والذين معه

في عشرين جزءا

الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

- | | |
|---------------------------|----------------------|
| (١٣) حافة الجريبة | (١) لفيفة |
| (١٤) الوشاح الأبيض | (٢) بعد الغروب |
| (١٥) الجنة العذراء | (٣) شجرة اللبلاب |
| (١٦) خيوط النور | (٤) شمس الخريف |
| (١٧) الباحث عن الحقيقة | (٥) غصن الزيتون |
| (١٨) البيت الصامت | (٦) من أجل ولدى |
| (١٩) أسطورة من كتاب الحب | (٧) سكون العاصفة |
| (٢٠) المزمع بقية | (٨) الماضي لا يعود |
| (٢١) جولييت فوق سطح القمر | (٩) ألوان من السعادة |
| (٢٢) قصة لم تلم | (١٠) أضياء للذكرى |
| (٢٣) الدموع الغرساء | (١١) النافذة الضربية |
| | (١٢) الضفيرة السوداء |

- | | |
|---------------------------|-------------|
| ١ - إبراهيم أبو الأنبياء | أكتوبر ١٩٦٥ |
| ٢ - هاجر المصرية أم العرب | مارس ١٩٦٦ |
| ٣ - بنو إسماعيل | سبتمبر ١٩٦٦ |
| ٤ - العدنانيون | فبراير ١٩٦٧ |
| ٥ - قرينش | مايو ١٩٦٧ |
| ٦ - مولد الرسول | يولية ١٩٦٧ |
| ٧ - اليتيم | أكتوبر ١٩٦٧ |
| ٨ - خديجة بنت خويلد | يناير ١٩٦٨ |
| ٩ - دعوة إبراهيم | مارس ١٩٦٨ |
| ١٠ - عام الحزن | أبريل ١٩٦٨ |
| ١١ - الهجرة | سبتمبر ١٩٦٨ |
| ١٢ - غزوة بدر | نوفمبر ١٩٦٨ |
| ١٣ - غزوة أحد | يناير ١٩٦٩ |
| ١٤ - غزوة الخندق | مايو ١٩٦٩ |
| ١٥ - صلح الحديبية | يونية ١٩٦٩ |
| ١٦ - فتح مكة | نوفمبر ١٩٦٩ |
| ١٧ - غزوة تبوك | نوفمبر ١٩٧٠ |
| ١٨ - عام الوفود | مايو ١٩٧٠ |
| ١٩ - حجة الوداع | نوفمبر ١٩٧٠ |
| ٢٠ - وفاة الرسول | ديسمبر ١٩٧٠ |